

العدد

62

ربيع 2024

التجالة

فكرية فصلية محكمة

15 أيار
2024 - 1948
يوم العودة

العودة أقرب



«العودة أقرب»

من تصاميم يوم العودة 2024
لـ «الحملة العالمية للعودة الى فلسطين»

« اتجاه» فكرية فصلية محكمة،

المدير المسؤول: د. أنور خطار

رئيس التحرير: د. علي حمية

العنوان: فرات للنشر، رأس بيروت، بيروت، لبنان. ت: 00961 1 750053 – 00961 70 543166

البريد الإلكتروني: editor@ittijah.info

www.ittijah.info

Ittijah: revue culturelle trimestrielle, Rédacteur en chef: Dr. Ali Hamiyeh.

Adresse: C/O Furat Publishers, Ras Beyrouth, Beyrouth, Liban,

tel: 00961 70 543166.

اتجاه

فكرية فصلية محكمة
العدد 62
ربيع 2024

محتويات العدد

5	بعد الإنتصار الأممي لـ «غزة» الحاجة إلى خطاب جديد حول فلسطين!	علي حمية
7	الانزياح الدلالي في النص الشعري الأندلسي	رشا غازي درباع
25	تطوير طرائق التعليم عبر تعزيز القدرات التعلّمية باستخدام أنشطة تعليمية صائبة	حسين محمود حرب
49	البنية الحجاجية: آلياتها واستراتيجياتها	حيدر علي إسماعيل
79	في خطاب «طوفان الأقصى» للسيد حسن نصر الله	فاطمة سامي فرحات
89	قيم التسامح بين التصوف والفلسفة	بلال علي الحاج سليمان
127	مستقبل الكيان الصهيوني بين القراءات التراثية والواقع المتغير	علا عيد
1	أزمات الكيان إقتصادياً، إجتماعياً، ديموغرافياً	Bella Aoun
11	انتخابات عكار قراءة سوسولوجية	Mohammed
21	A travers le prisme du jeu: comprendre l'analyse des enfants en cure.	Jamil Jomha
49	Amin Maalouf's Political Vision: A Political Reading of The Rock of Tanios	Jean El Khawand
	Réinvestir l'image du corps chez les alcooliques	Dr, Farah Choumane
	L'excision entre tradition et civilisation dans «Rebelle» de Fatou Keïta.	

” اتجاه ” مجلة أسبوعية تصدر باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية، مرخصة بموجب قرار رقم 1920 صادر عن وزارة الإعلام بتاريخ 24 آب 1995، ومعتمدة من الجامعة اللبنانية بصفتها ”مجلة بحثية تُعنى بشؤون فكرية“.



برعاية وزارة رئيس حكومة السابق كبروفسور حسان دياب

الجامعة اللبنانية - كلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال

الجامعة الأميركية في بيروت - كلية الزراعة - البقاع

تقانة تكنولوجيا التربية في لبنان - ومجلس بعلبك الثقافي

بشرفون بعمومكم إلى مؤتمر حضوري وافتراضي بعنوان:

المكان: مجلس بعلبك الثقافي

الزمان: 2024/09/07

"اقتصاد المعرفة وإمكانية المواكبة عربياً"

الرائدة علمياً وتقنياً. إذا كان لا يزال من الممكن نقل المعلومات، ومجموعات البيانات المنسقة والمنظمة...، فمن الأصعب نقل المعرفة، وهي نتاج الاقتصاد المعرفي القائم على إنتاج المعرفة من جمع المطومات، وكذلك على التخصص، البيع والاستخدام بحسب عيبيير من هنا كالتزاماً علينا مقارنةً بموضوع اقتصاد المعرفة من حيث المفهوم، والخطوات الألية التي إمكنية مواكبة عبر التعليم والتدريب، كما البحث والتطوير، وتأسيس البنى التحتية لتكنولوجيا المطومات، واعتماد سياسات اقتصادية تحفز الاستثمار في المعرفة من خلال استراتيجيات تطوير رأس المال البشري، والحوكمة الرقمية والشفافية.

وعليه نقرض إشكالية الإمكانية البحث في المحاور التالية:

- 1- إمكانية التعريف بماهية اقتصاد المعرفة، ودور الإعلام، ووسائل التواصل الرقمية في تقديمه للمواطن العربي بدقة ووضوح تقرب إلى أفهام العامة والخاصة ما يقفل الروح التفاعلية لتحفيز الخيال والحس النقدي، ولا إخراج مبادرات فردية ومؤسسية تسهم في التحول نحو اقتصاد المعرفة.
- 2- إمكانية التكوين على اقتصاد المعرفة: نحو التكوين، عبر تعزيز القطعية مع التقاليد، المتعارف عليه من الناقدن والتعبئة المدرسية، وتطوير أنظمة تعليمية

أينعت الإستهتمولوجيا العقلانية التطبيقية، وصار المختبر الذكي ميداناً لإثبات صحة الفكرة أو عدمها، ويعد قبطية إستهتمولوجية مع التقليدي، وأكب رأس المال الاستثمار في البحث والإبتكار والتدريب والتطوير؛ فانتقلنا من اقتصاد الندرة إلى اقتصاد الوفرة أو ما يسمى باقتصاد المعرفة.

إن دور اقتصاد المعرفة ككامل من عوامل التنمية يؤخذ في الاعتبار اليوم بشكل متزايد بحسب بنغموش، لقد أصبح مفهوم اقتصاد المعرفة إطاراً إلزامياً للتفكير بالنسبة لمعظم الاقتصادات المتقدمة ولكن أيضاً بالنسبة للعديد من البلدان النامية. وفي أعقاب النظريات الجديدة للنمو، التي تدعم مساهمة الإبتكار والبحث والتطوير والتعليم، أصبح من المتترف به الآن أن المعرفة هي أحد العناصر الأساسية للنمو والتنمية بحسب لو باس. ويتجلى ذلك في البرامج البحثية العديدة التي أطلقها منذ بداية القرن معهد البحوث من أجل التنمية (IRD) والبنك الدولي ومؤسسات منظومة الأمم المتحدة.

إن تجربة البلدان الآسوية منذ ستينيات القرن العشرين، والتجارب الأحدث التي شهدتها البلدان الناشئة الأخرى، موجهة لتذكيرنا بالظروف اللازمة للتغلب بشكل دائم على التخلف والفقر. ولكن إذا تم تحديد الخطوط العريضة للمشكلة، فلا يزال يتعين وضع تفاصيل التطبيقات، وهذا هو التحدي الذي يواجهه البحث في اقتصاد المعرفة في البلدان التي ليست جزءاً من الدول

برعاية وولته رئيس حكومة السابق لبروفسور حسان دياب

- بروفسور مارك عودة (بلجيكا) – نائب رئيس جامعة ADSM- غرفة التجارة والصناعة أبو ظبي. ونائب رئيس European School of Leadership and Management (Brussels) and Management.
- بروفسور بلال لمح الحشيمي- نائب في البرلمان اللبناني- عضو لجنة التربية اللبنانية.
- النائب ربيع مصطفى بعلبكي (لبنان) – رئيس نقابة تكنولوجيا التربية في لبنان- مهندس نظم- مخترع.
- البروفسور نديم أحمد منصوري (لبنان)- منسق عام شبكة التحول والحكومة الرقمية في لبنان.
- الدكتور أحمد بكر كامل (الأردن)- أمين عام منظمة اتحاد الأكاديميين والعلماء العرب.
- الدكتور محمد ياسين غادر (لبنان)- عضو لجنة الموازنة ومدقق حسابات أول في ديوان المحاسبة.
- بروفسور حسن عبيد- رئيس قسم الاقتصاد في جامعة باريس ورييس لأعمال- مدير شركة آيت للتدريب والاستشارات المالية- فرنسا.
- الدكتور ميثاق بيكات الضيفي (العراق) رئيس مؤسسة BRC العلمية.
- البروفسور رضا لخضر سلاطينية - عميد كلية العلوم الاجتماعية والانسانية - جامعة سوق أهراس (الجزائر)
- البروفسور رياض المقدسي- مدير مركز المهن والابتكار وزيادة الأعمال في الجامعة اللبنانية (لبنان)
- البروفسور علي حمية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- مؤسس ورئيس تحرير مجلة اتجاه (لبنان)
- البروفسور سعيد حسين- مدير الفرع الأول لكلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال في الجامعة اللبنانية (لبنان)
- البروفسور حسن الموسوي- مدير الفرع الخامس لكلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال في الجامعة اللبنانية (لبنان)

- 3- مستقبل الرأسمال البشري العربي، في ظل تنظي ثورة المعرفة وغياب استراتيجيات عربية تراكب التطورات العالمية؛ مما قد يؤدي إلى عزلة الشباب العربي وتؤدي مؤهلاته المعرفية وتكويناً وتمكيناً يعزز ذلك غياب المجتمع العربي عن المواكبة الحضارية، كما التوجه حتماً نحو المزيد من الغرق في التقني والاستهلاك بعيداً عن أي إنتاج. فهل مستقبل الأمة العربية الفقر أو الموت جوعاً مع التحول نحو استدامة الطاقة الخضراء بدلاً عن الوقود الأحفوري.
- 4- ورشة عمل تدبرها الجامعة الأميركية AUB ونقابة التكنولوجيا التربية، عرض ابتكارات ومؤثرات جديدة:
محترف 1: مناجم الأفكار ومنتزعات الابتكار من التعاطف الإنساني إلى الإبداع فالابتكار فالريادة فالقيمة الاجتماعية فالاستدامة. كيف وما هي المهارات المتوجبة لمواكبة التغيرات التكنولوجية (الجامعة الأميركية- كلية الزراعة).
- محترف 2- حقول العقول، تزواج وانصهار عناصر أهداف التنمية المستدامة ودمج المهارات الرقمية والمهارات الحياتية وعناصر الثورة الصناعية الرابعة في سبيل الابتكار وتزخيم الاقتصاد الرقمي المنتج-التوأمة الرقمية نموذجاً- (النقيب ربيع بعلبكي – والمختارة نورا المرعي)
- رئيس المؤتمر: عميد كلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال في الجامعة اللبنانية، البروفسور سليم المقدسي.
- اللجنة الاستشارية:
- الدكتور مصطفى حيدر- مدير مركز تعزيز الأبحاث التأهيل المجتمعي في الجامعة الأميركية AREC- كلية الزراعة.

برعاية وولادة رئيس حكومة السابق لبروفسور حسان دياب

- البروفسور بلال شحيطه. منسق لجنة الأبحاث في كلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال في الجامعة اللبنانية (لبنان)
 - البروفسورة هيام نايف سجد. رئيسة قسم التمويل في الفرع الأول لكلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال (لبنان)
 - البروفسورة بثينة هاشم هاشم. رئيسة قسم المحاسبة في الفرع الأول لكلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال (لبنان)
 - البروفسورة نورا ري أمال. كلية العلوم الاجتماعية-جامعة سوق أهراس (الجزائر)
 - البروفسور حسن أيوب. كلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال في الجامعة اللبنانية الفرع الأول (لبنان)
 - البروفسورة نادين غندور - رئيسة قسم الإحصاء- كلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال في الجامعة اللبنانية (لبنان)
 - البروفسور يوسف طباجة. كلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال في الجامعة اللبنانية. الفرع الخامس (لبنان)
 - الدكتور عنبير طرييه- مديرة الفرع الثاني لكلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال في الجامعة اللبنانية (لبنان)
 - الدكتور ادولف عبدالله. مدير الفرع الثالث لكلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال في الجامعة اللبنانية (لبنان)
 - الدكتور زنده زيدان- مديرة الفرع السادس لكلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال في الجامعة اللبنانية (لبنان)
 - الدكتور ذوقان الجرماني- مدير الفرع الرابع لكلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال في الجامعة اللبنانية (لبنان)
 - الدكتور علي عبدالله - رئيس قسم الاقتصاد في الفرع السادس لكلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال (لبنان)
 - الدكتور سوسن حسيب شهبب- رئيسة قسم التمويل- الفرع الرابع لكلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال (لبنان)
 - الدكتور قمر سيد أحمد- رئيسة قسم المحاسبة في كلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال في الجامعة اللبنانية. الفرع الخامس (لبنان)
 - الدكتور محمد بن علي العوفي- كلية التجارة- جامعة البريمي (سلطنة عمان)
 - الدكتور عصام جرجس مسلم- معلوماتية- كلية التكنولوجيا الجامعة اللبنانية (لبنان)
 - الدكتور علي حلاوي- كلية إدارة الأعمال- الجامعة العربية المفتوحة (عمان)
 - الدكتور عادل بودان- خبير بنكي- (المغرب)
 - الدكتورة ايناس نزال- علوم الإدارة – سياسات مالية- جامعة القدس (فلسطين)
- اللجنة المنظمة:**
- رئيس وأعضاء اللجنة العلمية في مجلس بطريك الثقافي.
 - الدكتورة فيفي فارتس تشايربان- كلية الآداب- الفرع الرابع (لبنان)
 - الدكتور وائل علي سعيد – جامعة البعث (سوريا)
 - الدكتور محمد الجواد مخ- الفرع الأول-كلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال (لبنان)
- شروط المشاركة:**
- 1- أن يكون موضوع البحث مختصاً بأحد محاور المؤتمر.
 - 2- أن يرسل العنوان وملخص عن البحث لا يتجاوز 300 كلمة.
 - 3- أن يحمل البحث مؤتي علمياً جيداً.
 - 4- أن يكون البحث غير منشور سابقاً، ولم يُقدّم في أي مؤتمر علمي.
 - 5- أن يُقدّم البحث موثقاً وفق نظام APA
 - 6- أن يُقدّم البحث بخلاصة باللغتين العربية والأجنبية.
 - 7- أن يكون حجم الخط 14 (Simplified Arabic)، 12 الكلمات بالغة الأجنبية، و16 للعناوين.
- تنشر الجحوث بحلّة علمية محكمة: مجلة اتجاه (نسخة إلكترونية مجاناً) (نسخة ورقية تُحدد الكلفة لاحقاً).**
- تواريخ استلام الملخصات والبحوث:**
- آخر موعد لاستلام الملخصات (300 كلمة) 2024/6/30
- آخر موعد لاستلام البحوث المقبولة (2500 كلمة) 2024/8/15
- البريد الإلكتروني: dr.nourelhouda@hotmail.com أو nour.obeid.1@ul.edu.lb
- لمزيد من المعلومات، واتساب على الرقم: 009613898661

بعد الانتصار الأممي لـ «غزة» الحاجة إلى خطاب جديد حول فلسطين!

علي حمية

أستاذ جامعي

أصبح من البديهي الاعتراف، اليوم، أن خطاباً "عالمياً" جديداً (سياسياً وأخلاقياً) مؤيداً لفلسطين والفلسطينيين بدأ يشق طريقه، منذ السابع من أكتوبر (تشرين الأول) 2023، على امتداد العالم كله (شرقه وغربه، شماله وجنوبه) حتى بلغ كل مدينة، وكل ساحة، وكل شارع، وكل منبر، وكل جامعة، وكل مكتبة، وكل مؤسسة علمية أو بحثية.. الخ. هكذا، دخلت فلسطين، اليوم، انطلاقةً من "غزة" - أميرتها - كل القلوب وكل العقول وكل الأدمغة، وتحوّلت من قضية جماعة اقتلعت، بالقوة، من أرضها إلى قضية عالمية، بل إلى قضية إنسانية، أين منها كبرى القضايا في العالم، منذ بدأ يتشكل هذا العالم، بالمعنى الحديث للعبارة. هذا الانقلاب العظيم، في الأفكار والعواطف والاتجاهات والقناعات والميول، الذي يهزّ العالم، اليوم، دون أن تقف وراءه دولة أو جماعة أو حزب، إنقلاب يصحّ مجرى تاريخ ظالم استطال لأكثر من قرن من الزمان، ضدّ فلسطين والفلسطينيين، ارتكبت خلاله بحقهم أرذل الانتهاكات التي لم يشهد الإنسان مثيلاً لها في العصر الحديث، إنقلاب يؤسّس لخطاب فلسفي جديد يقوم على حقّ الفلسطينيين وحقّ أجيالهم، على تتابعها، في التمتع بأرض وطنهم وميراث أجدادهم، وعلى حماية هذا الحق وصونه والتأكيد عليه، خطاب

يقوم على مساواتهم بغيرهم من الجماعات والشعوب، على امتداد العالم، بعيداً عن كل تمييز في العرق أو اللغة أو الثقافة أو الدين!..

بناء على ما تقدّم، وتأييداً للخطاب العالمي الجديد الذي يشق طريقه، بزخم أكيد، دعماً لفلسطين والفلسطينيين (اليوم) ولغيرهم من الجماعات في (المستقبل)، مستفيداً من حالة الإرباك التي تحاصر الخطاب السائد، على اختلاف مدارسه ومناهجه واتجاهاته وسردياته،

وتأسيساً لمنابر جديدة تحتضن هذا الخطاب ”الثوري“ وتشره في العالم أجمع، الأمر الذي يرتّب على دعائه وأنصاره الشروع فوراً في إطلاق حركة أو جامعة أو تيار أممي، على امتداد العالم، في كل منطقة حيث وصلت هذه الفكرة ووجدت لها أنصاراً ومؤيدين، حركة تأخذ شكل منظمة عالمية واحدة (أقترح تسميتها:عالم عادل A Just World) أو A WORLD OF JUSTICE (جامعة لمركزيات إقليمية(متعدّدة) كأن نقول مثلاً: المجموعة العربية، المجموعة الأفريقية، المجموعة المتوسطية(نسبة لحوض البحر المتوسط).. الخ.

تتمتع كل مجموعة بإدارتها المستقلة وخططها ومشاريعها التي تهدف إلى خدمة الغرض الأساسي الذي أنشئت من أجله، وتتدب شخصاً أو أكثر لتمثيلها في الإدارة الرئيسية للمنظمة – الأم، على أن يُترك لكل مجموعة حرية اختيار هيئتها وخطة عملها.

الانزياح الدلالي في النص الشعري الأندلسي: دراسة تحليلية لأبعاد جمالية ومعنوية

رشا غازي درباع

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث موضوع الانزياح الدلالي في النص الشعري الأندلسي، باعتباره إحدى الظواهر الأسلوبية البارزة التي تميز هذا النوع من الشعر. يُعرف الانزياح الدلالي بتحويل الدلالة التقليدية للكلمات والجمل إلى دلالات جديدة وغير مألوفة، مما يساهم في خلق تأثيرات فنية وجمالية معينة. يهدف البحث إلى استكشاف كيفية استخدام الشعراء الأندلسيين للانزياح الدلالي لتحقيق تأثيرات فنية وجمالية مميزة. من خلال دراسة تحليلية لنماذج مختارة من الشعر الأندلسي، يسعى البحث إلى تحديد الأنماط الدلالية المستخدمة وفهم مدى تأثيرها على المتلقي. يركز البحث على عدة نظريات أدبية تشرح الانزياح الدلالي وتطبيقاته، منها نظرية الاستعارة ونظرية البلاغة ونظرية التأويل. يتضمن التحليل دراسة لأنماط دلالية متنوعة مثل الاستعارة المكانية، التجسيد، التشبيه، والتلاعب بالألفاظ، وكيفية استخدامها في النصوص الشعرية الأندلسية. النتائج أظهرت أن الانزياح الدلالي يلعب دوراً حاسماً في إثراء النص الشعري وتعزيز عمقه الجمالي والمعنوي. استخدم الشعراء الأندلسيون تقنيات متعددة لتحقيق الانزياح الدلالي، مما أضاف على نصوصهم ثراءً وعمقاً خاصين. هذه التقنيات لم تكن مجرد تلاعب بالألفاظ، بل كانت جزءاً من استراتيجية شاملة تهدف إلى تحقيق تأثيرات جمالية ومعنوية متممة. خلص البحث إلى أن الانزياح الدلالي في الشعر الأندلسي يسهم في نقل تجربة الشاعر وأحاسيسه بطرق مبتكرة تتجاوز

التعبيرات التقليدية، مما يعزز من جاذبية النص الشعري الأندلسي وتفاعله مع القارئ. يوصى بإجراء مزيد من الدراسات لتوسيع فهم الانزياح الدلالي في الأدب العربي عمومًا وفي الأدب الأندلسي خصوصًا.

كلمات المفتاح:

الانزياح الدلالي، الشعر الأندلسي، الأسلوبية، البلاغة، التحليل الدلالي، التجسيد، الاستعارة، التشبيه، التلاعب بالألفاظ.

Abstract

This research addresses the topic of semantic shift in Andalusian poetic texts, highlighting it as one of the prominent stylistic phenomena characterizing this genre of poetry. Semantic shift involves transforming the conventional meanings of words and phrases into new and unfamiliar significances, contributing to specific artistic and aesthetic effects. The study aims to explore how Andalusian poets employ semantic shift to achieve distinctive artistic and aesthetic impacts. Through an analytical study of selected examples of Andalusian poetry, the research seeks to identify the semantic patterns used and understand their influence on the reader.

The research focuses on several literary theories explaining semantic shift and its applications, including metaphor theory, rhetoric theory, and interpretation theory. The analysis covers various semantic patterns such as spatial metaphor, personification, simile, and wordplay, and how they are utilized in Andalusian poetic texts. The results revealed that semantic shift plays a crucial role in enriching poetic texts and enhancing their aesthetic and semantic depth.

Andalusian poets employed multiple techniques to achieve semantic shift, adding richness and depth to their texts. These techniques were not merely playful manipulations of words but were part of a comprehensive strategy aimed at achieving profound artistic and semantic effects.

The research concluded that semantic shift in Andalusian poetry contributes to conveying the poet's experience and emotions in innovative ways that transcend traditional expressions, thereby enhancing the appeal and interaction of Andalusian poetic texts with readers. Further studies are recommended to expand the understanding of semantic shift in Arabic literature in general and Andalusian literature in particular.

Keywords:

Semantic shift, Andalusian poetry, stylistics, rhetoric, semantic analysis, personification, metaphor, simile, wordplay.

المقدمة

يُعتبر الأدب الأندلسي جزءاً هاماً من التراث الأدبي العربي، حيث امتاز بتنوع موضوعاته وعمق معانيه. ومن بين الأساليب التي استخدمها الشعراء الأندلسيون لإثراء نصوصهم الفنية هو الانزياح الدلالي، الذي يُعد تقنية لغوية تهدف إلى تغيير الدلالة التقليدية للكلمات والجمل لتحقيق تأثيرات فنية وجمالية خاصة. يهدف هذا البحث إلى استكشاف دور الانزياح الدلالي في تشكيل بنية النص الشعري الأندلسي ومدى تأثيره على فهم النص وتذوقه من قبل القارئ.

تعريف الانزياح الدلالي:

الانزياح الدلالي هو تحويل الدلالة التقليدية للكلمات والجمل إلى دلالات جديدة وغير مألوفة، بهدف خلق تأثيرات فنية وجمالية معينة. هذه التقنية تُستخدم بشكل واسع في الأدب لتحقيق تفاعل أعمق بين النص والقارئ، حيث يتجاوز المعنى السطحي للغة إلى دلالات متعددة ومعقدة.

أهمية الشعر الأندلسي:

يُعتبر الشعر الأندلسي أحد أبرز الأنواع الأدبية في الأدب العربي الكلاسيكي. امتاز هذا الشعر بتنوع موضوعاته وعمق معانيه، بالإضافة إلى استخدامه المكثف للصور البلاغية والأنماط الدلالية المعقدة. الشعراء الأندلسيون برعوا في استخدام الانزياح الدلالي لتحقيق تأثيرات جمالية ومعنوية مميزة، مما جعل شعرهم يحتل مكانة بارزة في التراث الأدبي العربي.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى استكشاف دور الانزياح الدلالي في النص الشعري الأندلسي من خلال تحليل نماذج مختارة من هذا الشعر. يسعى البحث إلى تحديد الأنماط الدلالية المختلفة المستخدمة وفهم كيفية تأثيرها على المتلقي. بالإضافة إلى ذلك، يهدف البحث إلى تقديم فهم أعمق لكيفية استخدام الشعراء الأندلسيين لهذه التقنية لتحقيق أهدافهم الفنية والجمالية.

الإشكالية

السياق التاريخي والثقافي:

نشأ الشعر الأندلسي في بيئة ثقافية غنية ومتنوعة، حيث كانت الأندلس مركزاً للثقافة والفكر في العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى. هذا السياق الثقافي أثر بشكل كبير

على تطور الشعر الأندلسي واستخداماته الفنية، بما في ذلك الانزياح الدلالي. تتمحور الإشكالية الرئيسية لهذا البحث حول كيفية استخدام الشعراء الأندلسيين للانزياح الدلالي في نصوصهم الشعرية. يمكن صياغة الإشكالية في السؤال التالي: كيف ساهم الانزياح الدلالي في إثراء النص الشعري الأندلسي وتحقيق أبعاد جمالية ومعنوية جديدة؟ وما هي أهم الأنماط الدلالية المستخدمة في هذا السياق؟

التساؤلات البحثية:

● كيف ساهم الانزياح الدلالي في إثراء النص الشعري الأندلسي وتحقيق أبعاد جمالية ومعنوية جديدة؟

● ما هي أهم الأنماط الدلالية المستخدمة في النصوص الشعرية الأندلسية؟

● كيف أثرت هذه الأنماط على تجربة المتلقي وتفاعله مع النص؟

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي كإطار رئيسي لدراسة الشعر الأندلسي. يهدف المنهج الوصفي إلى تقديم وصف دقيق ومفصل لمظاهر الشعر الأندلسي المختلفة، بينما يركز المنهج التحليلي على تحليل هذه المظاهر وتفسيرها لفهم أعمق للخصائص الفنية والجمالية التي تميز الشعر الأندلسي.

أظهرت الدراسة أن الشعر الأندلسي يتميز باستخدام مكثف للانزياح الدلالي، مما يعكس قدرة الشعراء الأندلسيين على تحويل المعاني التقليدية للكلمات والجمل إلى دلالات جديدة وغير مألوفة. هذا الاستخدام لم يكن عشوائياً، بل كان مقصوداً لتحقيق تأثيرات فنية وجمالية تهدف إلى إبهار المتلقي وإثراء تجربته الشعرية.

التمهيد: الانزياح في اللغة هو زوال الشيء وتنحيه¹، ويكون بمعنى الذهاب أو التباعد، وبذلك يكون في اللغة له علاقة بالذهاب والتنحي والتباعد، أي تغيير حال معيّنة وعدم الالتزام بها، وقد ترتبط دلالته اللغوية بشيء آخر كقولنا: زاح عنه المرض أي زال عنه، أمّا اصطلاحاً، فدلالته اللغوية هي الخروج عن المألوف والمعتاد، والتنحي عن السائد والمتعارف عليه، وهو أيضاً إضافة جمالية بحق لأنه ينقل عمل المبدع وتجربته الشعورية للمتلقي، ويعمل على التأثير فيه، وبذلك يحقق قيمةً جماليةً وتعبيرية عندما يخرج عن المألوف ويتجاوز السائد، ويخرج عن المتعارف عليه، ولما كان الانحراف اللغوي مرتبطاً بالنص، ولما كان من الظواهر المهمة في الدراسات الأسلوبية التي تميّز النص الأدبي عموماً والنص الشعري خصوصاً، وذلك لما في النص الشعري من ميزات تجاوز المألوف. ويقول ابن الأثير في هذا المجال: «وحقيقة الانزياح مأخوذة من الثقات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارةً كذا، وتارةً كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصةً، لأنه ينتقل من صيغة إلى صيغة، كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماضٍ أو

غير ذلك»² وبما أن الأسلوب عند الشاعر والكاتب مرتبط بالصور والأساليب البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية، أو الانحراف عن قاعدة مألوقة مثل التقديم والتأخير، والحذف أو الذكر، أو غيرها من ظواهر الانحراف التي يركّز عليها علم الأسلوب الذي يُعتبر انعكاساً لشخصية الأديب وما يطرأ عليها من وقائع اجتماعية واقتصادية وسياسية تختص بالعصر الذي ينتمي إليه المُبدع، وبعبر عنه بكلام ينقل الفكرة والعاطفة المرتبطتين بالعقل والعاطفة، وكل ذلك يندرج تحت إطار العملية الأسلوبية التي تعمل على إثارة المتلقي وتحفيزه، لذلك تدرس الأسلوبية الخصائص اللغوية التي تحوّل الخطاب عن سياقه الإخباري اللغوي إلى وظيفة التأثيرية التي توقظ خيال المتلقي، وتعمل على إيقاظ مخيلته، وتحفزه على اكتشاف الجديد والقريب، ولذلك يعمل الشاعر أو الأديب على خلق معجم جديد مختلف ومخالف للطبيعة المألوفة في الكلام، وكلّ ذلك كي يكون الإبداع مخالفاً للخط المعيارى السابق سواء في اللغة، أو في الأساليب البلاغية.

ومن أبرز أنواع الإنزياح: الإنزياح الإسنادي، والإنزياح الدلالي، والإنزياح التركيبي التي سأحاول تناولها في هذه الدراسة.

المبحث الأول: الإنزياح الإسنادي

هو موجود في الجُمْلِ الإسمية والفعليّة «بحيث يعمد الشاعر إلى إسناد الفعل إلى فاعل ليس من مجموعته المعجمية المتعارف عليها، ومن المعروف لغوياً أن يكون المسند ملائماً للمسند إليه في كل جملة إسنادية»³. أمّا في الجملة الإسمية، فيمكن للخبر أن لا يكون من جنس المبتدأ معجمياً، وما يظهر بين الصفة والموصوف من تنافر بين الدلالات، وبين المضاف والمضاف إليه من تباعد بين الصفات المعجمية.

وقد مثل شعراء هذه الدراسة الشاعر أبو عبد الله محمد الفازازي القرطبي الذي يقول [من الكامل]⁴:

الرُّومُ تَضْرِبُ فِي الْبِلَادِ وَتَغْنَمُ	وَالجَوْرُ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ وَالْمَعْرَمُ
وَالْمَالُ يُورَدُ كُلُّهُ قَشْتَالَةً	وَالجُنْدُ تَسْقُطُ وَالرَّعِيَّةُ تَسْلَمُ
وَذُوو النَّعِينِ لَيْسَ فِيهِمْ مُسَلِّمٌ	إِلَّا مُعِينٌ فِي الْفَسَادِ مُسَلِّمٌ
أَسْفَى عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا	اللَّهُ يَلْطَفُ بِالْجَمِيعِ وَيَرْحَمُ

في صدر البيت الثالث تمّ تقديم الجار والمجرور على اسم ليس في قوله: «ليس فيهم مسلم» (في الفسادِ مُسَلِّمٌ) وقد قال الجرجاني في ذلك: «إنما الكلام البليغ هو أن تبدأ بالاسم وتبني الفعل عليه، فالتقديم والتأخير في الشعراء والنقد أسلوب بلاغي، ولكنه يدخل في الصورة البلاغية المعنوية، فيؤكّد المعنى ويبعد الغموض عن النصّ الأدبي»⁵. وقد أحسن الجرجاني تعريف التقديم والتأخير في قوله: «التقديم والتأخير بابٌ كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يكشف عن بديعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد السبب إن رافك ولطف عندك لأنّه قدّم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان»⁶.

ففي قصيدة «رثاء زُندة» للشاعر أبي الوليد إسماعيل بن عامر الحميري المعروف بلقب ابن الأبار. نجد التقديم والتأخير في أكثر من موضع في قوله [من الطويل]:

أحقاً أخلائي القضاء أبادكم	ودارت عليه بالصروف دهورها؟
فقتل وأسراً يفادي وفرقة	لدى عرصات الحشر يأتي سفيرها
لعمري الهدى ما بالحشا لفراقكم	سوى حرق سحم تلظى سعيها
ونفس على هذا المصاب حزينة	يذوب كما ذاب الرصاص صبورها
فيا حسرتا كم من مساجد حوّلت	وكان إلى البيت الحرام شطورها
فمحرابها يشكو لمنبرها الجوى	وآياتها تشكو الفراق وسورها

ففي البيت الأول كلمة «أبادكم» الضمير مسند إليه مستتر متقدّم على المسند يعود إلى القضاء، وقد تقدّم الفاعل أي المسند إليه على الفعل المسند، ثمّ في الفعل «دارت» نجد الفاعل مستتراً ومتأخراً يعود إلى «دهورها» المسند إليه؛ فهنا مجال التقديم والتأخير في الفاعل المسند إليه يساهم في دلالة ما تُشير إلى حكم القدر القاسي الذي ساهم في القضاء على خلّانه وأحبابه.

وفي البيت الرابع لم يأت الخبر وراء المبتدأ، بل تأخّر عنها «حزينة» أي أنّ المسند تأخّر عن المسند إليه «ونفس». وقد تقدّم على المسند الجار والمجرور «على هذا المصاب»، وتُتابع قول الشاعر في عجز البيت الخامس «شطورها» أي أنّ المسند إليه تأخّر وتقدّم عليه الجار والمجرور «البيت الحرام».

وفي البيت السادس والأخير، تقدّم المسند إليه «محرابها» عن المسند «يشكو»، وفي العجز أيضاً تأخّر المسند إليه «سورها» عن «آياتها» المعطوف عليه.

فالتقديم والتأخير في النماذج المذكورة يدخلان ضمن الأسلوب التصويري، ويكشفان عن الدلالة المحورية في القصيدة، وهي استعداد الشاعر للموت في سبيل هذه البلاد التي تجلّت أكثر ما تجلّت في تقديم الجار والمجرور على اسم ليس وعلى المبتدأ مما يظهر عمق المعاناة معاناة الشاعر وعدم احتماله ضياع تلك البلاد.

والملاحظ أنه في هذه النماذج، تمّ تعريف المسند إليه بالإضمار، ويؤتى بالمسند إليه ضميراً لأغراض منها «كون الحديث في مقام التكلم» كما هو واضح في تلك النماذج. كذلك قدم الشاعر المسند إليه أتى بالمسند بعده معرفة، «وإذا تعيّن كون المسند اسماً فذلك يفيد الثبوت»⁸ وهو «اسم معرفة لإفادة مقره على المسند إليه «حقيقة» أو «ادعاء» مبالغة الكمال معناه في المسند إليه»⁹.

ونلاحظ أن الشاعر أتى بالمسند إليه ضميراً بالإضمار، ليس لأن الحديث في قوم من السلم فحسب، بل لأن الحديث أيضاً في مقام الخطاب حيث أن الأصل في الخطاب أن يكون لمشاهد معينة، وقد يخاطب غير المشاهد إذا كان مستحضراً في القلب كما هي الحال في هذا النموذج.

كذلك أتى الشاعر بالمسند إليه ضميراً، ليظهر من خلاله حالة عدم الاستقرار النفسي التي يعيشها، والمشاعر المتناقضة التي يتعايش معها.

والتقديم والتأخير يؤثران في بنية الصورة الشعرية، حيث أنه نسق الكلمات الشعرية في سياقها «وفق توتر الحركة الإبداعية التي تولّد صياغة الجملة، فيعبر عن تداخل مكوناتها في تغيير الوظائف النحوية، التي يرافقها تغير في العلاقات الإعرابية التي يقتضيها سياق الجملة»¹⁰ وهذا الأسلوب يعود إلى ثقافة الشاعر وخبرته اللغوية والنحوية في تشكل الجملة ومعرفة وظائف أجزائها الدلالية، وأيضاً قدرته على نقل التعابير والانفعالات التي تنبض في ذاته من خلال التفاعل النفسي الذي يكوّن تصوّرات تركيبية للصورة العشرية عند الشاعر، مما يدفعه إلى تجاوز التركيب المعياري وقلب الجملة، مغيّراً نسقها وترتيبها المعتاد من أجل خلق مناخ شعري منشود.

ويُقدم المسند إذا كان هناك باعث على تقديمه وأريد به غرض من الأغراض «كالذم أو المدح»¹¹ ليس فيهم مسلّم/ في الفساد مُسلّم... والتي تعكس بمجملها إحساساً عميقاً بالنقمة ورغبة عارمة بالندم والأسف، وقد علّق الشاعر أهمية كبيرة على المكان، عندما قدّم الجار والمجرور في قوله: على تلك البلاد وأهلها/ فيهم مُسلّم/ في الفساد مُسلّم... وحاول صرف انتباهنا إلى المكان «الأندلس» التي تتناسب مع حقّ النصّ، فحاول فتح رؤية العالم على بلاده في لحظة من أكثر اللحظات انفعالية ومواجهةً لأن حُبّ الوجه والأرض هو الحياة بالنسبة إليه.

المبحث الثاني: الانزياح الدلالي التركيبي

نجد الانزياح الدلالي التركيبي بادياً في قصيدة نظمها أبو عمر بن المرابط شاعر وكاتب ابن الأحمر يستغيث فيها بسلطان المغرب يعقوب بن عبد الحق المريني لمساعدته على دحر قوات النصارى الغازية بقيادة الأذفنش صاحب قشتاله الذي أغار على غرناطة، وقد جاء قوله في هذه القصيدة: [من الكامل].

من مُتَّهَمٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ مِنْ مُنْجِدٍ؟
 بِالْعِدْوَتَيْنِ مِنْ أَمْرِي مَسْتَرْشِدٌ؟
 خُذْ مِنْهُ زَاوِلَ لَارْتِحَالِكَ مَسْعِدٍ
 مِنْهُ لِمَا يُرْضِي إِلَهَكَ وَاعْتَدِ
 مَشْحُوذَةً فِي نَصْرِ دِينِ مُحَمَّدٍ؟
 فَاهْلِكْ عَلَيْهِ أَسَىً وَلَا تَتَجَدَّدِ!
 مِنْ قَانَتَيْنِ وَرَاكِعِينَ وَسُجَّدِ!
 وَكِلَاهُمَا يَبْغِي الْفِدَاءَ فَمَا فِدِي!

هل من معيني في الهوى أو مُنْجِدِي
 هذِي سَبِيلَ الرُّشْدِ قَدْ وَضَحْتَ فَهَلْ
 هَذَا الْجِهَادِ رَئِيسَ أَعْمَالِ التَّقَى
 هَذَا الرِّبَاطُ بِأَرْضِ أُنْدَلُسٍ، فَرُحْ
 مِنْ ذَا يُطَهِّرُ نَفْسَهُ بِعَزِيمَةٍ
 كَمِ جَامِعٍ فِيهَا أُعِيدَ كَنِيْسَةٌ
 أَسْفًا عَلَيْهَا أَقْفَرْتُ صَلَوَاتُهَا
 كَمِ مِنْ أَسِيرٍ عِنْدَهُمْ وَأَسِيرَةٍ

لقد بدا انزياح الإضافة في قوله: رئيس أعمال التقى/ فيرضى إلهك / أقفرت صلواتها، سبيل المرشد، وظهر الانزياح النعتي في عباراته: أرض أندلس: /بعزيمة مستحوذة: / دين فهذه الدلالة تُعدُّ من باب المستويات اللغوية «وهي مجموع التأليفات المحققة لكلمة ما»¹³. كما نجد صيغ الاستفهام والأمر والتعجب والإخبار واضحة في هذه القصيدة، يرافقهما التوكيد (كلاهما) وقد زاد هذا التوكيد المعنوي «وهو مؤكد ثابت لهم به الإقناع التام أيضاً وجود (قد وضحت) للتوكيد وأسماء الإشارة هنا بدت واضحة في أكثر من موضع هذا الجهاد/ هذا الرباط/ من ذا.

فالأمر يقصد منه الاستغاثة والدعاء كقوله: خُذْ مِنْهُ / فرح/ فأهلك/ حيث أن الشاعر يئس من العالم ومن إمكانية خلاص الأندلس، وأصبح يدرك أن من أمل في الخلاص إلا بالإيمان السماوي الإلهي.

ويأتي الاستفهام في هذه القصيدة متعدّد الصور، وقد يتعداها إلى مرات عديدة متفرقة أحياناً، ومجمعة حيناً آخر، موحّدة الأداء أو منوّعة كقوله: هل من معينٍ في الهوى أو منجِد؟ / مَنْ مُتَّهَمٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ مِنْجِدٍ؟ / فهل بالعدوتين من امرئٍ مسترشد؟ / مَنْ ذَا يُطَهِّرُ نَفْسَهُ بِعَزِيمَتِهِ؟ /.

ونلاحظ أن الصيغ الاستفهامية المستخدمة، لا تحافظ على معانيها الوضعية الأساسية بل كثيراً ما تنزاح وتخرج إلى معانٍ ودلالاتٍ أخرى تكتسبها من التركيب¹⁴ وهنا تبرز طريقة الشاعر في توظيف الأساليب الإنشائية في نصه الشعري وفي إظهار المعاني والملاحظ أن الشاعر لا يقصد بالهمزة الصور أو التصديق والاستفهام في أصل وضعه اللغوي، أي طلب معرفة شيء مجهول، ويتكرر الاستفهام بشكل متتابع، الأمر الذي يخلق إيقاعاً حزيناً، يعكس حدة الشاعر وحزنه على فقدان الوطن وضياعه يحنُّ إليه وهو الأكثر شوقاً له، فيبرز العلاقة الحميمة التي كانت تربطه به ومثانة العلاقة التي كانت تجمعهما، وهو

يطرح أسئلته المتعددة والمتنوعة بشكل متتابع، وهذا ما يؤكد عدم انتظاره الردّ «وبذلك خرج الاستفهام عن دلالاته الحقيقية إلى دلالات شعرية ونفسية، تعبّر عن حنين الشاعر وقلقه وحيرته الشديدة، وعن الفراغ النفسي الذي يتخبط فيه، والقلق المتصاعد الذي يتأكد ويتفاقم مع الأداة (هل) التي تبلغ حدّ الإنكار»¹⁵.

وجاء الاستفهام بـ «مَنْ» في النموذج الثاني: من مُتهمٍ في الأرض أو منجد؟ من ذا يظهر نفسه بعزيمة مشحونة من يطرد ومن مُحمد؟ للإفصاح عن حالة الغضب وعدم الرضى لما آلت إليه الأحوال من ذلّ، وانعدام حرية، وعبوديات مختلفة، وانكماش حضاري وثقافي، فهو يعبّر عن مكونات نفسه من خلال استفهامات متتالية مهّد لها بـ (مَنْ) مقدّمه على بؤرة الاستفهامات غير منتظر الإجابة عن استفهاماته وتساؤلاته في الوقت الذي يفصح فيه عن لوعته وعنائه، بسبب ما تنوء تحته أمّته وشعبه، وبذلك وهو بذلك لا يقصد الاستفهام لذاته، إنما يتكئ عليه للإفصاح عن تخوّفاته وعن الأمور التي تؤلمه، فانزاح إذ ذلك إلى الاستفهام وتنبية المسلمين العرب إلى الضلال الذي يتخبطون فيه، بسبب انصرافهم عن نصرة دين الحق وتخاذلهم ومشاركتهم للظالمين في ظلمهم، وبذلك يتبدّى لنا أن الشاعر ينوّع في استخدام الاستفهام، فيأتي به موحد الأداة حيناً ومنوع الأداة حيناً آخر.

ونستنتج من خلال ذلك أن الاستفهام لا يحافظ على أصل وضعه بل ينزاح إلى معانٍ أخرى يكتسبها من خلال السياق الذي يرد فيه كالاستنكار والاستبعاد والتعجب والتنبية على ضلال الطريق والاستبطاء من خلال الإخبار واستعمال كم الخبرية في أكثر من موضع: كم جامع فيها أعيد كنيسة / كم من أسيرٍ عندهم وأسيرة /..

وفي الأمر بلغ عدد الجُمْل الأمرية جملتين كقوله: حُذ منه زادك / فأهلك عليه أسى / على صيغة (إفعل) ويقصد منه الاستغاثة والدعاء. فالشاعر يئس من العالم ومن إمكانية الخلاص، وأصبح يدرك أنه ما من أمل لديه، وما من خلاص، إلا بالإيمان بقوة سماوية إلهية وقد ظهر أسلوب النهي في قوله: لا تتجلد / وأسلوب النفي في قوله: فما فُديّ وهذا دليل على عدم رغبة الشاعر بالوعظ والإرشاد، وقد بدا الشاعر بعيداً كل البعد عن الاستعلاء.

ولم يخرج الشاعر عن قواعد اللغة العربية في استعمال الأساليب الإنشائية فحافظ على سلامة اللغة، واستطاع توظيف هذه الأساليب بما يخدم شعرية العبارة لديه. وقد توضّح ذلك من خلال الإنزياحات التي تعرضت لها الأساليب الإنشائية، وبذلك، يمكننا القول أنّ العبارة الإنشائية في هذه القصيدة هي بنية انزياحية قائمة على الانحراف، إذ أنها خرجت بمجملها عن معانيها التقديرية، وقامت على الإيجاز كما يمكننا القول، أن الشعر هنا أنهى مهمته البلاغية التصويرية.

بناءً لما تقدم، نستنتج أن الشاعر قد استرسل بالعطف، بما هو تتابع نفسي، وامتلأ

شعوري يفجّر في ذهن القارئ مباشرة المعنى المُراد، من خلال علاقة لغوية رابطة، تضيء البعيد وترسم فضاءات متجلّية الرؤية في حيوية وسلاسة.

وكذلك تقوم أدوات العطف هنا، بربط المقاطع بعضها ببعض كقوله: أو من منجد / واغتر / فاهلك / ولا تتجلّد / وأسيرة / وكلاهما إلخ...

أو والفاء والنواو وحروف العطف هذه وهي: قامت بربط الألفاظ والأفكار، مما ترك انطباعاً بترابط الجمل والمقاطع، وبالتسلسل الطاعني في العرض، للشرح والكشف عن العلاقات فيما بينها، لذا نرى هذا الشعر واضحاً، قريباً للفهم، بعيداً عن التعقيد، حيث أنّ المنطق يحكمه، ويتحكّم بتسلسل معانيه، وذلك «لأن نموذج العطف النحوي بين مجموعة من العناصر الحسيّة - المتباعدة في حقولها الدلالية - يقوم بتوليد مستوى تجريدي غائر، وهو القادر على تبرير الوصل في البنية العميقة للجملة الشعرية. وإنّ هذا الوصل هو الذي يشفّ عن رؤية جدلية تحل متناقضات العالم الحسيّ من دون صراع درامي»¹⁶.

وهنا يمكننا ملاحظة «فقدان العوالم» التي تشير إليها تلك الكلمات، خصوصيتها، عندما تُساق في نسق واحد مع ما يختلف معها، فلا يبقى منها سوى الجوهر الذي يؤلّف الوحدة الدّالة في البنية الكلّية للنص الشعري، وعندئذ يصبح النموذج النحوي - وهو هنا العطف - هو المولّد التعبيري للرؤية الشعرية»¹⁷.

ولا بد من الإشارة هنا إلى عدم استخدام هذه البنية اللغوية (العطف) وهي أكثر ملازمة للكتابة الوصفية منها للشعر.

بعد أن استعرضنا وجوه الانزياح في هذا الفصل وألقينا الضوء عليها في الشعر الأندلسي. نتقل إلى بحث النواحي اللفظية «للسّتات» وأثرها في تكوين بنية النص الشعري الأندلسي.

المبحث الثالث: الانزياح الاسنادي والإضافي وعلاقتهما بالمكان

شكّلت الذات لدى كثير من شعراء الأندلس محوراً أساسياً للتعبير عنها حين ارتبطت بعلاقات مع كائنات الطبيعة لقربها من نفوسهم، وللحميمية التي ربطت بينهم، فالحمام التي تناولها الشاعر القاضي «أبو عبد الله محمد بن أبي عيسى»¹⁸ (ت 339هـ / 950م) والتي كانت تغرد على الأغصان وتثير شجونه، وقد ذكرته بالأحبة وأيام الأنس في قرطبة، فذرف الدمع شوقاً، لكنّه حافظ على تماسكه وأصغى إليها ليتذكّر الأهل والوطن فقال من [البسيط]:

ويل أمّ ذكري من ورقٍ مُعَرّدة	على قضيب بذات الجذع مياس؟
رَدَدَن شَجَوًّا شَجَا قَلْبُ الخَلِيّ فهل	في عبّرة ذُرِفَتْ في الحُبِّ من باس؟
ذَكَرْنَهُ الزَّمَنَ المَاضِي بِقرطبة	بين الأحبة في أمنٍ وإيناس
هُمُ الصَّبَابَةُ لولا هِمَّةٌ شَرَفَتْ	فصيّرت قلبه كالجنّدال القاسي ¹⁹

فالشاعر يُكابِدُ الشوق في غربته، وتستثيره الكائنات والطيور الماثلة في المكان الذي يقطنُ فيه، وتُثيرُ شوقه مشاهد الطبيعة بأنواعها من حمامٍ وأغصانٍ أشجارٍ مياسة، وأصوات طيور مُغرّدة، فتُفجّرُ فيه رغبة الانعتاق من قيود الغربة التي يعيش فيها باتجاه نداءات الماضي الآتية من وطنه، وقد تفرّد بأسماء كائنات الطبيعة الآتية من بيئته الأندلسية كالورك المغرّدة/ قضيب مياس/ رددنا شجواً/ قرطبة/ الجندل القاسي، ومعظمها مُستمدٌ من بيئته التي وظّفها بلغة عذبة حزينة تعتمد التصوير الحسي للأشياء والأشخاص، وتقترب بمخيلة تجعل القارئ يدخل عالمه بلغة اشتقاقية عذبة ومثيرة، فظهرت اللغة عنده تلقائية سهلة.

ولو فكّنا مفردات هذه القصيدة، لوجدنا الكثير من النعوت والإضافات، وهي إسنادٌ يفضي إلى جملة من الدلالات التي تحقّق معانٍ كثيرة تجمع بين الصوت والذات واللوم «وركٌ مغرّدة/ الزمن الماضي/ قلب الخليّ/ الجندل القاسي»، وهذه الدلالات بحث عنها الشاعر كقارئ تساعده بقدر ما تثير فضول القارئ وتجعله يركّز في فضوله على خطاب الشاعر ويبحث فيما تؤوّل إليه ألفاظ هذا الشاعر من معانٍ وتصوّرات يتحسّسها المتلقي في البحث عن كثير من الأشياء الغامضة، وما يمكن أن يتوقعه في تفاصيل الألفاظ، ففي لفظة «رددنا شجواً» نجد أنها تحمل دلالة صوتية تخصّ الكائن الحيّ الأندلسي المغترب، وتحمل دلالة على المعاناة والاستجداء، وحتّى البكاء، وأمّا لفظة «وركٌ مغرّدة» فتحمل دلالة موسيقية أو جزءاً من الأندلس/ المكان. وهذا طبيعيّ أيضاً، وعند صياغتهما يبدو انزياحهما، أي إسنادهما إلى الرقص «قضيبٌ بذات الجذع مياس» فتُصبح العلاقة بين القُدّ المياس والغناء سلوكاً مستحدثاً وموجوداً في قرطبة (المكان الحافل بألوان الفرع والغناء) وكلُّ ذلك مصدر إلهام للشاعر ولكلّ منها خصوصيتها في نفسه لارتباطها بماضيه وعالم ذكرياته وما تحمله من بُعد تاريخي، ورمزٌ ثقافي، وحتّى جانبها الاجتماعي الحياتي. بالإضافة إلى استخدام الاستفهام كإسناد في قوله: «ويلٌ أمّ ذكريّ بذات الجذع مياس؟» حيث استخدم الشاعر «أم» كاستفهام، أيضاً «هل» في قوله «فهل في عبرة ذُرُفت في الحبّ من يأس؟».

وهنا يبرز الانزياح الدلالي في الشكل والأحاسيس والشاعر حيث تُهيجُ الحمام الورك النائحة شوق الشاعر إلى قرطبة، فيتذكّر الأهل والأحبة والوطن، بعدما كانت الأيام قد جعلت قلبه قاسياً كالجنديل.

وقد بدت علاقة الانزياح البلاغي التركيبي بالمكان من خلال شعر «سليمان بن محمد أبو أيوب البطلوسي» (ت سنة 400هـ/ 1009م) وها هو يصف حاله بعد مفارقتة للمحبوب وافتراقه عنه، فيلطمُ خديّه ويسفحُ الدمعَ مدراراً ويقول من [الكامل]:

وغمامة الدَّمع الوَكيفِ تبَعجي
 كالزَّندِ يُقدِّحُ أو ضِرامِ العُرفِجِ
 في الجَوِّ إلاَّ أَنَّهُ لم يُوهَجِ
 ليزيدَ بالإيماضِ في شَجْوِ الشَّجِي
 فلجِّ، ونَظْمِ الدُّرِّ غيرِ مُفلِّجِ
 يشكو إلى الداياتِ ضيقَ الدُّملِجِ
 فتعوَّضتْ من وُرْدِها ببِنفسِجِ²⁰

نارَ الصِّبابَةِ في الضُّلوعِ تَأجَّجِي
 فأرَى خِلالَ الغَيمِ مَبسَمِ بارِقِ
 فكأنَّهُ مِن أَضلعي متوقِّدِ
 وكانَّ محبوبي تَبسَمَ فوقَهُ
 بمنظَمِ كالدُّرِّ لکن زانَهُ
 أشكو إليه بضيقِ حالي مثلما
 لَطَمَت لَحَرَ البَينِ صَفْحَةَ وجْهها

لقد بدا التأخير والتقديم بارزاً في العبارات التالية:

«لَطَمَت لَحَرَ البَينِ صَفْحَةَ وجْهها»، «فتعوَّضتْ من وُرْدِها ببِنفسِجِ»، هنا نجد ترجيحاً في ميزان العاطفة فمرة العاطفة متأججة في الضلوع، ومرة عاطفة الشوق تبدو غمامة دمع في الفضاء تتبعج ماءً وأمطاراً ودمعاً، فأكثر من استعمال التشبيه في قوله كالزند يقدح، وقد تقدمت شبه الجملة على الفعل في قوله «في الضلوع تأججِي»، و«كالزند يقدح»، وهنا بدا استعماله للتشبيه وأيضاً في قوله «فكأنه متوقد»، وأيضاً قوله: «وكانَّ محبوبي تبسم»، فقد اشتدَّ أوارُ نار الصِّبابَةِ وسال الدمعُ غزيراً، وأطلَّ مَبسَمِ المحبوبِ في وميض كالبرق في النجوم، وكالذهب المُتقد بين ضلوع الشاعر، فزادهُ شجواً، وشكا ضيقَ حاله، ولطمت الحبيبة خديها لفراقه حُزناً وألماً حتَّى غدت هذه الخدود عابقة باللون البنفسجي بعدما كانت زهرية كالورد.

وذلك يؤكِّد محورية الذات العاشقة الحزينة المشتركة بينه وبين الحبيبة من خلال التقديم والتأخير واستعمال الأسلوب البلاغي الحافل بالتشبيهات والاستعارات التي تؤكِّد وتبين أهمية الانفعالات والتعابير التي تختلج في ذاته تجاه محبوبته العاشقة.

ولا ننسى وجود الضمائر المهيمنة على النص الشعري في قصيدة ابن سعيد²¹ (610-685 هـ) / (1214 - 1286م) الذي حنَّ إلى إشبيلية، فتساءل عن إمكانية العودة إلى ربوع الوطن الزاهرة، وسرَّتْ أنفاسُهُ شِعْراً يُحاكي أنفاسَ الزهور وغناء الطيور، ونسيم مياه البحر الباردة [من مجزوء الرجز]:

يا هل تُرى زماناً
 لدى العروس سَقَّتْ
 حيثُ الغُصُونُ مالتْ
 وزَهْرُها نَظِيمٌ
 حَمَامُها تَغني
 وبالنَّسيمِ شَقَّتْ

مضى لنا يَعود
 جنانَها العُهودُ
 كأنَّها قُدودُ
 كأنَّه عُقودُ
 أعطافُها تَميدُ
 لنَهْرُها بُرودُ

في قصيدة ابن سعيد سيطرت الضمائر على النصّ الشعري سواء منها الضمائر: الغائب بصيغة المؤنث (مالت/ كأنها/ زهرها/ حمامها/ شقّت/ مضى/ جنانها) فهذه الضمائر المسندة إلى الاسم أو الفعل تُشكّل علاقة المكان بهذه الموجودات والكائنات حيث تبين حينه لأيام العيش الرغيدة التي قضاها في إشبيلية، فكان دائم السعادة كأنّه الخليفة الأمويّ الذي يأمر ويُطاع، ولكنّه الآن - وقد فارقها - أمسى كالفقيد المُشتّت التائه خاصة في قوله في نهاية القصيدة

فها أنا إذا ما فقدتها فقيدٌ

لقد بدا الشاعر مُنزاحاً بعاطفته إلى ربوع إشبيلية الزاهرة، فجاءت عبارته حافلة بالإسنادات البلاغية والتركيبية التي زادت من جمال القصيدة ومن مرارة الحنين والإحساس بالفقد والضياع.

ويقول العقاد عن الثبات والحركة: «اللغة العربيّة هي أكبر من كونها لغة شعرية لإنفرادها بفضّ العروض المحكّم وجمال وقعها في الإسماع، فهي لغة شاعرة لأنّها تصنع مادّة الشعر وتمثله في قدامها وبنيانها، إذ كان قوامها الوزن والحركة»²²

لقد هدَفَ هؤلاء الشعراء إلى إبهار المتلقي القارئ، فكان الانزياح وسيلة من الوسائل التي استعملوها لتحقيق غاياتهم، وهو من الظواهر المهمّة في الدراسات الأسلوبية التي تقارب النصّ الأدبي عموماً، والنصّ الشعري خصوصاً، باعتبار النصّ الشعري يميّز نفسه بالخروج عن المألوف، لذلك أدهشنا كلُّ شاعر من هؤلاء الشعراء بكمّ هائلٍ من الخروج عن اللغة المعيارية، لتصوير الشعور الذي حملنا على فكِّ رموزه بحيث اختلف الإيقاع مع كلِّ نبضٍ من نبضات الشاعر الأندلسي.

فالأماكن التي احتضنت هذه النبضات والمشاعر كانت تحتضن الإرث الإيديولوجي الذي ساهم في صياغة هذه الأحاسيس سواء ما كان منها انزياحاً إضافياً، أو نعتياً، أو ضمائرياً، أو بلاغياً.

هكذا كان يرى هؤلاء الشعراء الانزياح من خلال إقرارهم وحينهم لما حمله الماضي من معانٍ تتعلّق بتلك الأماكن، عندما أجبروا عن الابتعاد عنها قصراً، فتغيّرت أمور كثيرة في حياتهم، خاصّة أنّهم انتقلوا إلى أماكن لم يتصالحوا معها، وهكذا كانوا يتشوّقون إلى الأماكن الأخرى التي لم يستطيعوا نسيانها ولم يستطع البلد الجديد طمس صور تلك الأماكن الأليفة، بلحوا ومرّها. فهذا الانزياح اتسم ببعض السمات المصاحبة لشعرهم كالابتكار والرقة والجِدّة والنضارة والإثارة العاطفية، فانتشرت النعوت لتعطي لتلك الأماكن روحاً بكلّ ما للكلمة من معنى، فهي تفرح وتحزن وتحتضن الأحباب وتحزن لفراقهم بعدما غدت بعيدة المنال، ولكنّها احتلّت الذكريات التي كان الشاعر متجذراً فيها يتماهى معها،

وأما توالي السنين فإنها لم تكن كضيلة بنزع عبير الماضي الجميل، خاصةً وأنه كان غذاء الشعر وخاصةً الشعر الأندلسي الموريسكي الذي حفلَ بذكريات تلك الأماكن التي شهدت كلَّ التبدل في الواقع، ولكنها كانت ثابتة في الذاكرة، وفي فترة الابتعاد القسرية كان يلقي الشعراء بظلال معاناتهم في الابتعاد عن تلك الأماكن على الطبيعة وكائناتها، إذ أعطى الشعراء لكلِّ نوع منها مهمةً تعبير عمّا يختلج في قرارات نفوسهم من مرارة وحزن، فلهثوا وراء صور الماضي الجميل التي دفنت في ظلمة الحاضر، ولكنَّ التوكأ على تلك الذكريات كان العمود الأساسي ليصل مجددًا إلى ذلك المكان (الأندلس) الذي يرافقهم إلى مرقدهم الأبدي الذي كان حافلًا بالرونق والألق، فإذا به يصبح داكنًا، قاتمًا، ولكنه يبقى المبتغى والأمان والأمل المنشود للشعراء الموريسكيين الأندلسيين.

النظريات

نظرية الانزياح:

تُفسر نظرية الانزياح كيفية تحويل الدلالة التقليدية للكلمات والجمل إلى دلالات جديدة. الانزياح يعني الانحراف عن المعاني المألوفة أو القواعد اللغوية المتعارف عليها، مما يخلق تأثيرات جمالية وفنية معقدة.

نظرية الاستعارة:

توفر الاستعارة وسيلة لتحقيق الانزياح الدلالي من خلال نقل معاني الكلمات من مجال إلى آخر، مما يضيف أبعادًا دلالية جديدة للنص. الاستعارة ليست مجرد تشبيه مبسط، بل هي عملية تحويل دلالي عميقة تعيد تشكيل المعنى التقليدي.

نظرية البلاغة:

تركز نظرية البلاغة على كيفية استخدام اللغة لتحقيق التأثير الفني والجمالي. تشمل البلاغة مجالات متعددة مثل التشبيه، الاستعارة، الكناية، والمجاز، وكلها تلعب دورًا هامًا في تحقيق الانزياح الدلالي.

نظرية التأويل:

تعنى نظرية التأويل بفهم وتأويل النصوص الأدبية من خلال تحليل الانزياح الدلالي. التأويل يعتبر عملية نشطة من قبل القارئ لاستخراج المعاني الخفية والرمزية في النص، مما يضيف أبعادًا جديدة للفهم والتفاعل مع النص.

النتائج

1- تميز الشعر الأندلسي بالانزياح الدلالي

أظهرت الدراسة أن الشعر الأندلسي يتميز باستخدام مكثف للانزياح الدلالي، مما يعكس قدرة الشعراء الأندلسيين على تحويل المعاني التقليدية للكلمات والجمل إلى دلالات جديدة

وغير مألوفة. هذا الاستخدام لم يكن عشوائياً، بل كان مقصوداً لتحقيق تأثيرات فنية وجمالية تهدف إلى إبهار المتلقي وإثراء تجربته الشعرية.

2- التنوع الفني في الأساليب الدلالية

أوضحت الدراسة تنوع الأساليب الفنية التي استخدمها الشعراء الأندلسيون لتحقيق الانزياح الدلالي. من بين هذه الأساليب:

● الاستعارة: حيث تم نقل المعاني من مجال إلى آخر بطريقة مبتكرة، مما أضفى عمقاً على النصوص الشعرية.

● التشبيه: استخدم الشعراء الأندلسيون التشبيهات لتعزيز المعاني وإضافة أبعاد جديدة لها.

● التجسيد: إضفاء صفات مادية على المعاني المجردة، مما جعل الأفكار أكثر حيوية وقرباً من المتلقي.

● التلاعب بالألفاظ: استخدام الألفاظ بطرق غير تقليدية لتحقيق دلالات جديدة، مما أضاف طابعاً فنياً مميزاً للنصوص الشعرية.

3- تأثير السياق الثقافي والتاريخي على الشعر الأندلسي

بينت الدراسة أن السياق الثقافي والتاريخي للأندلس لعب دوراً كبيراً في تشكيل خصائص الشعر الأندلسي. كانت الأندلس مركزاً للثقافة والفكر في العالم الإسلامي، مما أثرى التجربة الشعرية للشعراء الأندلسيين ومنحهم حرية في التجريب والابتكار الأدبي.

4- إسهامات الشعراء الأندلسيين البارزين

سلطت الدراسة الضوء على إسهامات بعض الشعراء الأندلسيين البارزين مثل ابن زيدون، وابن خفاجة، وابن عبد ربه، وغيرهم. هؤلاء الشعراء قدموا أعمالاً أدبية مميزة تُعتبر من أبرز نماذج الشعر الأندلسي، واستخدموا الانزياح الدلالي بطرق مبتكرة لتحقيق تأثيرات فنية ومعنوية عميقة.

5- تأثير الانزياح الدلالي على المتلقي

أظهرت النتائج أن الانزياح الدلالي في الشعر الأندلسي له تأثير كبير على تجربة المتلقي. هذا التأثير يتجلى في تفاعل المتلقي مع النصوص الشعرية على مستويات متعددة، حيث يتم تحفيز القارئ على التفكير والتأمل في المعاني العميقة والمخفية وراء الكلمات. هذا التفاعل يزيد من تقدير المتلقي للجمال الفني للنصوص الشعرية.

6- توصيات للدراسات المستقبلية

بناءً على النتائج، توصي الدراسة بإجراء المزيد من الأبحاث حول تأثير الانزياح الدلالي في أنواع أدبية أخرى مثل النثر والرواية، ودراسة تأثير هذا الانزياح على الأدب المعاصر. كما توصي بإجراء دراسات مقارنة بين الأدب الأندلسي وأدب المشرق لفهم الفروقات والتشابهات بينهما.

الخاتمة

ختامًا، يُظهر البحث أن الانزياح الدلالي يشكل جزءًا أساسيًا من جمالية الشعر الأندلسي، ويعكس القدرة الإبداعية للشعراء الأندلسيين في تحويل المعاني التقليدية إلى دلالات جديدة ومبتكرة. هذه الدراسة تسهم في فهم أعمق التقنيات الشعر الأندلسي وأثرها على الأدب العربي والعالمي، وتفتح آفاقًا جديدة لدراسات أدبية مستقبلية تتناول الانزياح الدلالي وتأثيره في مجالات أدبية متنوعة.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب العربية:

- 1- ابن خلدون. (د.ت). العبر وديوان المبتدأ والخبر(المجلد 1، ص 139-131).\
- 2- ابن رشيق. (د.ت). العمدة(الجزء 1، ص 260).
- 3- ابن منظور. (1988). لسان العرب (الجزء 2، ص 51-42؛ الجزء 6، مادة «زيح»، ص 211). تحقيق علي شري. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 4- الجرجاني، عبد القاهر. (1912). دلائل الإعجاز. تحقيق محمد رشيد رضا. بيروت: دار المعرفة.
- 5- الحبيب، عبد الكريم صالح. (2010). أبنية الجمالية في الشعر. بيروت: مكتبة صادر، ناشرون.
- 6- الحميدي. (1886). جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس. القاهرة: المطبعة السلفية.
- 7- العقاد، عباس محمود. (1964). اللغة الشاعرة. ط1، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- 8- عتيق، عبد العزيز. (1968). الأمير العربي في الأندلس(ص 420).
- 9- فضل، صلاح. (1995). أساليب الشعرية المعاصرة (الطبعة الأولى، ص 111-112). بيروت: دار الآداب.
- 10- كوهين، ج. (1969). Structure du langage po'tique. Paris: Flammarion.
- 11- المقري. (بدون تاريخ). نوح الطيب(الجزء 6، ص 224).

الكتب الأجنبية:

- 1 - Caro Baroja, J. (1957). Los moriscos del reino de Granada. Madrid.
- 2 - Carrasco, R. (1974). La sociedad morisca en el siglo XVI. Granada: Universidad de Granada.

- 3 – Castro, A. (1977). España en Historia, Cristianos, Moros y Judíos. Buenos Aires.
- 4 – Chejne, A. G. (1980). Historia de España Musulmana. Madrid: Ediciones Cátedra.
- 5– Ciezar, N. Cabrillana. (Year). Una fuente para la historia de los Moriscos. In Religió nidentidad.
- 6 – Dan, P. (1649). Histoire de la barbarie et sescorsaires. Paris.
- 7– Dedieu, J.–P. (Year). Les morisques de Daniel et l’inquisition. In Les morisques et leur temps.

الرسائل الجامعية:

- 1 – المري، أحمد. (2018). «الموريسكيون في الأدب الإسباني: دراسة تحليلية» (رسالة ماجستير). جامعة القاهرة.
- 2 – علي، ياسر. (2021). «دور الموريسكيين في التاريخ الإسباني: دراسة حضارية» (رسالة دكتوراه، جامعة دمشق).
- 3 – عبد الرحمن، محمد. (2017). «دور الموريسكيين في تطور الحضارة الأندلسية» (رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر).

الهوامش:

- 1 – ابن منظور: لسان العرب، تحقيق علي شري، م6، مادة “زيح”، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 8891م، ص 112.
- زيح: زاح الشيء يزيح زيحاً وزُيُوحاً وزُيُوحاً وزيحاناً، وانزاح: ذهب وتباعد، وأزحته وأزاحه غيره. وفي التهذيب: الزيُّحُ ذهابُ الشيء، تقول: قد أزحت علته، فزاحت، وهي تزيحُ؛ وقال الأعشى: وأرملَةٌ تَسْعَى بِشَعَثٍ كَأَنَّهَا وَإِيَاهُمْ، رُبِّدٌ أَجْثَرُ ثَالِهَا هُنَّأْنَا، فلم تمنن علينا، فأصبحت رخيّةً بمالٍ، قد أزحنا هُزالها
- 2 – ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والأشاعر، ج2، ص 3.
- 3 – كوهين، مصدر سابق، ص 401.
- 4 – المقري: نفع الطيب، ج6، ص 422.
- 5 – راجع: ابن رشيقي، العمدة، ج1، ص 062.
- انظر: الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق. محمد رشيد رضا، دار المعرفة؛ بيروت، لبنان، دبي، ص 38.
- 6 – الجرجاني، عبد القاهر، مصدر سابق.

- 7- عرصات في اللّغة جمع عرصة، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه، وعرصات يوم القيامة معناها مواقف.
- 8- كوهين، ص 401.
- 9- sirap ,noirammalF ,euqit´op egaugnal ud erutcurts ,nehoC ,naeJ ,41p ,9691
- 10- الحبيب، عبد الكريم صالح ، أبنية الجمالية في الشعر، مكتبة صادر، ناشرون، 0102، ص 17.
- 11- الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة، ص 531.
- 12- ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج 7، ص 904-114.
- وعتيق، عبد العزيز: الأمير العربي في الأندلس، ص 024.
- 13- كوهين، ص 41.
- 14- الهاشمي، أحمد، مصدر سابق، ص 38.
- 15- الهاشمي، أحمد، مصدر سابق، ص 88.
- 16- فضل، صلاح، أساليب الشعرية المعاصرة، ط1، دار الآداب، بيروت، لبنان 5991 م ص 111-211.
- 17- فضل، صلاح، المصدر نفسه ص 411.
- 18- هو القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي عيسى من بني يحيى الليثي، ولي القضاء أيام الأمير عبد الرحمن بن محمد. أدرك عهد الناصر. (الجدوة: 69؛ والبغية: ص 218؛ واليتيمة: 2: 63؛ وقضاء قرطبة: 17).
- 19- نفع الطيب، مصدر سابق: 2:13.
- 20- الحميدي. (6881). جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس. القاهرة: المطبعة السلفية، ص222.
- 21- نور الدين أبو الحسن علي بن موسى العنسي (بالإسبانية: ibirhgaM-la diaS nbI) (586-016 هـ) / (4121 - 6821م) المعروف بابن سعيد المغربي هو مؤرخ، وشاعر، وعالم بالأدب، ولد بقلعة يحصب (اليوم ألكالا لا ريال) قرب غرناطة، ونشأ و درس واشتهر، حتى كان واسطة عقد بيته و درّة قومه، عاش في إشبيلية حيث قرأ النحو على أعلام إشبيلية كأبي علي الشلوين وغيرهم ، قام برحلة طويلة زار بها مصر والعراق والشام، وتوفي بتونس، وقيل: في دمشق. وهو من ذرية الصحابي عمار بن ياسر(ابن سعيد المغربي، 4121-6821).
- 22- العقّاد، عباس محمود: اللغة الشاعرة، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ص8.

تطوير طرائق التعليم عبر تعزيز القدرات التعليمية باستخدام أنشطة تعليمية صائبة

- المقدمة:

وفقاً للمناهج الجديدة، ولتكوين مادة علمية عصرية بوسائل تربوية ناشطة لرفع مستوى التعليم وسد الثغرات. وإنطلاقاً من إنجاح هذه العملية التعليمية يتطلب مساهمة فعالة من كل صاحب رأي غيرور على العملية التربوية، ينتقد ويقيم بشفافية، ويضع مهاراته موضع التنفيذ، فيصحح السلبيات بنواح إيجابية إنسانية، فيصوّب ويحسن بهدف الأفضل. عندها يكون هذا الناقد أشبه بالفلاح الذي يقلب الأرض ويبذر الزرع، ويسقي الشتول ليقطف في نهاية المطاف ثمر العافية وجنى العمر.

فالأنشطة التعليمية كثيرة، وعلى (المُعلِّم) أن يسعى إلى تعميق معرفة (المُتعلِّم) والاقبال على شتى الموضوعات والاستزادة من الثقافة، والاستفادة من الثمار الفكرية والفنية المعروفة أمامه.

فالمُتعلِّم هو ذاك الشريك الأساس في عملية التعلم والتعليم، لذا لا بُدّ من أنشطة تؤنس قلب هذا المُتعلِّم، وتطيّب خاطره، وتلطف مزاجه. فحين نسأل المتعلمين أسئلة مغلقة، لا حول لهم ولا قوة عن الإجابة عليها، أو ربما الجواب يحتاج إلى تنبؤ، أو عبقرية، أو ثقافة عامة، هم في حلٍّ منها كونهم متلقين، ببغائين، لا وجود لموجّه تربوي لهم، يقرب لهم الأمور، ويخفف عنهم الصعاب، ويزيل من أمامهم المُبهم من الأسئلة، وهي كثيرة...!

هذا هو "المعلم" الإنسان الذي يجهد جهداً بالحروف والكلمات ليصوغها في أسلوب، يُعبّر فيه عن ذاته، ما دام الفكر في تطوّر

وتجدد، والفرادة دائمة في العملية التربوية... ولكي يظل التطور مستمراً في رحاب العملية التعليمية، وإطلاقاً من مناهجنا الدراسية، من الكتاب المدرسي، من الأنشطة المرجوة التنفيذ، من فهم المسموع، من النص من الصورة، من كل هذه التقنيات... لتعزيز القدرات، ولتنمية الكفايات، عند ذلك "المتعلم"، ذاك الطفل الصغير الذي يحب شيئاً فشيئاً أملاً بالمسير، بالركض، بالجري مسافات. وإذا ما كانت الخطوة الأولى واثقة فلا خوف عليه من سباق مع العدائين ...

لذا علينا الجري وطلابنا الأعزاء سوية، يداً بيد، مُعتمدين الإيضاح، والتدرج السهل في إيصال المعلومات، مُبتعدين عن التعقيد اللفظي، فاللغة هي وعاء الفكر، وفكرنا في خدمة "طلابنا" ليتغذوا به، وينهلوا منه، شرط أن ينزل هذا الفكر من عليائه ويدغدغ هذه البراعم المتفتحة بعفوية، ورقّة، وهناء. فيتعاملون معه حينها بمحبة، ورغبة، وإرتياح... فتكون الخطوة واثقة في طريق التعليم والتعلم من خلال إعتقاد الأنشطة الميدانية التي تسهل على المتعلمين البحث، والإدراك، والمعرفة، وبفضل هذه الأنشطة المؤنسة يُترك للمتعلم أن يندفع في الاجابة، وينكب على التعلم في سبيل انعاش فكره وتطويره:

أ- التعبير المستقل.

ب- مشغل مختبر.

ج- بناء نشاط تعليمي تعليمي.

د- إعداد بيان مُطالعة.

أ- التعبير المستقل: " فهم المسموع"

- توطئة :

لقد أدرك القيمون على المناهج الجديدة في لبنان الخطر الذي لحق باللغة العربية، إذ تحوّل تدريس اللغة العربية إلى كل ما هو مدوّن مكتوب، فكان للإصغاء والتعبير الشفهي مساحة في المنهاج، ولكن وللأسف، لم يعر الموضوع اهتماماً كافياً. وباعتبار الإنسان يرى، فهو يسمع أيضاً، من هنا ضرورة: "النصوص المسموعة" في العملية التعليم والتعلم، بحيث يقلب الصف من الخمول إلى النشاط، ومن الضعف في التعبير إلى الجودة، ومن الركافة في اللغة إلى السبك السليم، ومن العبوس والاضطراب إلى البهجة والراحة... وربما نتساءل ما الجديد الذي تضيفه النصوص المسموعة على لغتنا؟ بكلمة أقول: قد تحدث هذه النصوص توازناً بين الشفهي والكتابي، يؤدي إلى بناء شخصية المتعلم بناءً متوازناً وتعزيز قدرته على التواصل اللغوي.

لذا أختار من هذه النصوص نشاطاً بعنوان: "الإجابة عن أسئلة تتعلق بمستند مسموع".

× خصائص النص المختار:

- سلس من حيث التركيب.
- في معانيه معارف وقيم.
- ملائم ومستوى المستمعين.

× أنواع الأسئلة:

- ملء فراغ.
- تمييز الصحيح من الخطأ.
- تصحيح خطأ.
- ترتيب جمل.
- أسئلة متنوعة.

× مرتكزات الإجابة:

- إيراد الفكرة المناسبة للسؤال.
- استعمال لغة سليمة.
- استعمال أسلوب شخصي.
- الإجابة عن الأسئلة شفهيًا أو كتابيًا.

× التقييم

• المجال: التواصل الشفهي، إصغاءً

- الكفاية: الإجابة عن أسئلة تتعلق بمستند مسموع
- الوضعية: إجابة فردية . الوقت: حصة كاملة
- النص: أمتن الروابط للكاتب جبران خليل جبران

أمتن الروابط

عزيزتي الأنسة ميّ

مُنذ كتبتُ إليك حتى الآن وأنت في خاطري. ولقد صرفتُ الساعات الطوال مفكرًا بكٍ مخاطبًا إيّاك مستجوبًا خفاياك مستقطبًا أسرارك. والعجيب أنني شعرتُ مراتٍ عديدةً بوجود ذاتك الأثيرية في هذا المكتب ترقبُ حركاتي وتكلمني وتحاورني وتبدي رأيها في مآتي وأعمالي.

أنتِ بالطبع تستغربين هذا الكلام، وأنا أستغربُ حاجتي وإضطراري إلى كتابته إليك. وحبذا لو كان بإمكانني معرفة ذلك السر الخفي الكائن وراء هذا الاضطرار وهذه الحاجة الماسة.

قد قلتُ لي مرةً "ألا إنّ بين العقول مساجلةً وبين الأفكار تبادلًا قد لا يتناوله الإدراك

الحسيّ ولكن من ذا الذي يستطيعُ نفيه بتاتاَ من بين أبناء الوطن الواحد؟“.

في هذه الرابطة يا ”مي“، في هذه العاطفة النفسيّة، في هذا التفاهم الخفيّ، أحلامٌ أغربٌ وأعجبٌ من كلّ ما يتمايلُ في القلبِ البشريّ، أحلامٌ طيّ أحلام طيّ أحلام. وفي هذا التفاهم يا ”مي“ أغنية عميقة هادئةٌ نسمعها في سكونة الليل فتنتقلُ بنا إلى ما وراء الأبيدة.

وفي هذه العاطفة يا ”مي“ غصّاتٌ أليمةٌ لاتزول ولكنها عزيزةٌ لدينا ولو استطعنا لما أبدلناها بكلّ ما نعرفه ونختلّه من اللذات والأمجاد.

استعطفك يا صديقتي أن تكتبي إليّ، وأستعطفك أن تكتبي إليّ بالروح المطلقة المجردة المجنحة التي تلعو فوق سبل البشر.

والله يحفظك يا ”مي“ ويحرسك دائماً .

صديقك المخلص

جبران خليل جبران

(عن الشعلة الزرقاء)

× توثيق النص:

النص ”أمتن الروابط“ من كتاب ”الشعلة الزرقاء“ لجبران خليل جبران، الذي ولد في بلدة بشري في شمال لبنان عام ١٨٨٣، ومن النساء اللواتي نشأت بينه وبينهن علاقة فريدة ، الأدبية مي زيادة التي كانت تقيم في مصر. وبالرغم من أنهما لم يلتقيا قط فقد نمت بينهما عاطفة قويّة عرفها البعض أنها كانت ”حبا عبر المسافات“.

× الأهداف التربوية:

- إدراك أهمية الأدب في إظهار العواطف الإنسانية.
- توسيع الأفق الثقافي وتعميق فهم العلاقة الوجدانية بين الرجل والمرأة، وإظهار أهميتها.
- تمجيد الصدق في عواطف المحبين.

× الأهداف التعلّمية:

- إغناء المخزون اللغوي للمتعلّم على مستوى المفردات والتعابير.
- التمكن من الاصغاء والاستماع لتسجيل الإجابات الصحيحة.
- تعزيز قدرة المتعلّم على التعبير الشفهي.

* النشاط: استمع إلى نص: "أمتن الروابط" لجبران خليل جبران، ثم أجب عن الأسئلة الآتية: (خمس علامات)

- أولاً: اختر الإجابة الصحيحة √ فيما يلي:

١- ما لهجة الخطاب التي استهلها جبران في حديثه مع "مي" ؟
أ- حبيبتي الغالية مي.
ب- عزيزتي الأنسة مي.

٢- أحس جبران مرات عديدة بوجود ذات "مي" الأثيرية في :
أ- لوحاته تبسم له وتحاوره.
ب- مكتبه ترقب حركاته وتكلمه

٣- ما طبيعة العاطفة القائمة بين جبران و"مي" ؟

أ- عاطفة نفسية: أحلام "أغرب وأعجب من كل ما يتمايل في القلب البشري.
ب- عاطفة خيالية: جنون "أغرب وأعجب من الهذيان وتفتت القلب البشري.

٤- يصف جبران التفاهم بينه وبين "مي" بأنه:

أ- أغنية غريبة عجيبة يسمعانها في صمت فتنتقل بهما إلى البعيد.
ب- أغنية عميقة هادئة يسمعانها في سكون الليل فتنتقل بهما إلى الأبدية.

٥- بأي روح يودّ جبران أن تراسله "مي" ؟

أ- أن تكتب إليه بالروح المطلقة المجردة المجنحة التي تعلو فوق سبل البشر.
ب- أن تكتب إليه من القلب النابض بالحب الصادق الذي يتحدى الزمان.

- ثانياً: املأ الفراغ بالكلمة المناسبة: (ست علامات)

أنت بالطبع هذا الكلام، وأنا أستغرب و..... إلى كتابته إليك.
وحبذا لو كان معرفة ذلك الخفي الكائن وراء هذا وهذه
الماسة.

قد قلت لي مرة "ألا إن بين العقول وبين الأفكار..... قد لا يتناولها الإدراك
..... ولكن من ذا الذي يستطيع بتاتا من بين أبناء الواحد؟".

- ثالثاً: أعرض ثلاثة شعراء عالجوا موضوع الحب والغزل بطرق مختلفة: (علامتان)

الأباحتية: _____

العذرية: _____

الصدقة: _____

أي من هؤلاء الشعراء يمثل وجهة نظرك؟ _____

- رابعاً : كيف تنظر أنت إلى المرأة، وهل صحيح أنّ المرأة شرٌّ لا بدّ منه، وهل تقبل علاقة حب مع امرأة متمردة؟
(سبع علامات)

* يتحقق في هذا السؤال النقاش بين المتعلمين، في استجماع آرائهم حول نظرتهم إلى المرأة كلّ على طريقته:
(نظرة جسديّة / نظرة روحيّة).

* يقسم الصف إلى مجموعتين:

أ- من يفضل المرأة القويّة؟

ب- من يفضل المرأة الهادئة؟

* إجراء إستبيان ظهر فيه تقييماً للمرأة وسلوكها: (الخيانة، التمرد، التسلط، المحبة، العطف، التسامح ...) وصولاً إلى ابراز صورة المرأة المثاليّة في نظر المتعلمين.

ب- مشغل / مختبر:

- الوحدة التعلّميّة: الأدب في التعبير عن المواقف الوجدانية.

- النصّ: أحبيني بلا عُقدٍ للشاعر " نزار قباني "

أحبيني بلا عُقدٍ

أحبيني بلا عُقدٍ وضياعي في خطوط يدي

أحبيني لأسبوع، لأيام ، لساعات

فلستُ أنا الذي يهتمُّ بالأبدِ

تعالى واسقطني مطراً على عطشي وصحرائي

وذوبي في فمي كالشمع، وانعجبي بأجزائي

أحبيني بطهري أو بأخطائي

وغطيني، أيا سقفا من الأزهار، يا غابات حنائي

أنا رجلٌ بلا قدر، فكوني أنت لي قدري
أحبيني ولا تتساءلي كيف، ولا تتلعثمي خجلاً
ولا تتساقطي خوفاً
وكوني الأرض والمنفى
وكوني البحر والميناء
كوني الصحو والإعصار
كوني اللين والعنفَ
أحبيني، معذبتِي، وذوبي في الهوى مثلي كما شئتِ
أحبيني بعيداً عن مدينتنا التي شبعتُ من الموت
أحبيني أحبيني ...

نزار قباني / الرسم بالكامات

• الصورة :



× الأسئلة:

- 1 - ما نوع هذه الصورة:
 فوتوغرافية رسم بالطباشير رسم بالفحم صورة زيتية
- 2 - ماذا تمثل هذه الصورة؟
- 3 - ما المشاعر التي تعيشها المرأة في هذه الصورة؟

- 4 - كيف توزّع فيها البياض؟ وما قيمته الفنية؟
- 5 - بين المكان الذي تبرزه الصورة ، شارحا دلالاته.
- 6 - أوضّح مظاهر الإغراء في هذه الصورة.
- 7 - تظهر الصورة عددا من المزايا التي يفاخر بها الرجل، حدّد تلك المزايا.
- 8 - للحب حضور في هذه الصورة، أوضّحه باستخراج بعض العناصر الدالة عليه.
- 9 - هل للطبيعة حضور في هذه الصورة؟ ماذا أضافت من ايحاءات؟
- 10 - اختر للصورة عنوانا آخر معبّرا ، وسوّغ إختيارك.

× إختيار مقطوعة موسيقية للنصّ:

يصح أن ترافقه:

- أ- همسات للشاعر نزار قباني.
- ب- أغنية بصوت فنّان، تغنّى بقصائد للشاعر قباني بعد أن مرّت الكلمات بطور اللحن.
- ج- ومن غنى لنزار وهم كثر:
- قصيدة "ماذا أقول له" / ألحان: محمد عبد الوهاب / غناء: نجاة
- قصيدة "قارئة الفنجان" / ألحان: محمد الموجي / غناء: عبد الحليم حافظ
- قصيدة "أحبيني بلا عُقدٍ" / "زيديني عشقا" / "إختاري" / "حافية القدمين" / "مدرسة الحب"، "أنا ولىلى" : ألحان وغناء : كاظم الساهر.



- الموسيقى فنّ جميل وأثر نفسيّ مُمتع.
- الغناء ذوق وإحساس وشاعرية.

ج- بناء نشاط تعليمي تعليمي

- النص: جادك الغيث، ابن الخطيب
- أولاً: القواعد المعرفية وتوظيفها ” الشرط ”
- ثانياً: البلاغة ” الاستعارة ”
- ثالثاً: العروض “ البيت الشعري “ ، أقسامه، وزنه، تقطيعه، قافيته، رويته.

• النص: جادك الغيثُ

جادك الغيثُ إذا الغيثُ همى
لم يكن وصلك إلا حُلماً
يا زمان الوصل بالأندلسِ
في الكرى أو خلسة المختلسِ
*** **

إذ يقودُ الدهرُ أشتاتِ المنى
زُمرًا بين فرادى وثنا
والحياة قد جَلَلِ الروضَ سنا
وروي النعمانُ عن ماء السّما
فكسأهُ الحسنُ ثوباً معلماً
يزدهي منه بأبهى ملبسِ
ينقلُ الخطو على ما يرسمُ
مثلما يدعو الوفود الموسمُ
فثغورُ الزهر منه تبسمُ
كيف يروي مالكٌ عن أنسِ
*** **

في ليالٍ كتمتُ سرَّ الهوى
مال نجمُ الكأس فيها وهوى
وطرٌّ ما فيه من عيبِ سوى
حين لذّ الأنتسُ شيئاً أوكما
غارَت الشهبُ بنا أو ربّما
أثرت فينا عيونُ النرجسِ
بالدّجى لولا شمسُ الغررِ
مستقيم السّير سعد الأثرِ
أنه مرّ كلمح البصرِ
هجم الصبحُ هجومَ الحرسِ
*** **

أيُّ شيءٍ لامرئٍ قد خاصا
تنهب الأزهار منه الفرصا
فإذا الماء تناجى والحصى
تبصر الورد غيورا برما
وترى الأس لبيبا فهما يسرق السمع بأذني فرسِ
فيكون الروض قد مُكّن فيه
أمنت من مكره ما تتقيه
وخلا كلّ خليل بأخيه
يكتسي من غيظه ما يكتسي

لسان الدين ابن الخطيب

- أولاً: القواعد المعرفية وتوظيفها "الشرط"

😊 نتذكر:

1 - استخرج من النص الجمل التي تحمل في أسلوبها شرط أمر لحصول أمر آخر.

😊 جادك الغيث إذا الغيث همى

إذ يقود الدهر أشتات المنى ينقل الخطو

إذا الماء تناجى تبصر الورد غيورا

أي شيء لامرء قد خلاصا فيكون الروض قد مكن فيه

حين لذ الأنس شيئاً هجم الصبح هجوم الحرس

2 - كيف يقوم أسلوب هذه الجمل؟

😊 يقوم أسلوب هذه الجمل على اعتبار حصول أمر شرطاً لحصول أمر آخر

3 - كيف يتم ذلك؟

😊 يتم بواسطة أداة تتصدر كل جملة

4 - ماذا تسمى هذه الأداة؟

□ إحدى أدوات الشرط □ إحدى أدوات الجزم □ إحدى أدوات النصب

😊 إحدى أدوات الشرط

5 - مم يتألف أسلوب الجملة الشرطية؟

😊 يتألف أسلوب الجملة الشرطية من ثلاثة أركان هي: أداة الشرط ، فعل الشرط ،

وجواب الشرط

6 - في قولنا: "وروى النعمان عن ماء السما كيف يروي مالك عن أنس"

هل في هذا القول معنى للجملة الشرطية، وهل اكتملت شروطها؟

😊 لا معنى في هذا القول للجملة الشرطية، ولا تكتمل شروطها إلا بارتباط جواب الشرط

بفعل الشرط ارتباطاً ندركه من معنى الجملة.

7 - حوّل إذا استطعت الكلام السابق الى أسلوب شرطي

😊 إذا روى النعمان عن ماء السما يروي مالك عن أنس

8 - من خلال الأمثلة السابقة كيف يكون فعل الشرط وجوابه؟

😊 إنّ الفعلين يكونان مضارعين أو ماضيين أو مختلفين

9 - هل تعرف أدوات شرط أخرى غير ما ورد في الأمثلة السابقة؟

😊 أعرف: من - ما - مهما - متى - لولا - إن

10 - أهي أسماء أم أحرف؟

😊 من - ما - مهما - متى: أسماء لولا - إن: أحرف

- 11 - في قولنا: "أَيْشَىء لَامرَىء قَد خَلَصَا" فيكون الروض قد مُكِّن فيه؟
 - هل من ارتباط بين جواب الشرط وفعله؟ 😊 نعم
 - كيف يتم هذا الارتباط؟ 😊 يتم بواسطة حرف رابط
 - ما هو الحرف الرابط؟ 😊 الفاء
 - هل تعرف متى تدخل "الفاء" على جواب الشرط؟
 😊 تدخل الفاء على جواب الشرط إذا كان مسبوفاً بقد أو السين أو سوف
- 12 - اختر من النص جملة شرطية وأدخل على جوابها "الفاء" الحرف الرابط
 😊 إذ يقوِّد الدهرُ أشتات المنى ينقلُ الخطو على ما يرسمُ
 إذ يقوِّد الدهرُ أشتات المنى فسد ينقلُ الخطو على ما يرسمُ

😊 نستنتج:

- الشرط : يقوم أسلوب هذه الجمل على اعتبار حصول أمر شرطاً لحصول أمر ثانٍ ،
 ويتم ذلك بواسطة إحدى أدوات الشرط. نحو: من يتأمل السماء، يتضح له نور الله.
 - يتألف أسلوب الجملة الشرطية من ثلاثة أركان هي: أداة الشرط (من)، وفعل الشرط (يتأمل)، وجواب الشرط (يتضح).
 - لا يتم معنى الجملة الشرطية، ولا تكتمل شروطها إلا بارتباط جواب الشرط بفعل الشرط
 ارتباطاً ندركه من معنى الجملة، أو من المعنى متمثلاً بحرف رابط هو اللام أو الفاء.

× أدوات الشرط: أدوات الشرط جازمة وغير جازمة:

أ- الأدوات الجازمة اثنتا عشرة وهي:

إن، من، ما، مهما، كيفما (وهي غير ظروف)

متى، أيان، إذما، أينما، أتى، حيثما (وهي ظروف)

أي (تكون ظرفاً أو غير ظرف بحسب ما تضاف إليه)

أدوات الشرط الجازمة أسماء كلها، ما عدا "إن" فهي حرف (من اللغويين من يعتبر "إذما" حرف شرط بمعنى "إن"، ومنهم من يعتبرها اسم شرط بمعنى "متى").

من: ومثلها "ما" - "مهما": اسم شرط مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وخبره فعل الشرط وجوابه، ذلك إذا كان فعل الشرط بعد "من" لازماً أو متعدياً استوفى مفعوله. نحو: من يعُدُّ إلينا، يلق كلَّ ترحاب.

أمَّا إذا كان فعل الشرط بعدها فعلاً متعدياً واقعاً عليها، فتكون "من" مفعولاً به. نحو: من تساعد أساعد. متى: ومثلها "حيثما" - "أينما" ... وكلّ الأسماء التي تدلّ على مكان أو زمان، هي في محل نصب على الظرفية لفعل الشرط. نحو: متى تأت إلينا، تجدنا في انتظارك.

كيفما: تعرب حالاً، إذا تبعها فعل تام. نحو: كيفما تنظرُ إلى الناس ينظروا إليك. وتكون خبراً مقدماً، إذا تبعها فعل ناقص. نحو: كيفما تكن مع الناس يكن الناس معك. أي: اسم مبهم معرب بحسب موقعه من الجملة، "أي" مفعول مطلق، نحو: أيّ معاملةٍ تعاملُ بها الناس تعاملُ بمثلها.

ب- الأدوات غير الجازمة وأبرزها:

إذا: وهي ظرف يتضمن معنى الشرط، ويختص بالدخول على الجملة الفعلية، ولا سيما الماضية منها. نحو: إذا دأبنا في ذلك، نكون قد أنقذنا حضارتنا من الضياع. لو: هي حرف شرط يدخل على الماضي، أما جوابها فيقترن باللام وجوباً، إذا كان ماضياً مثبتاً. نحو: لو جئت، لرأيت ما يسرّك.

لولا- لوما: هما حرفا شرط، يختصان بالدخول على الجملة الاسمية، فيأتي بعدهما مبتدأ محذوف الخبر وجوباً، أما جوابها (مثل لو). نحو: لولا القانون (موجود)، لعمّت الفوضى. لَمّا- كلّمّا: ظرفان يتضمنان معنى الشرط، يأتي الأول منها بمعنى حين، ويفيد الثاني التكرار، لا يدخلان إلا على الفعل الماضي. نحو: لَمّا حضر إلى المجلس، تَوَسّم الناس خيراً.

- فعلا الشرط والجواب: إنّ فعل الشرط يتقدم دائماً على الجواب ويكون فعلاً خبرياً متصرفاً، أمّا الجواب فلا يتقيد بذلك. ثمّ إنّ الفعلين يكونان مضارعين نحو: من يثابِرْ على عمله ينلْ مبتغاه، أو ماضيين نحو: من ثابِرَ على عمله نالَ مبتغاه، أو مختلفين. نحو: من يثابِرْ على عمله نالَ مبتغاه / من ثابِرَ على عمله ينلْ مبتغاه.

- ارتباط الجواب بالشرط: أبرز الأحرف الروابط: اللام والفاء.

اللام: تدخل في جواب "لو" و"لولا" و"لوما". نحو: لولا الحياء لقطعت صلتي به.

الفاء: تدخل وجوباً على جواب الشرط إذا كان:

- مسبوقاً بقَد أو السين أو سوف. نحو: من أرجأ عمل يومه إلى غده، فسوف يندم.

- مضارعاً منفياً بـ "ما" أو "لن". نحو: إن أسهمت بهذا المشروع، فلن تستفيد منه.

- فعلاً جامداً. نحو: إن تغيبوا عن هذا الاجتماع، فليس ما يبهرّ تقصيركم .

- فعلاً طلبياً (أمر، نهي، تمنّ...). نحو: من سألك المساعدة، فساعده .

- جملة اسمية. نحو: مهما يكن من أمر، فإنني مستعدّ للوفاء بالتزاماتي.

- مصدرأ بـ "رب" أو "كأنما". نحو: من أخلّ بالاتفاق، فكأنما ارتكب جريمة.

😊 نتمرن:

- 1 - دلّ في كل من الشواهد الآتية على أركان الجملة الشرطية.
- إذا أردنا أن نبحث عن أحد أسرار صوتها، وجب علينا أن نبحث عنه في الغنى الكثيف لحياتها.
- إن عرض لهم ماءً من جدول آخر عافوه واستكروهه.
- لو رام الكاتب فيها(اللغة) أن يصف حجرة منامه لم يكذب فيها ما يكفيه.

😊

أداة الشرط	فعل الشرط	جواب الشرط
إذا	أردنا	وجب علينا
إن	عرض لهم	عافوه / استكروهه
لو	رام	لم يكذب

- 2 - املأ الفراغ المنقط بما يناسب من أركان الجملة الشرطية (الأداة، فعل الشرط، جواب الشرط)

..... تنزل تلقى من الناس كلّ تقدير واحترام.

كلما طموحه خاب أملاه.

متى يحن الوقت المناسب مجال العمل واسعاً أمامك.

😊 إن - قل - تجد

- 3- أنشئ ثلاث جمل يكون إسم الشرط فيها: مبتدأ، حالا ، ظرف زمان.

😊 مبتدأ: من يثابر على عمله ينل مبتغاه.

حالا : كيفما تنظروا إلى الناس ينظروا إليك.

ظرف زمان: متى تأت إلينا تجدنا في انتظارك.

- 4 - أضبط أواخر الكامات بالحركة المناسبة.

ما تزرع تحصد ، حيثما يوجد التناغم توجد الموسيقى ، أيّ معاملة تعامل بها الناس تعامل بمثلها.

😊 ما تزرع تحصد ، حيثما يوجد التناغم توجد الموسيقى ، أيّ معاملة تعامل بها الناس تعامل بمثلها.

- 5 - عيّن سبب دخول الفاء على جواب الشرط في الجمل الآتية:

- من ضحّى في سبيل الناس، فقد زرع ما لا بدّ حاصده.

- مهما تاق الانسان وسعى ، فلن يبلغ الكمال.

- إن تغيبوا عن هذا الاجتماع ، فحسابكم عسير.

😊 مسبوق بقدر - مسبوق بلن(منفي) - جملة إسمية

- 6 - أكتب ثلاث جمل بموضوع الحب ، مستخدماً الأسلوب الشرطي.
- ☺ ماذا أقول له لوجاء يسألني
 ماذا أقول له إذا راحت أصابعه
 غداً إذا جاء أعطيه رسائله
- ☹ إن كنتُ أكرهه أو كنتُ أهواه ؟
 تلممُ الليل عن شعري وترعاه ؟
 ونطعم النار أحلى ما كتبناه

- ثانياً: البلاغة ” الاستعارة ”

☺ نتذكر:

- 1 - استخراج من النص الجمل التي جاءت الألفاظ فيها من غير ما وضعت له في الأصل، أي في غير المعنى الحقيقي لها.
- ☺ - يقود الدهر أشتات المني
 - ثغور الزهر منه تبسم
 - في ليالٍ كتمت سرّ الهوى
 - أثرت فينا عيون النرجس
 - إذا الماء تاجي والحصي
- ينقل الخطو على ما يرسم
 - كساه الحسن ثوباً معلماً
 - غارت الشهب بنا
 - تنهب الأزهار منه الفرصاً
- 2 - نسمي هذا النوع في اللغة ”المجاز“، ما هو المجاز إذن؟
- ☺ المجاز إستعمال اللفظ في غير ما وضع له في الأصل ، أي في غير المعنى الحقيقي له. مثال: كساه الحسن ثوباً معلماً.
- 3 - هل تجد في هذه الأمثلة مشابهة؟
- ☺ نعم في هذه الأمثلة مشابهة، فهي أقرب إلى التشبيه
- 4 - ما الذي حذف من هذه المشابهة؟
- ☺ حذف أداة التشبيه(الكاف)، وأحد طرفيه(المشبه/ المشبه به)
- 5 - في قولنا: ”ثغور الزهر منه تبسم“
- هل للزهر ثغر وابتسامة؟ ☺ كلا
- ممن استعرنا هذه الصفات؟ ☺ إستعرناها من الإنسان
- ماذا نسمي هذا التعبير المجازي إذن؟ ☺ نسمي هذا التعبير المجازي ”أستعارة“
- أقم مقارنة بين التشبيه والاستعارة.

التشبيه	الاستعارة
المشبه	☺ المستعار له
المشبه به	☺ المستعار منه
أداة التشبيه	☺ لا توجد
وجه الشبه	☺ المستعار

- 7 - في قولنا : “ في ليالٍ كتمت سرَّ الهوى ”
 - أين المستعار له (المشبه)؟ وما تقديره ؟
 ☺ المستعار له محذوف وتقديره: الرجل كالليل يكتم السر
 - هل صرَّح بلفظ المستعار منه(المشبه به)؟ ☺ نعم صرَّح
 - إذن ماذا نسمي هذا النوع من الاستعارة؟ ☺ استعارة تصريحية.
 8 - في قولنا : “ ثغور الزهر منه تبتسم ”
 - أين المستعار منه(المشبه به)؟ وما تقديره؟
 ☺ المستعار منه محذوف وتقديره: الزهر كالطفل يبتسم
 - هل رمز للمستعار منه بشيء من لوازمه؟ ☺ نعم / الثغر
 - إذن ماذا نسمي هذا النوع من الاستعارة؟ ☺ استعارة مكنية

☺ نستنتج:

- الحقيقة هي استعمال اللفظ فيما وُضع له أصلاً ،نحو:الطفل يبكي.
 - المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وُضع له أصلاً لوجود علاقة مع قرينه مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، نحو:السماء تبكي.
 - الاستعارة هي مجاز لغويّ علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، أو تشبيه حُذف أحد طرفيه، ويسمى المشبه به:مستعاراً منه، والمشبه:مستعاراً له، نحو: تغفو الشمس في حضن المغيب .
 - أركان الاستعارة: المستعار له(المشبه):الشمس، المستعار منه(المشبه به):الطفل محذوف، المستعار(وجه الشبه):تغفو/ النوم.
 - أنواع الاستعارة: التصريحية وهو ما صرَّح فيها بلفظ المستعار منه(المشبه به) وحذف المستعار له(المشبه)، نحو: زارنا البحر(أي زارنا عالم كالبحر في معرفته، وذلك للدلالة على غزارة علمه)، المكنية وهو ما حذف فيها المستعار منه(المشبه به) ورمز له بشيء من لوازمه، نحو: الطريق تتلوى (أي الطريق كالأفعى تتلوى).

☺ نتمرن:

- 1 - بين الحقيقة من المجاز في الشواهد الآتية:
 - يبكي الطفل عندما يجوع، ويصرخ عندما يتألم. ☺ حقيقة
 - يسألني عنك الغروب متى تعود؟،فتدب الشمس عندما لا تسمع جواباً. ☺ مجاز
 - رأْتُ جدولاً متأوهاً،وربوة تبتسم . ☺ مجاز
 - الأم تحضن صغيرها كي ينام بسلام. ☺ حقيقة

2 - دلّ على أركان الاستعارة في الجمل الآتية ، مبيناً نوعها.

- زارنا بدر السماء

- لسانك يلسع

- إذا المنية أنشبت أظفارها



المستعار له (المشبه)	المستعار منه (المشبه به)	المستعار (وجه الشبه)	نوع الاستعارة
الانسان	البدر	شدة الجمال	تصريحية
اللسان	الأفعى	كثرة الأذى	مكنية
المنية	الوحش المفترس	الإفتراس	مكنية

3 - أكتب فقرة في موضوع الطبيعة ، تستعمل فيها تعابير مجازية ، تقرب حدّ الخيال ، فتجمل المعنى ، وتزين الكلام.

☺ كان الليل قد تعب من السهر ، وتعبت أنا من الجلوس ، فسرتُنحو الشلال أراقب انبلاج الفجر مشرا بصبح هادى ورصين ، ثم هبذ النور وبزغ ، وأشرأبّ عنق الشمس يهمز الفجر بمهماز النور.

ومع استفاقة الصباح استفاقت موسيقى النغم ، وعلت الزقزقات ، وانتشت الألوان والأناشيد ، وضجت الحياة في كلّ شيء... ورأيتُ في الأفق البعيد غيمات مسافرة في الضوء تودع الماضي الجميل.

- ثالثاً: العروض "البيت الشعري" ، أقسامه ، وزنه ، تقطيعه ، قافيته ، رويّه.

☺ نتذكر:

1 - ما نوع النص الذي أمامك؟ □ نثر □ شعر

☺ نوع النص : شعر

2 - ماذا نسمي النص الشعري الذي أمامك؟ □ مقالة □ رسالة □ قصيدة

☺ نسمي النص الشعري الذي أمامنا : قصيدة

3 - ممّا تتألف القصيدة إذن؟ ☺ تتألف القصيدة من أبيات شعرية

4 - اختر من القصيدة بيتاً شعرياً أعجبك ، وأعد كتابته.

☺ في ليالٍ كتمت سرّ الهوى بالذّجى لولا شمس الغرر

5 - من كم شطر (قسم) يتألف البيت الشعري؟ ☺ يتألف من شطرين

6 - الصدر هو الشطر الأول ، والعجز هو الشطر الثاني ، أشر إليهما في البيت الذي اخترته.

☺ في ليالٍ كتمت سرَّ الهوى الشطر الأول: الصدر
بالدّجى لولا شموُس الغرِّ الشطر الثاني: العجز

7 - اكتب الكلمات لبتالية كما تلفظها: ليالٍ - سرّ - بالدّجى - شموُس الغرِّ
☺ ليالٍ: ليالن - سرّ: سرر - بالدّجى: بددجى - شموُس الغرِّ: شموسل غرر
8 - الإشباع هو كتابة الحرف الأخير من الشطر الأول والثاني بما يناسبه من حركات، وكأنك تلفظه. بيّن ذلك في البيت الذي اخترته.

☺ سرّ الهوى: سررلهوى شموُس الغرِّ: شموسل غرري
9 - اكتب البيت الشعري الذي اخترته كاملاً متتبعا الخطوات السابقة.
☺ في ليالٍ كتمت سرّ الهوى في ليالن كتمت سررلهوى
بالدّجى لولا شموُس الغرِّ بددجى لولا شموسل غرري
10 - حرك البيت وكأنك تضبطه، واضعاً الرمز (/) مقلبل الحرف المتحرك، والرمز (0) مقابل الحرف الساكن.

☺ في ليالٍ كتمت سرّ الهوى في ليالن كتمت سرر لهوى
بالدّجى لولا شموُس الغرِّ بددجى لو لا شموسل غرري
0 / / / 0 /0// 0/ 0/ 0//0/ 0//0 / 0/ 0/// 0/0// 0/
11 - قابل ما كتبت من حركات بالأوزان التالية: فاعلاتن - مستعلن - فاعلن - متفاعلن - فعلاتن - فعّلن - فعولن

☺ في ليالٍ كتمت سرّ الهوى في ليالن كتمت سرر لهوى
بالدّجى لولا شموُس الغرِّ بددجى لو لا شموسل غرري
0 / / / 0 /0// 0/ 0/ 0//0/ 0//0 / 0/ 0/// 0/0// 0/
فاعلاتن فعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فعّلن فاعلن

12 - العروض هي التفعيلة الأخيرة في صدر البيت، والضرب هو التفعيلة الأخيرة من عجزه، وما يسبقهما يسمى "الحشو"، أشر الى هذه الأمور في البيت الذي اخترته

☺ في ليالٍ كتمت سرّ الهوى في ليالن كتمت سرر لهوى
بالدّجى لولا شموُس الغرِّ بددجى لو لا شموسل غرري
0 / / / 0 /0// 0/ 0/ 0//0/ 0//0 / 0/ 0/// 0/0// 0/
فاعلاتن فعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فعّلن فاعلن

الحشو العروض الحشو الضرب
13 - الروي هو الحرف الذي راح يتكرر في كل أبيات القصيدة، بيّنه في البيت الشعري الذي اخترته.

☺ الروي: ري /0/ الراء المكسورة

14 – القافية هي آخر ساكنين في البيت الشعري، وما بينهما، والمتحرك قبلهما مباشرة. بيّنها في البيت الذي اخترته.

☺ القافية: سل غرري /0///0/

☺ نستنتج:

– العروض: ميزان الشعر، به نعرف سلامة الوزن في البيت من اختلاله. ويجمع الباحثون على أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـ/718م – 170هـ/786م) هو الذي ابتكر هذا العلم.

– البيت الشعري: إذا كانت القصيدة تتألف من آيات، فالبيت في القصيدة يتألف من شطرين. يُسمى الشطر الأول “الصدر”، ويُسمى الشطر الثاني “العجز”.

– كتابة البيت كتابة عروضية: تركز هذه الكتابة على المبدأ التالي: كلّ ما يُلفظ به من الحروف يُكتب، وإن لم يكن مكتوباً، وكلّ ما لا يلفظ به من الحروف لا يكتب، وإن كان مكتوباً. نحو: نكتب الكامة “هذا” في الكتابة العروضية: “هاذا”، ونكتب الجملة “الشمس مشرقة” هكذا: “أششمس مشرقتن” (يلاحظ فكّ الإدغام، وكتابة التنوين بالنون)، ونكتب الجملة “أولئك قومي” هكذا: “ألائك قومي”.

– كتابة الرموز العروضية: نضع تحت الكتابة العروضية الرمز (/) مقابل الحرف المتحرّك، والرمز (0) مقابل الحرف الساكن.

– كتابة التفاعيل: التفاعيل هي وحدات الوزن في البيت الشعري، وعددها عشر، ومنها: فعولن، مفاعيلن، مستفععلن، فاعلن، مفاعلتن، متفاعلن... وهذه التفاعيل نضعها بعد الرموز العروضية، على أن تكون موافقة لهذه الرموز في الحركات والسكون.

– العروض والضرب والحشو: العروض هي التفعيلة الأخيرة من صدر البيت، والضرب هو ال تفعيلة الأخيرة من عجزه، والحشو ما تبقى من تفعيلات.

– الروي: هو آخر حرف منطوق به في البيت، وهو يتكرر في كلّ أبيات القصيدة، ويعطياً اسمها، فيقال: “الميمية” للقصيدة التي رويها الميم، وهكذا

– القافية: هي آخر ساكنين من البيت الشعري، وما بينهما، والمتحرك قبلهما مباشرة.

نحو: قومي: 0/0/ مشرقتن: /0///0/

☺ نتمرّن:

1 – اختر بيتاً آخر من القصيدة، واتبع الخطوات السليقة تدريجياً للتوصل إلى اكتشاف: الكتابة العروضية – كتابة الرموز العروضية – كتابة التفاعيل – العروض والضرب والحشو – الروي – القافية.

كيف يروي مالك عن أنسي
 كيف يروي مالك عن أنسي
 0 / / / 0 / 0 / / 0 / 0 / / 0 /
 فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
 الحشو الضرب
 القافية: عن أنسي 0 / / / 0

وروي النعمان عن ماء السما
 ورو ننع مانعن ماء سسما
 0 / / 0 / 0 / / 0 / 0 / / /
 فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
 الحشو العروض
 الروي: سي 0 / السين المكسورة

2- اختر من القصيدة بيتاً لم تختره بعد وقطعه، وأذكر تفعيلاته، وحدد رويه وقافيته
 فكسأه الحسن ثوباً معلماً
 فكسأه هل حسن ثوبين معلماً
 0 / / 0 / 0 / / 0 / 0 / / / 0 / 0 / / /
 فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
 الحشو العروض
 الروي: سي 0 / السين المكسورة

يزدهي منه بأبهي ملبس
 يزدهي من له بأبهي ملبسي
 0 / / 0 / 0 / / / 0 / 0 / / /
 فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
 الحشو الضرب
 القافية: ملبسي 0 / / 0

د- إعداد بيان مطالعة

× آلية العمل:

تختار ما تريد أن تطالعه: مثال: القراءة مفهوماً وأهمية ومتطلبات.

☞ تحدد المؤلف، ونوع البيان، وعدد الصفحات، وتاريخ المطالعة.

مثال: القراءة مفهوماً وأهمية ومتطلبات، ل: محمود أحمد السيد، محاضرة،

من صفحة: ٣٧ - ٥٢ - تاريخ المطالعة: 12 - - 4 2023

☞ تبدأ بتدوين ما طالعت، كأن تقوم بتسجيل رؤوس أقلام، أو أن تلخص ما قرأت: مثال:

- أولاً: مفهوم القراءة

القراءة كما هو معروف مصدر للفعل قرأ، ولقد كانت فاتحة الرسالة الإسلامية "اقرأ باسم ربك الذي خلق". والقراءة المقصودة إلغام النظر في المقروء والتأمل والتروي والأناة والدقة، والتفحص حتى يفهم الإنسان نفسه والكون والحياة. والذين يجيدون قراءة الكتب هم الذين يفهمونها، ومن أجاد القراءة والكتابة فقد بلغ الغاية، وعندما سئل فولتير: ممن سيقود الجنس البشري؟ أجاب: "الذين يعرفون كيف يقرأون ويكتبون".

ولو بحثنا في حياة المتوقفين في تاريخ البشرية، ألقينا أنهم قرؤوا في طفولتهم وفي شبابهم فأحسنوا ما قرؤوه فهمًا وتمثيلاً. ثم أضافوا إليه من ذوات نفوسهم ونبات فكرهم فحققوا الأصالة والإبداع. فالقراءة بفهومها الحديث نشاطاً فكرياً يشتمل على تعرف

الحروف والكلمات والنطق بها صحيحة، والفهم والتحليل، والنقد والتفاعل مع المقروء، وحل المشكلات والمتعة النفسيّة، وبعبارة أخرى أصبحت القراءة وسيلة لربط الإنسان بعالمه الذي يحيا فيه في تغيّره وتطوره وفي مشكلاته ووسائل تسليّته.

- ثانياً: أهميّة القراءة ووظيفتها

على الرغم من تعدّد وسائل الإتصال والثقافة في العصر الحديث من تلفزة وفيديو وإذاعة مسموعة وسينما... إلخ، يبقى للقراءة أهميّتها التي تفوق هذه الوسائل جميعاً في الإستفادة منها نظراً لما تمتاز به من يسر وسيلتها والسرعة فيها والإنتلاق وألوانها وميولها مع عدم التقيّد بزمان معيّن أو مكان محدّد. ولو رحنا نقارن بين الكلمتين المقروءة والمسموعة لألقينا: أن الوسائل المسموعة لا تتيح للسامع إختيار المسموع أو المشاهد، ذلك لأنّ الإختيار يقوم به سواه على حين أنّ القارئ يختار بحرّيته ورغبته ما يشاء كتاباً كان أو صحيفة أو مجلة... إلخ، إذ أنّ درجات الحرّيّة في القراءة أكثر منها في الوسائل المسموعة. يغلب على الكلام المسموع الإختلاط بالعاميّة واللهجة المحليّة، خلافاً للكلام المقروء الذي يتحرّى فيه كاتبه الإلتزام باللغة الفصيحة فبواسطة القراءة يتعرّف المرء على ثمار الحضارة الإنسانيّة في مختلف ميادين المعرفة حاضراً وماضياً وتطلّعاً نحو المستقبل. وقد قال الرئيس الأميركي: "جيفرسون": "إنّ الذين يقرأون هم الأحرار فقط، ذلك لأنّ القراءة تطرد الجهل والخرافة وهما من الد أعداء الحرّيّة." كما يرى "فرنسيس بيكون": "أنّ القراءة تصنع الإنسان الكامل".

- ثالثاً: متطلّبات القراءة

لما كانت الخبرة هي ثمرة الفاعل بين الفرد والبيئة، كان لا بدّ من الوقوف عند الفرد أولاً، ومتطلّبات البيئة ثانياً، في تكوّن عادات القراءة وبناء الفرد القارئ: "حق كل طفل أن يكون قارئاً جيّداً"، وهنا نتساءل: ما سمات القارئ الجيّد؟ وما المهارات التي لا بدّ له من أن يمتلكها حتى يكون قارئاً جيّداً؟

1 - سمات القارئ الجيّد:

يتّصف القارئ الجيّد بصفات متعدّدة:

إدراك الحروف والكلمات وتعرّفها والنطق السليم بها من غير حذف أو إضافة أو إبدال أو تأخير أو تكرار، وأن يكون أدأوه سليماً بحيث توافق النغمة معنى الموقف المعبر عنه، وأن تكون ثمة مراعاة لصحّة الإيقاع وعلامات الترقيم. إضافة إلى مراعاة السرعة المناسبة للموضوع للمستمعين في الوقت نفسه إذا ما كانت العبارة جهرية.

والقارئ الجيّد حينما يقابل كلمة جديدة أو غير مألوّفة فإنّه يقف عند تفاصيلها ويستخلص

معناها من السياق وكلما إزداد إلفة بمثل هذه الكلمات قلت الإشارات التي يحتاج إليها لضمان تعرفه لكل من نطقها ومعناها.

القارئ الجيد يجب أن يكون مولعاً بالقراءة، شغوفاً بها يقبل عليها بكل نفس راضية، يحافظ على الكتاب. محافظته على أعز ما يملك، فيغدو الكتاب صديقه الذي لا يفارقه، يبذل وحشته، يؤنسه في وحدته ويجد فيه بغيته ومراده. كما يقول شاعرنا العربي: كتابي

فيه بستانى وروحي
ومنه سمير نفسي والنديمُ
يجالسنى وكلّ الناس حربُ
ويحيي لي تصفّح صفحاتيه
إذا عوجت علي طريق قومي
فلي فيه طريقُ مستقيمُ

2 - دور البيئة في تكوين عادات القراءة الجيدة:

ثمة بيئات متعدّدة تسهم في تكوين عادات الرءة الجيدة لدى الناس وتتمثل:

أ- البيت.

ب- المدرسة.

ج- المجتمع.

أ- البيت (الأسرة):

لجو الأسرة دور أساسي وأول في تهيئة الطفل واستعداده لتعلّم القراءة، فإذا أصبح لديه رصيد لفظي ونضج جسمي. من حيث النظر والسمع والقدرة على تمييز الأشكال، وإدراك الاختلافات والتشابه فيما بينها، عُدّ مستعداً لتعلّم القراءة. وهنا يتجلّى دور الأهل في توجيه الأطفال نحو القراءة ولهذا الدور علاقة إيجابية أو سلبية، فعندما ينشأ الطفل في جو خال من ضروب الثقافة، فلا مجلّة ولا صحيفة ولا كتاب ولا تلفزيون، ولا يجد من حوله أباً يقرأ أو أي وسيلة ثقافية، فذلك كلّ يؤثّر فيه سلباً والعكس صحيح.

ب- دور المدرسة:

لجو المدرسة وما يتفاعل فيه المتعلّم من مؤثّرات دور كبير في اكتساب مهارات القراءة وتكوّن عاداتها لديه، فالمدرّس المعدّ إعداداً جيّداً، والقوي في مادّته، والمتّسم بالسمات التربويّة في تعامله مع ناشئته، والمحب للقراءة، والمشجّع عليها يعدّ مثلاً حياً، وقدوة صالحة يقتدي بها الناشئة في محبة القراءة.

ج- دور المجتمع:

وإذا ما انتقلنا إلى الدائرة الواسعة في البيئة، متمثلة في المجتمع، ألفينا أنّ ثمة عوامل تسهم

في تكوين عادات القراءة لدى المواطن تتجلى في الأقران، فالأقران الذين يحبّون القراءة ويحرصون على شراء الكتب، واقتنائها يؤثرون أيّما تأثير في جذب صديقهم إليهم. ومن هنا ندرك فحوى المثل الفرنسي: "قل لي من تعاشر أقل لك من أنت"، وقول الشاعر العربي:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكلّ قرين بالمقرن يقتدي.

أمّا فيما يتعلّق بالمراكز الثقافيّة والمكتبات العامّة فإنّ لها هي الأخرى دوراً في جذب القراء إليها، إذ أنّها عندما تكون غنيّة في طبيعة مواردها المقروءة تجيب عن تساؤلات القراء، وتلبّي حاجاتهم، وتستثير إهتماماتهم ورغباتهم، تجذبهم إليها، فيحسّون بالمتعة والفائدة في أجوائها. وينطبق هذا على الإذاعة المرئيّة؟ (التلفزة)، فبرنامج (الحوار المفتوح) يمكن أن يدور حول كتاب قيّم أثار جدلاً في مضمونه، ويمكن أن تشمل برامج (المجلّة الثقافيّة) على لقاءات مع مؤلّفين في مختلف ميادين المعرفة تلقي الأضواء على مؤلّفاتهم وكتبهم، وتعرّف بها، فتستثير بذلك رغبات المواطنين واهتمامهم نحو قراءتها وتداولها واقتنائها.

× خلاصة:

القراءة عمليّة نفسيّة لغويّة وعادة، وإنّ العادات لن تتكوّن لدى الفرد إلاّ بالممارسة والتدريب والميزان المستمر، والتوجيه والمحاكاة والتفريد والقُدوة الحسنة، وإنّ للبيئات التي يتفاعل معها المرء دورها في تكوين هذه العادات بدءاً من البيت وانتهاءً بالمجتمع الكبير.

تسجل رأيك الشخصي، أو الفائدة الشخصية من هذه المطالعة. مثال:
عندما طلب منّي إجراء بيان مطالعة، قلت في صمت: "ما كان ينقصني سوى القراءة"، وقبلت هذا الموضوع على مضض، ورحت أقلب تلك الصفحات لأختار منها مطلبي، وكأني أقدم على عمليّة إستطلاع حظّي "بالتبصير"، فتركت كل عاداته من قراءة الكف إلى قراءة البيانات. وأخترت من بين الصفحات ما قلّ عدده، وسهل قراءته، وأنا مغمض العينين. فكانت المفاجأة أنّها بعنوان: "القراءة مفهوماً وأهميّة ومتطلّبات" هنا تملّكتني الدهشة، فالسحر غدا حقيقة، والتبصير كشف المستور، فهل فضحتني الشعوذة؟ أم أنّها أجابت على سؤالي الذي قلته في صمت، في سرّ، لا يعلمه إلاّ الله؟ ...

وتبدّلت حالي، فأقبلت على هذه تلك الأوراق ألتهّم منها ما أشاء، وأودّ قراءتها حرفاً حرفاً، لأنّها بحق غيرت فيّ معالم كثيرة. عرّفتني مفهوم القراءة على أنّها نشاط فكري، ومن دونها أنا لا أفكر، وهي وسيلة إرتباط الإنسان بعالمه، ومن دونها فأنا منعزل، وهي تحل المشكلات ومن دونها فأنا معقّد، وهي تجلب المتعة ومن دونها فأنا تعيس، وهي عمليّة

تفاعل ومن دونها فأنا منغلق، وهي عملية قيادة ومن دونها فأنا تابع. ثم انتقلت إلى متطلباتها فوجدت أنها تركّز على القارئ الجيد ووضعت له سمات يتّصف بها. ومنها تفاعله مع الكتاب الذي يغدو صديقه الذي لا يفارقه ومبّد وحشته، ومؤنس وحدته ومراده بهذا كله أردتُ أن أكون القارئ الجيد لا المتخاذل، وأردتُ أن أتزوّد بخير الزاد، وأن يكون الكتاب صديقي إذا ما تركني خلّاني، وأن يكون مبّد وحشتي ومؤنس وحدتي إذا ما أظلمت الدنيا في وجهي، وإذا ما عشتُ حياة موحشة موحدة قتّالة. وما إن انتهيت من هذه الأوراق حتى رحّت بشغفٍ يسبقني إليه حبّ المطالعة وهيامي بها إلى إعداد بيان مطالعة آخر... ولكن هذه المرة رحّت أختار بملء إرادتي...! أخيراً وجدتُ نفسي بعد هذه المطالعة الشيقة قد انكشفت عن عينيّ غمامة التآفف، وفرضية الملل، وصرت قارئاً مولعاً بالقراءة، شعاري في الحياة: ”القراءة تطرد الجهل والخرافة، وتصنع الانسان الكامل“.

البنية الحجاجية: آلياتها واستراتيجياتها في خطاب «طوفان الأقصى» للسيد حسن نصر الله

د. حيدر علي إسماعيل

أستاذ مساعد

المستخلص

عنوان البحث: البنية الحجاجية: آلياتها واستراتيجياتها في

خطاب «طوفان الأقصى» للسيد حسن نصر الله

سعى البحث إلى تبين دور البنية الحجاجية وآلياتها وأساليبها واستراتيجياتها في الخطاب السياسي، وما يحمله من دلالات سياقية في خطاب «طوفان الأقصى» لسماحة السيد حسن نصر الله الذي ألقاه بعد ثلاثة أسابيع من عملية طوفان الأقصى، بهدف اظهار حقيقة العدوان الصهيوني ومظلومية الشعب الفلسطيني، وأهمية الدفاع عن الأرض والكرامة والوطن، وحفظ هبة شعب مستضعف ذلّ أكثر من أربعة عقود.

بني البحث على إشكالية محورية وهي: ما هي منابع الحجج ومصادر الاقتناع في أسلوبية الخطاب الحجاجي عند سماحة السيد حسن نصر الله؟

لمعالجة هذه الإشكالية اعتمدت على المنهج البنيوي الحجاجي الذي يعدّ أحد الأنماط النصّية في اللغة والذي يُعرفُ بنظرية الحجج التي تحتوي على مجموعة من الحجج، يتمّ ذكرها من أجل الإقناع والدلالة على بطلان الرأي أو صحّته. وقد قُسم البحث ثلاثة أقسام وأستهلّ بمقدمة وأنهى بخاتمة

واستنتاجات، على الشكل الآتي:

أولاً- أساليب الخطاب السياسي وتقنياته

ثانياً- الدلالات السياقية والأسلوبية في خطاب «طوفان الأقصى»

ثالثاً- آليات الحجاج في الخطاب السياسي واستراتيجياته

ومن أبرز الاستنتاجات التي توصل إليها البحث:

- الخطاب السياسي هو أحد أهم وسائل التواصل السياسي التي يتم من خلالها نقل

الرسائل والأفكار وتشكيل الرأي العام حول قضية محقّة.

- بناء الثقة والتواصل مع الجمهور من خلال الخطاب المقنع المتميز بسمات

أخلاقيات الخطابة.

- اعتماد مجموعة متنوعة من التقنيات والأساليب اللغوية لجذب انتباه المتلقي والتأثير فيه.

- أهمية تحديد السياق والمراقبة الفعالة لاستخدام البنية الحجاجية في الخطاب

السياسي، لضمان أن يكون بناءً وموجّهًا نحو تحقيق الصالح العام.

- الخطاب السياسي وسيلة لتأكيد الهوية الوطنية والانتماء، وتعزيز الوحدة الوطنية

والتعاقد بين أفراد المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الخطاب السياسي - البنية الحجاجية - الاستراتيجيات - الاقتناع -

الدلالات - الشواهد.

“Abstract”.

Title: “Argumentative Structure: Mechanisms and Strategies in the Political Discourse of ‘Toufan Al-Aqsa’ by Sayyed Hassan Nasrallah»

The research sought to clarify the role of argumentative structure, its mechanisms, techniques, and strategies in political discourse, and its contextual significance in the speech “Toufan Al-Aqsa” by His Eminence Sayyed Hassan Nasrallah, which was delivered three weeks after the Operation ‘Toufan Al-Aqsa’. The aim was to reveal the truth of the Zionist aggression, the plight of the Palestinian people, and the importance of defending land, dignity, and the nation, preserving the dignity of a vulnerable people who have been humiliated for over four decades.

The research was based on a central problematic, namely: What are the sources of arguments and persuasive sources in the argumentative style of discourse by His Eminence Sayyed Hassan Nasrallah? To address this problem, the study relied on the argumentative structural method, which is one of the textual patterns in language known as the theory of argumentation, which contains a set of arguments mentioned for the purpose of persuasion and indicating the invalidity or validity of an opinion.

The research was divided into three sections and began with an introduction and concluded with a conclusion and findings, as follows:

First: Political Discourse Methods and Techniques

Second: Contextual and Stylistic Significance in the “Toufan Al-Aqsa” Discourse

Third: Argumentative Mechanisms in Political Discourse and Strategies

Some of the key findings of the research include:

- Political discourse is one of the most important means of political communication through which messages and ideas are conveyed and public opinion is shaped around a just cause.
- Building trust and communication with the audience through an influential and distinguished speaker characterized by the ethics of rhetoric.
- Adopting a variety of linguistic techniques and methods to attract the attention of the recipient and influence them.
- The importance of identifying context and effectively monitoring the use of argumentative structure in political discourse, to ensure that it is constructive and directed towards achieving the public good.
- Political discourse is a means of affirming national identity and belonging, and enhancing national unity and solidarity among members of society.

Keywords: Political Discourse - Argumentative Structure - Strategies - Persuasion - Contextual Significance - Evidence.

المقدمة

النص الحجاجي هو بناء لغوي يختلف عن غيره من النصوص بوصفه يُبنى بأسلوب تفاعلي مدعوم، ووسائل توظف لغرض الإقناع بأدوات خاصة هدفها التأثير في المتلقي، وليس بالضرورة كل خطاب غايته الحجاج للإقناع، وحتى وإن كانت هناك تعابير حجاجية فإنها تأتي بشكل عرضي، فالخطاب اليومي بين الناس لا يكون من أهدافه سوق حجة أو الاستدلال على موقف أو الدفاع عن قضية.

ويقوم الخطاب على علاقة بين الخطيب والمستمع حول موقف ما بهدف الإقناع «الحجاج حاصل نصي من مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي»²³، لذلك فالحجاج هو الوسيلة التي يستعمل فيها المرسل اللغة، وتتجسد عبرها استراتيجية الحجاج، ومن هذه الاستراتيجية تظهر قدرة الخطيب على اختيار الحجج المناسبة التي يقدمها المرسل للمرسل إليه بهدف إقناعه؛ وفق منظومة من المفاهيم التي تستخدم الحقائق في عملية توليد المعرفة وتكثيفها، بغية إيصالها إلى الجمهور بلغة يفهمها.

وفي ظلّ الأوضاع السياسيّة في جنوب لبنان وقطاع غزة، وما حمله طوفان الأقصى²⁴ من استرداد للحقوق المغتصبة من العدو الصهيوني، فاحتاجت الناس إلى من يدافع عنهم وينطق عن لسانهم في هذه الظروف حيث ظهرت الخطابات السياسيّة من جهة والعسكريّة من جهة أخرى، بهدف تحقيق المصلحة وتبيين حقيقة العدوان ومظلومية الشعب الفلسطينيّ، وأهميّة الدفاع عن الأرض والكرامة والوطن، وحفظ هيبة شعب مستضعف ذلّ أكثر من أربعة عقود. ومن أبرز الخطباء الحجاجيين في هذا المجال كان السيّد حسن نصر الله²⁵، فحدّد بخطابه السياسيّ²⁶ الأقسام الخمسة الكبرى التي مثّلت التقسيم الأنموذجي للخطبة، إذ تحدّث عن الاستهلال والقصّ والاحتجاج والاستطراد والخاتمة، وقد جعل المكونات النصيّة للخطاب ترتدّ إلى ثلاثة عناصر رئيسة يلحق بها عنصران ثانويان، وفي ما يلي عرض لهذه المراحل، انطلاقاً من إشكالية واضحة ومحورية؛ هي: ما هي منابع الحجج ومصادر الإقناع في أسلوبية الخطاب الحجاجي عند السيّد حسن نصر الله؟

قد اعتمدت لاثبات هذه الإشكالية على المنهج البنيوي الحجاجي الذي يعدّ أحد الأنماط النصيّة في اللغة والذي يُعرفُ بنظرية الحجاج²⁷، ويكون النصّ الحجاجي متطرقاً لجوانب الرؤية الذاتية والموضوعية في الوقت نفسه، بحيث يكون بعيداً عن الصرامة الشديدة والمتزمّنة، والمنهج البنيوي هو منهج نقدي يستند إلى قراءة النصوص الأدبيّة، وفق

مبادئ واضحة وأسس محدّدة، وينظر المنهج البنيوي إلى النّصّ كهيكلي يحتوي على قواعد تنظّم عناصره بطريقة متكاملة، ويعدّ أنّ المفاهيم والأفكار والدلالات يمكن استخراجها من خلال قراءة النّصّ نفسه من دون اللّجوء إلى مصادر خارجيّة.

ويهدف الخطاب السّياسي إلى التأثير والإقناع من خلال أسلوب الخطيب، الذي يعكس أسلوبيّته بنيته الخطابيّة حاملاً بذور الأسلوبية التي تسعى إلى معرفة سمات النّصّ الأدبيّ (الخطاب)؛ لأنّ هدف المقاربة الأسلوبية يتجلّى في معرفة الظواهر اللّغويّة ذات الأبعاد الدلاليّة، الذي يرجعه إلى بنية النّصّ، بغية معرفة جوانب التّرابط التي تلازم الخطيب المبدع في العمل الإبداعيّ للإضافة على الوقائع اللّغويّة القيم العاطفيّة والرّوحيّة التي تخلق السّياق التّعبيريّ؛ ولذلك يقوم النّصّ على بنية متماسكة قوامها لغة تنطق بالأفكار والإيديولوجيا والأهداف، وتميل إلى التذكير بالإيجابيات، وتعتمد البلاغة؛ لأنّ تأثيرها العاطفي يعود إلى أهميّتها الثقافيّة على مرّ التاريخ الإنسانيّ، وتتسم بنية الخطاب السّياسيّ بالطول عمومًا، وبتكرار الكلمات والجمل لحمل المتلقّي على التركيز على فكرة بعينها، ومن ثمّ سيطرة الأسلوب وغلبة الخبر على الإنشاء والتقرير على الحكم بنسبية الأمور.

أولاً- أساليب الخطاب السّياسي وتقنياته

الخطاب السّياسي خطاب حجاجيّ بامتياز، إذ يستعين بجملة من الآليات والوسائل الحجاجيّة التي تكفل له تحقيق أهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، والعمل كذلك على جذب المتلقّي واستمالته نحو القضية التي يتبنّاها، وبالتالي يوظّف الخطاب السّياسيّ أساليب عديدة وتقنيات حجاجيّة، منها:

1- الإيجاد: مصادر الأدلّة ومنابع الحجج؛ هو عبارة عن تحديد المشكلة المطروحة والبحث عن الوسائل المناسبة للإقناع، ويمثل هذا العنصر في البلاغة الحجاجيّة الجزء المركزي الحاسم.

2- الترتيب: وضع الأدلة موضعها من الخطاب؛ عدّ بلاغيو الحجاج ترتيب القيم أهمّ من معرفتها وتمجيدها؛ فبعد تحديد الحجج والتفكير في مكوّنات الخطاب وأجزائه الكبرى، يفكر الخطيب في ترتيب كلّ ذلك، بحيث يضع كلّ جزء في موضعه المناسب؛ ويمكن أن نرسم التّصميم الأكثر استعمالاً في الخطابات على النّحو الآتي:

1-2 الاستهلال: هذا الجزء الافتتاحي ليس خاصّاً بالخطابة، إنّهُ مشترك بين مجموعة من الأنواع الأدبيّة؛ تتجلّى وظيفته في إفادة المتلقّي ولفت انتباهه وكسب عطفه أي

استمالاته. وينبغي أن يكون الافتتاح مرتبطاً مع الخطبة ببراعة الاستهلال، وهي من أهم أسباب النجاح والجدب في الخطبة، فالمتحدث (الخطيب) يبدأ كلامه بما يشد انتباه من يكلمه، مراعيًا خصوصية الزمان والمكان والمناسبة والجمهور، فيختير من اللفظ ما يناسب مستمعه، وأفضله وأكثره جاذبة؛ يقول الجاحظ⁶: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وحالاتهم، فيجعل لكل طبقة منهم كلامًا يخصهم به حتى يقسم بالتساوي أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم المعاني على أقدار المقامات التي هم عليها المستمعون وحالاتهم»⁷. وقد اشترط القدماء أن تُسهّل الخطبة بحمد الله وتمجيده والثناء عليه، وتُزيّن بالصلاة على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، مع ضرورة توشيحها بآيات قرآنية، «وعلى أن خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين بإحسان، كما يُستحب أن تكون وثيقة الصلة بالعرض أو بالموضوع، ويؤكد الجاحظ ذلك بقوله «لا خير في كلام لا يدلّ على معنك، ولا يشير إلى معزّاك، وإلى العمود الذي إليه قصدت، والغرض الذي إليه نزعتم»⁸.

ومن شروط المقدمة أن تناسب الخطبة طولاً وقصرًا؛ لأنّها إن طالت صرفت انتباه السامعين وملّ منها، واستنفدت جهد الخطيب، وإن قصرت لم تستكمل شروط جودتها وحسنها، بيد أن الخروج على هذه السنن والآداب الخطابية، لا يعني خللاً في بنية الخطبة، أو التقليل من جمالية بلاغتها؛ فعادةً ما يكون الخروج على هذا النهج مُسوِّغاً لسبب ما، يُنبئ عنه الموقف النفسي للخطيب، وموضوع الخطبة، وطبيعة المتلقين، فيبدأ سماحة السيد حسن نصر الله خطابه بـ «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا خاتم النبيين أبي القاسم محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين»⁹. وإلى هذا المعنى أشار أبو هلال العسكري¹⁰، حيث يقول: «وإذا كان الابتداء حسناً بديعاً، ومليحاً رشيقاً، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من كلام، ولهذا المعنى جعل الله أكثر الابتداء بالحمد لله؛ لأنّ النفوس تتشوّق للثناء على الله فهو داعية إلى الاستماع»¹¹. كما أشار إلى ذلك ابن الأثير¹² حين قال: «إنما خصّت الابتداءات بالاختيار؛ لأنّها أول ما يطرق السمع من الكلام، فإذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده، توقّرت الدواعي على استماعه»¹³. وبهذا المقام قال الجرجاني¹⁴: «إنّ الشيء إذا أضمر ثمّ فسّر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدّمه إضمار»¹⁵.

2-2 السرد: هو العرض المفصل لما تمّ اختصاره في المجلّم والمعروض في الافتتاح،

فإذا كان محتوى الرسالة مبنياً بشكل مفصل، فإنّ المجل يعقبه التفصيل، وإذا كان محتوى الرسالة مترابط الأجزاء فإنّ المجل يعقبه السرد. فيقول سماحته: «نتوجه بالدرجة الأولى إلى عوائل الشهداء، نحن نتحدث عن شهداء الجبهة اللبنانية من لبنانيين وفلسطينيين، نتوجه إلى عوائل الشهداء بالتبريك لنيل أعزائهم وأحبائهم هذا الوسام الإلهي، وبالغزاة لفقده هؤلاء الأعزّة والأحبة من بين عائلاتهم سواء أكان أباً أو أماً أو زوجاً أو ابناً، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبّل من الجميع، ويمتدّ تبريكنا وعزاؤنا إلى كلّ عوائل الشهداء في قطاع غزّة في الضفة الغربية، في كل مكان ارتقى فيه شهداء في هذه المعركة، معركة طوفان الأقصى»¹⁶. فالسرد هنا هو الجزء المكمل للخطاب الشفويّ والمكتوب الذي يضطلع برواية حدث أو سلسلة من الأحداث؛ إلاّ أنّ ثمة قضايا لا تستدعي طبيعتها السرد من قبيل ذلك الخطابة الاستشارية. وللسرد أجزاء هي:

2.1-2 المصدر: إنّ صدر السرد تابع للترتيب الطبيعي أو للترتيب الصناعي للسرد، وهكذا يمكن البدء بأيّ جزء من أجزاء السرد. ففي الأدب على سبيل المثال يتمّ البدء بالمصاحبات الظرفية؛ كالموضوع والزمان والمكان والأداة والشخصيات، وبرز ذلك في خطاب «طوفان الأقصى»، بقوله: «اليوم نحن نُحيي ذكرى هؤلاء الشهداء، شهداء المقاومة الإسلامية في لبنان، شهداء حزب الله، شهداء سرايا اللبنايية لمقاومة الإحتلال الإسرائيلي، شهداء كتائب القسام في لبنان، شهداء سرايا القدس في لبنان، والشهداء المدنيين الذين استشهدوا ظلماً على يد الصهاينة وبينهم صحفيون»¹⁷

2.2-2 الاستطراد: هو عنصر تأكيد لكلّ أجزاء الخطاب سواء أعلّق الأمر بالافتتاح أم بالحجاج أم بالاختتام. وهو يدعم على وجه الخصوص السرد الذي يمكن أن يتحقّق في بدايته أو في وسطه أو في منتهاه، والواقع أنّ أيّ تعبير عاطفي وأيّ تفخيم وأيّ اعتراض للجمهور فهو استطراد، وتتمثّل محتويات الاستطرادات في الوصف الاحتفاليّ، والسرد التزيينيّ الذي يمكن أن يتمثّل في كلّ الأشكال السردية، ويرتبط بالوصف السردى الاستطراد الوجدانيّ الذي برز في الكثير من المواضع في خطاب سماحته، والمستعمل على وجه الخصوص في الخاتمة «أنا أقول لأهلنا في غزّة بالرغم من كلّ الجراح لأهلنا في الضفة لكلّ الشعب الفلسطيني، لكلّ الشعوب المقاومة في المنطقة ... إن شاء الله، ونحن وإياكم وإن كُنّا اليوم نحتفي ونكرّم ونحتفل بشهادتنا الأعزاء الأطهار سنلتقي قريباً للاحتفال إن شاء الله بانتصار غزّة، وشعب غزّة، ومقاومة غزّة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»¹⁸.

2.3-2 التلخيص أو الانتقال: يقوم على الابتعاد عن كل أنواع الوصل بين خاتمة السرد وبداية الحجاج؛ فالتلخيص إلى الحجاج يوفر إمكانيتين إحداهما عاطفية والأخرى عقلية؛ فالإمكانية العاطفية تقوم على الاستطراد في حين أنّ الإمكانية العقلية تقوم على الإجمال، فيقول: «هنيئاً لكلّ الشهداء، للشهداء المقاتلين، للشهداء المظلومين، للشهداء من الرجال والنساء والولدان والصغار والكبار، هنيئاً لهم انتقالهم إلى ذلك العالم، إلى جوار الله وملائكته وأنبيائه ورسله وأوليائه وشهاده، حيث لا استكبار أمريكي ولا استبداد صهيوني ولا عدوان ولا قتل ولا مجازر، ولذلك نحن من هذا الموقع الإيماني والعقائدي ننظر إلى الشهداء»¹⁹.

2.4-2 الإجمال: هو النّوّة المفهوميّة لمحتوى السرد؛ هذه النّوّة يمكن أن يعبر عنها في نهاية السرد كونها تلخيصاً للسرد، ويستعمل تبعاً لذلك كمدخل إلى الحجاج، ويمكن أن تكون الاجماليّة سمة بارزة في السرد عندما يتمّ تقديم الأحداث بشكل مبسط من دون تفاصيل كثيرة أو تفصيلات دقيقة. ويضمّ الاجمال؛ الاختصار والتبسيط، إذ يعتمد على تقديم الأحداث والشخصيات بشكل مبسط بدون إدراج الكثير من التفاصيل الزائدة، فيهدف هذا الأسلوب إلى التركيز على الأحداث الرئيسيّة والمشاكل الأساسيّة التي تحرك الحبكة الرئيسيّة، مع تقديم المواقف بشكل عام، فتصل الفكرة بوضوح مع الاقتصاد في الوقت، ويستند في ذلك إلى قوله: «اليوم نتوجّه إلى عوائل الشهداء، أيضاً لنفتخر بهم، لنعتز بهم، لقد سمع العالم وسمعنا مواقفهم وكلماتهم التي تُعبر عن الصمود والثبات واليقين والتسليم والرضا بمشيئة الله واختيار الله واصطفاء الله لأعزائهم شهداء، وهذه هي قوتنا الحقيقية قبل السلاح، قوتنا الحقيقيّة في هذا الإيمان، في هذه البصيرة»²⁰.

3-2 الحجاج: يجعل أرسطو²¹ «الحجاج مفخرة الخطباء والنّوّة المركزيّة لكلّ خطابة، بل لكلّ خطاب، ولكلّ كلام، ما دام الكلام هو الأداة لتحقيق التّجمع»²². فمظهر الموهبة الخطابيّة يتمثّل في القدرات الحجاجيّة المبتكرة والمركّبة على المادّة الحديثيّة المحكيّة، فلا يمكن حصول ذلك إلاّ بالقدرات الحجاجيّة للخطيب وكفاءته في استنباط الحجج المؤيّدّة لطلب البراءة أو التّخفيف، فالحجاج في الخطاب هي الطرق والأساليب التي يستخدمها المتحدّث لإقناع الجمهور بمواقفه أو أفكاره، تعتمد على الاستدلال بالأدلة والمنطق لإثبات نقاط الجدل وإقناع الجمهور بصحّتها، ومن أساليب الحجاج في الخطاب: 3.1-2 الاستدلال بالمنطق: يقدّم الخطيب الحجج المبنية على المنطق المعتمد على العقلانيّة والتفكير النقدي لدعم موقفه، وتفسير وجهات نظره بشكل مقنع.

3.2-2 الاستدلال بالأمثلة والتشابه: وهي تقديم أمثلة وحالات واقعية لدعم حجج الخطيب وإظهار صحّة وجدانيّتها.

3.3-2 استخدام الاستفهام: يمكن للخطيب استخدام الأسئلة التي توجّه الانتباه وتثير التفكير لدى الجمهور، ممّا يعزز فهمهم للموضوع ويؤدّي إلى قبول وجهة نظره. «هل هذا يحتاج إلى أقوى سلاح جو في المنطقة؟ هل هذا يحتاج إلى جيش قوي في المنطقة؟ هذا يستطيع أن يفعله أي جيش يملك بعض الطائرات وبعض الصواريخ؟»²³

3.4-2 الاستدلال بالمواجهة: يستخدم الخطيب العواطف والمشاعر لتحقيق التأثير العاطفي على الجمهور، وتحفيزهم على اتّخاذ إجراء معيّن أو تبني وجهة نظر معيّنة.

3.5-2 الاستدلال بالمصادقية: يبني الخطيب ثقة الجمهور بنفسه عن طريق إظهار مصداقيّته وخبرته في الموضوع المناقش.

4-2 الخلاصة: إنّ الجزء المختصر الذي تنتهي به الخطابة يتطابق مع الاستنتاج، ويلخص ما تمتّ البرهنة عليه في الحجج، ولهذه الخلاصة وظيفتان:

أولاهما: هي تثبيت درجة اليقين، وذلك بفضل التّطابق بين السّرد والاستنتاج، وبفضل التّكرار بشكل مختصر للحجج التي تمّ الاستدلال من خلالها.

ثانيهما: هي الحصيلة أو التّعداد التي وصل إليها الخطيب، ووظيفتها الأساسيّة هي إنعاش الذاكرة؛ إلّا أنّها بفضل التّعداد الملازم للاختصار فإنّها تؤثر على المشاعر والأحاسيس والعواطف. فالّتعداد هو مصطلح يُستخدم في علم اللّغة وعلم الخطاب للإشارة إلى أسلوب يعتمد على تقديم عدة أفكار أو حجج معاً لدعم وجهة نظر معيّنة، ويرجع هذا المصطلح إلى الفيلسوف اليوناني أرسطو في كتابه «رتوريكا»، إذ وصف هذا الأسلوب كوسيلة لزيادة إقناعية الحجج، وقد يستخدم التعداد لإبراز تنوّع الحجج أو الأفكار التي تدعم الرأى الذي يحاول المتحدّث الدفاع عنه، فيهدف إلى إقناع الجمهور بأنّ هناك عدّة أسباب أو دلائل تدعم الرأى المعروف، ممّا يزيد قوة الحجّة ويجعل الجمهور أكثر عرضة لقبوله.

وللاختتام غايتان: الأولى هي إنعاش الذاكرة والثانية هي التأثير على عواطف المتلقّي. وهي تتضمّن خمسة عناصر: التّليخيص والاختيار والأمر والتّشويق والإثارة. في حين يذهب «أرسطو» إلى أنّ عناصر الخاتمة أربعة، وهي: استمالة المستمع إلى جهة الخطيب، وتنفيره من الخصم، والتأثير العاطفي على المستمع؛ وإنعاش الذاكرة.

فالخلاصة هي الفرصة الأخيرة للتأثير على المستمع في الاتّجاه الإيجابي الذي يخدم قضيتنا وفي الاتّجاه السلبي للخصم. ففي الوقت الذي يكون فيه اللّجوء إلى العواطف في كلّ

أجزاء الخطابة خفيفاً فإن أبواب العواطف في هذه اللحظة تفتح على مصراعها؛ ومن أهم متطلبات جودة الاختتام نجد الإيجاز، إلا أن المحسنات البلاغية تزيد هذا الاختتام عذوبة.

3- الأسلوب: الصياغة - العبارة

في هذه المرحلة ينتقل الخطيب لكي يصوغ لغوياً وبشكل ملموس، ما حشده في لحظة الإيجاد من حجج ومقومات طبائع الخطيب والجمهور، وما نظمه في لحظة الترتيب. ويلتقي هنا، في هذه اللحظة الصياغية، كل ما يتعلّق بالنحو، أي عناصر السلامة اللغوية المجردة والتداولية أو المعاني بوصف هذه تتعلّق باستخدام اللغة في سياق ما، أي أن الأمر يتعلّق بقابلية الفهم الواضح ضمن السياق. في هذه الحالة نلتقي بما يمكن وصفه قواعد زائدة يتكلفها الخطيب، هذه العلائق كلها هي التي تحظى بتسمية مشرفة عند المعاصرين ألا وهي الأسلوبية. وربما أطلق عليه آخرون شعريّة أو بلاغة المحسنات التي تتعلّق بالأصوات أو التركيب أو المعنى أو الأفكار، فلكي يكون الخطاب مقنعاً لا بدّ من تلاحم السمات البيانية بالحجج العقلية؛ التي تخاطب عقل المتلقي، والصّور البلاغية تخاطب قلبه، وتحرك مشاعره، لذلك فإننا نجد في حالة الخطابة بوصفها إحدى ظواهر الاتّصال ذات الخصوصية، يحتاج مقدّم الرسالة إلى أدوات إضافية تسهم في تثبيت المواقف الفكرية أو السياسية، أو العقديّة المطلوب إيصالها إلى المتلقي.

الرسالة التي تحوز على رضا المتلقي والتي يبحث عنها هذا الأخير نكتسب قيمتها من جملة شروط أو خصائص تتّصف بها، وأهمّها أن تكون حائزة على درجة من المصادقية تساعد على أن تكون مقنعة، وأن تكون البساطة أحد أهم صفاتها، وإلى يجب تدعيمها بالأمثلة الواقعية واستخدام الرموز التي تحمل المتلقي على الاهتمام بها، والبحث عن حلول لها، فلا يبقى المتلقي مجرد مستقبل، وإنما تحرك فيه رغبة الاكتشاف وتحفّز فيه دافع الفضول لمشاركة المرسل في فك رموز الرسالة وقراءة ما تتطوي عليه من معانٍ فالقيمة الحجاجية لقول ما، ليست هي حصيلّة المعلومات التي يقدمها فحسب، بل إنّ الجملة بإمكانها أن تشتمل على مورفيمات وتعايير أو صيغ، والتي بالإضافة إلى محتواها الإخباري، فهي تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول وتوجيه المتلقي في هذا الاتجاه أو ذاك. ومن هذا المنطلق يجب الإقرار بوجود حجاج بلاغي يجد عناصره الأساسية في المعاني البلاغية المؤثرة كأدوات إقناعية مثل؛ الشاهد والاستشهاد والحجّة والدليل والاستدلال. فالخطاب الحجاجي، هو خطاب مؤسس على بنية من الأقوال اللغوية والبلاغية، يشتغل على

تسللها داخل الخطاب، فهو خطاب متداخل، لاختلاف أصوله المعرفية، ويحصر في ثلاثة أنواع: الحجاج المنطقي، والحجاج البلاغي، والحجاج التداولي. وتشمل عناصر خطاب الحجاج في إدراج مجموعة من الأساليب اللغوية ضمن الخطاب الحجاجي قصد استدراج المتلقي للتجاوب معه، ضمناً وليس صراحة، حيث لجأ سماحته في خطاب طوفان الأقصى إلى النمط البرهاني الاقتاعي معتمداً النفي المتكرر للتأكيد والسخرية «وليس هناك في هذا العالم من يسأل لا أمم متحدة، ولا مجلس أمن دولي، ولا منظمة تعاون إسلامي، ولا جامعة الدول العربية، ولا اتحاد أوروبي، ولا كل التكتلات الدولية المعروفة في العالم، بل كانت قضية فلسطين وما يجري في فلسطين، وكل هذه الملفات كانت منسية في آخر اهتمامات العالم إن كانت موجودة أساساً على لائحة الاهتمامات، وفي المقابل كانت سياسة العدو تزداد صلافة وطفيناً وعتواً وفساداً وظلماً وقهراً واذلالاً»²⁴.

وتتمثل هذه الأساليب بـ:

1-3 التوكيد: يشير إلى استخدام اللغة بشكل يُعطي أهمية ووزناً خاصاً للفكرة أو العبارة المقصودة، ويستخدم التوكيد للتأكيد على معنى معين، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق تكرار الكلمات، أو استخدام العبارات القويّة، أو التركيز الزائد على المفهوم المقصود. وفي الكتابة والخطاب، يُستخدم التوكيد لعدة أغراض، منها:

– توجيه انتباه القارئ أو الجمهور.

– تعزيز الثقة في الفكرة المعبر عنها.

– تحديد الأولويات والمعلومات الرئيسيّة.

– تحفيز الاستجابة أو التفاعل.

فيقول سماحته: لكنّ الشهداء هؤلاء فازوا فوزاً عظيماً، وهنيئاً لكلّ الشهداء، للشهداء المقاتلين، للشهداء المظلومين، للشهداء من الرجال والنساء والولدان والصغار والكبار²⁵

2-3 الترادف: يستخدم الترادف في اللغة إشارة إلى الكلمات أو العبارات التي لها مشابه لمعنى كلمة أو عبارة أخرى. وبمعنى آخر، الترادف هو الكلمات التي تعبّر عن الفكرة أو الدلالة نفسها، ولكنها قد تختلف في التركيب أو الأصل، ويستخدم في اللغة لتجنب التكرار الممل، ويثري النص ويضيف متعة وتنوعاً، فيقول: «أرحب بهذا الحضور الكبير والمهيب في احتفال اعتزازنا وافتخارنا بالشهداء، بكل الشهداء، الذين اجتمعنا اليوم في حفل تكريمهم وفي حفل تجديد البيعة لدمائهم ولأهدافهم/ المستبشرون - المتعمون/ نُوجه

التحية إلى كلّ الذين تضامنوا وتظاهروا وصرخوا وأيدوا وساندوا ودعموا على مستوى العالم من الدول، من دول عربية أو إسلامية أو أميركا اللاتينية، إلى كل الشعوب، إلى كلّ المواقف»²⁶.

3-3 النداء: يشير النداء في اللغة إلى الاستخدام الخاصّ بالكلمات أو العبارات التي تهدف إلى جذب انتباه الشخص المخاطب بها مباشرة، ويمكن استخدام النداء في الخطاب العام، الكتابة، أو أيّ نوع من أنواع التواصل اللفظي أو الكتابي. وللنداء أغراض عدّة، منها:

— جذب الانتباه: يُستخدم النداء للتوجيه المباشر للشخص المخاطب به، ممّا يساعد على جذب انتباهه وتركيزه.

— التوجيه: يُستخدم النداء لتوجيه الشخص المخاطب به إلى القيام بشيء معيّن أو الانضمام إلى فعالية ما.

— توجيه العواطف والمشاعر: يساعد النداء في توجيه العواطف والمشاعر، سواء أكان ذلك بتحفيز الشخص أم بتهدئته.

— الإقناع: يُستخدم النداء كأداة للإقناع، حيث يحفّز الشخص على قبول وجهة النظر أو القيام بإجراء معيّن.

3-4 الأمر: هو نوع من العبارات اللفظية التي تستخدم لتوجيه شخص ما للقيام بشيء معيّن أو أداء فعل محدّد، ويُستخدم للتعبير عن الطلب، النصيحة، الأمل، الحثّ، أو الأمر بشيء ما، فيتم استخدامه لتوجيه الشخص المخاطب به إلى القيام بفعل معيّن، أو يمكن أن يكون الأمر في اللغة بمعنى السلطة أو السيادة، كما في «الأمر والنهي».

3-5 النهي: هو نوع من العبارات اللفظية التي تستخدم لمنع شخص ما من القيام بشيء معيّن أو لتعبير عن رفض أو إلغاء فعل محدّد، ويمكن أن يكون النهي بصيغة فعل مرفوع؛ ويتم استخدام النهي لمنع الشخص المخاطب به من القيام بفعل معيّن، كما يستخدم للتعبير عن الأمر والسلطة، كما في «الأمر والنهي»، وهذا يشير إلى القوة أو الهيمنة.

3-6 الاستفهام: هو نوع من العبارات اللفظية التي تستخدم لطرح سؤال أو للبحث عن معلومة أو استيعاب رأي شخص آخر، تستخدم الأسئلة للحصول على المعرفة أو الفهم أو التفكير حول موضوع معيّن، وتؤدي دوراً مهماً في التواصل وتعزيز الفهم وتحفيز التفكير، وتستخدم في مجموعة متنوعة من السياقات، ولها أغراض مختلفة، وتتنوّع هذه الأغراض بحسب السياق:

- التأكد والتحقق: يُستخدم السؤال للتحقق من صحّة معلومة معينة أو للتأكد من فهمها.
- تحفيز التفكير والمناقشة: تُستخدم الأسئلة لتحفيز التفكير النقدي والمناقشة.
- التوجيه والارشاد: تُستخدم الأسئلة لتوجيه الشّخص المخاطب به نحو فعل معيّن أو هدف.
- وفي خطاب طوفان الأقصى نرى سماحته يستخدم الاستفهام بغرض التأكيد على أحقيّة العمل البطولي الذي قام به المقاومون ضدّ العدو الصهيوني، فيسأل بطريقة السرد والوصف والعرض: «وكان عملاً بطوليّاً شجاعاً، مبدعاً، متقناً، عظيمًا كبيرًا تُرفع له كل التحايا، ماذا أدى هذا العمل الكبير والعظيم؟/ ماذا فعل طوفان الأقصى بهذا الكيان وبقيادة هذا الكيان؟/ أين جيشكم؟ أين سلاح جوكم؟ أين اسطولكم البحري؟ أين إسرائيل التي كانت تتفاخر بأنها أقوى جيش في المنطقة؟»²⁷
- 3-7 الاقناع: هو عملية تأثير الآخرين أو إقناعهم بفكرة معيّنة أو اتّخاذ إجراء معيّن، ويمكن أن يكون الهدف من الاقناع هو تغيير الرأي أو التصرّف أو الموقف لصالح الشّخص المتحدّث؛ الاقناع ليس فقط عملية تقديم حجج ومعلومات، بل يتضمّن، أيضًا، استخدام العواطف والمنطق والأخلاق لتحقيق الهدف المرغوب، وتتضمّن عناصر الاقناع عادةً:
 - تحليل الجمهور: يتضمّن فهم الجمهور المستهدف، ومعرفة ما يثير اهتمامهم وما يؤثّر فيهم، وما يمكن أن يجعلهم يقبلون الرسالة بشكل أفضل.
 - استخدام الأدلّة والحجج: يتضمّن تقديم معلومات وحجج وأدلّة تدعم الرأي المطلوب وتجعله مقنعًا للجمهور.
 - استخدام العواطف: يشمل استخدام العواطف مثل الرغبة، والخوف، والأمل، والشعور بالانتماء، لإثارة استجابة عاطفيّة من الجمهور.
 - استخدام الأخلاقيات: تستند الرّسالة المقدّمة إلى مبادئ أخلاقية وتحترم قيم الجمهور.
 - استخدام اللّغة والأسلوب الفنّي: يشمل استخدام اللّغة القويّة والأسلوب المقنع جذب انتباه الجمهور وإقناعه.
 - تقديم حلول وبدائل: يجب على المتحدّث أن يقدّم حلولاً عملية وبدائل مقنعة لإثبات جدوى رؤيته أو اقتراحاته.
- فالاقناع يعتمد على فهم عميق للجمهور والموضوع المتناول، ويتطلّب توجيه جهود مستمرّة لتحقيق النّجاح في تحقيق الأهداف المرغوبة. وفي هذا المجال يقول سماحته: «لنجاح العمل وليس له أي تأثير سلبي على الإطلاق على أي قرار يتّخذه فريق أو حركة مقاومة في محور المقاومة، بل بالعكس هذا الأداء من الإخوة في حماس ثبت وأكّد الهوية الحقيقية

للمعركة والأهداف وقطع الطريق على الأعداء وعلى المنافقين أن يُزيّفوا وأن يُحرفوا وخصوصاً عندما يتحدثون عن علاقات فضائل المقاومة الفلسطينية الإقليمية²⁸. ومن أهداف الاقناع:

1-7-3 تبرير نجاح العملية

وهذه النتائج وهذه التداعيات تستحق كل هذه التضحيات، لأنها أسست لمرحلة جديدة من الصراع مع هذا العدو، أسست لمرحلة تاريخية جديدة من مصير الشعب الفلسطيني ومصير شعوب المنطقة ودول المنطقة، هذا الأمر الذي حصل في طوفان الأقصى ولذلك هو يستحق كل هذه التضحيات، ولم يكن هناك خيار آخر وليس هناك خيار آخر، الخيار الآخر يعني السكوت، الصمت، الانتظار، انتظار الموت، انتظار ذهاب الضفة، انتظار ذهاب الأقصى، انتظار المزيد من الحصار، انتظار موت الأسرى، ولذلك هذا الخيار كان صائباً سليماً صحيحاً حكيماً شجاعاً، مطلوباً في وقته الصحيح وفي وقته المناسب ويستحق كل هذه التضحيات²⁹.

2-7-3 تثبيت حقيقة ضعف العدو

«وهذه حقيقة ثبتتها عملية طوفان الأقصى، سارعت الإدارة الأمريكية برئيسها ووزرائها وجنرالاتها لتمسك بهذا الكيان الذي كان يهتز وكان يتزلزل، من أجل أن يستعيد بعض أنفاسه، يستعيد بعض وعيه، يقف على قدميه من جديد، وليستعيد زمام المبادرة، وهو لم يتمكن حتى الآن من استعادة زمام المبادرة، وتقديم الحماية والمساندة له بكل الأشكال³⁰، كما يؤكد فكرة ضعف العدو لأنه لا يعتمد على عقيدة وقيم إنسانية «اسرائيل أوهن من بيت العنكبوت»³¹

3-7-3 مصداقية العمل والاحلاص لله

«وهذه الحادثة، أيضاً، تؤكد مصداقية ما كُنّا نقوله طوال السنوات الماضية ليفهم ذلك الصديق وليفهم ذلك العدو أنذ القرار لدى حركات المقاومة هو لدى قيادات حركات المقاومة، الجمهورية الإسلامية في إيران منذ الإمام الخميني (رضوان الله عليه) إلى سماحة الإمام الخامنئي (دام ظله) تتبنى وتدعم وتساند علناً حركات المقاومة في لبنان وفلسطين والمنطقة، ولكنها لا تمارس أي وصاية عليها على الإطلاق ولا على قياداتها ولا على قراراتها، ما حصل في الماضي وما حصل في طوفان الأقصى اليوم يؤكد هذه الحقيقة³².

ثانياً- الدلالات السياقية والأسلوبية في خطاب «طوفان الأقصى»

من أهمّ الدلالات السياقية والأسلوبية التي أثارها السيد حسن نصر الله في خطابه هي:
1-2 أسلوب الوصف:

أ- وصف الجنة: «ولنكون على يقين إلى المكان الذي مضوا إليه، إلى العالم الذي رحلوا إليه، الى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»³³، يقول الله سبحانه وتعالى عن الشهداء: «وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»³⁴.

ب- الشهداء: «هم الآن أحياء، وليس المقصود في يوم القيامة، في يوم القيامة كل الناس سيكونون أحياء، أما الآن الشهداء هم الأحياء الفرحون المستبشرون المتنعمون برحمة الله وفضله»³⁵، «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ»³⁶.

ج- عوائل الشهداء: «اليوم نتوجه إلى عوائل الشهداء، أيضا لنفتخر بهم، لنعتز بهم، لقد سمع العالم وسمعنا مواقفهم وكلماتهم التي تُعبّر عن الصمود والثبات واليقين والتسليم والرضا بمشيئة الله واختيار الله واصطفاء الله لأعزائهم شهداء، وهذه هي قوتنا الحقيقية قبل السلاح، قوتنا الحقيقية في هذا الإيمان، في هذه البصيرة، في هذا الوعي، في هذا الالتزام العميق بالقضية، في هذا الاستعداد العظيم للتضحية، في هذا الصبر الذي لا حدود له، الذي يُعبّر عنه آباء وأمّهات وزوجات وأبناء وبنات وعوائل الشهداء»³⁷

د- الشعب الفلسطيني: الشعب الأسطوري: «التحية للشعب الأسطوري، للشعب الذي لا نظير له في هذا العالم، لأهل غزة وشعب غزة الذين شاهدناهم على الشاشات كيف يخرج الرجل والمرأة والطفل من تحت الأنقاض»³⁸

ه- شعب غزة: للشعب الذي لا نظير له في هذا العالم، لأهل غزة وشعب غزة الذين شاهدناهم على شاشات التلفزيون كيف يخرج الرجل أو المرأة أو الطفل من تحت الأنقاض، وقد دُمر بيته واستشهدت عائلته ويصرخ ان كل ما قدمه هو فداءً للمقاومة، فداءً للأقصى، فداءً لفلسطين، هنا القوة الحقيقية وهنا الشعب الذي يعجز اللسان والبيان عن التعبير عن عظمته وعن جبروته وعن إيمانه وعن صموده وعن صبره، وكذلك ما نشهده في الضفة الغربية من تضحيات وصمود وصلابة وشموخ وصبر وفي كل الساحات»³⁹.

و- حكومة العدو: «هذه الحكومة المتطرفة والحمقاء والغبية والمتوحشة. / أيضاً يكشف غياب الإسرائيلي وحماقته وعجزه، لأن ما يقوم به ما هو؟ هو يقوم بقتل الناس في غزة،

الأطفال والنساء، أغلب الشهداء هم من الأطفال والنساء، الأغلبية الساحقة هم من المدنيين، يدمر الكنائس والمساجد والمستشفيات والمدارس، لا توجد حرمة لشيء»⁴⁰

2-2 موضوعات الخطاب:

2.1-2 الوضع الفلسطيني، تناول سماحة السيّد نصر الله الوضع الفلسطيني بنقاط أربعة، على الشكل الآتي:

أ- ملف الأسرى:

العنوان الأول: «ملف الأسرى، آلاف الأسرى من الرجال والنساء والأطفال الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية بعضهم مضى عليه سنوات، بعضهم مرضى يعاني خطر الموت وليس هناك من يُحرك ساكناً، ومع الحكومة المتطرفة وهذا الوزير الغبي قام بالتشديد على الأسرى وعلى عائلات الأسرى ممّا جعل الأمور في بعضها الانساني سيئة»⁴¹.

ب- القدس والمسجد الأقصى

العنوان الثاني: «ملف القدس والمسجد الأقصى وما تعرض له خصوصاً في الأشهر الأخيرة الماضية وخصوصاً في الأسابيع التي سبقت عملية طوفان الأقصى، لم يكن له أيضاً سابقة منذ احتلال القدس في العام 67»⁴²

ج- الحصار على غزة

العنوان الثالث: «الحصار على غزة، قرابة العشرين عاماً هناك أكثر من مليوني إنسان يعيشون في مساحة ضيقة في حصار خانق في ظروف معيشية صعبة من دون أن يحرك أحد ساكناً في هذا العالم»⁴³.

د- المخاطر الجديدة على الضفة الغربية

العنوان الرابع: «المخاطر الجديدة التي بدأت تتهدد الضفة الغربية من خلال مشاريع الاستيطان الجديدة أيضاً مع هذه الحكومة المتطرفة الحمقاء الغبية، إضافة إلى أعمال القتل اليومي والاعتقال اليومي وهدم البيوت. هذه ملفات كلها كانت ضاغطة وبقوة على الفلسطينيين وعلى حركات المقاومة في فلسطين»⁴⁴.

2.2-2 الفخر والإباء: «ويصرخ ان كل ما قدمه هو فداءً للمقاومة، فداءً للأقصى، فداءً لفلسطين، هنا القوة الحقيقية وهنا الشعب الذي يعجز اللسان والبيان عن التعبير عن عظمته وعن جبروته وعن إيمانه وعن صموده وعن صبره، وكذلك ما نشهده في الضفة الغربية من تضحيات وصمود وصلابة وشموخ وصبر وفي كلّ الساحات»⁴⁵.

2.3-2 أحيّة المعركة مع العدو: «فكانت العملية الجهادية العظيمة الكبرى في 7 تشرين الأول عملية طوفان الأقصى والتي قام بها مجاهدوا كتائب عز الدين القسام وشاركهم فيها بقية فصائل المقاومة في قطاع غزة»⁴⁶.

أ- المعركة ومفهومها: «لو أردنا أن نبحث عن معركة كاملة الشرعية من الناحية الإنسانية، من الناحية الأخلاقية، من الناحية الدينية، لن نجد معركة كمعركة القتال مع هؤلاء الصهاينة والغزاة المحتلين لفلسطين، هذه معركة لا غبار عليها، على المستوى الإنساني، على المستوى الأخلاقي، على المستوى الشرعي، ولذلك هي من أوضح وأعظم وأبين مصاديق القتال في سبيل الله سبحانه وتعالى، هذا ما يجب أن نعرفه جميعاً»⁴⁷.

ب- عملية الطوفان والقرار الفلسطيني: «هذه العملية العظيمة والمباركة والواسعة كان قرارها فلسطينياً مئة بالمئة وكان تنفيذها فلسطينياً مئة بالمئة قد أخفاها أصحابها عن الجميع حتى عن فصائل المقاومة في غزة، فضلاً عن بقية دول وحركات محور المقاومة»⁴⁸.

ج- قرار المقاومة: «وفي هذا السياق أيها الأخوة والاخوات، يأتي قرار المقاومة الإسلامية في العراق بمهاجمة القواعد العسكرية الأميركية، قواعد الاحتلال الأميركي في العراق وفي سورية بإعتبار أن الأميركي هو الذي يُدير الحرب في غزة، وهو الذي يجب أن يدفع ثمن عدوانه ودعمه وإحتلاله وجرائمه في العراق وفي سورية وفي فلسطين، وهذا قرارٌ حكيمٌ من قيادة المقاومة الإسلامية في العراق، قرار حكيم وصائب وصحيح وشجاع ومبارك»⁴⁹.

2.4-2 خلفيات عملية الطوفان

فند سماحة السيد نصر الله في خطابه الحدث وتداعياته، مبيّناً ما حصل ميدانياً بالأدلة الواقعية⁵⁰:

— كان عملاً بطولياً شجاعاً، مبدعاً، متقناً، عظيماً كبيراً تُرفع له كل التحايا.
— أدّى الحدث إلى إيجاد وإحداث زلزال على مستوى الكيان الإسرائيلي، زلزال أمني، وعسكري، وسياسي، ونفسي، ومعنوي.

— للحدث نتائج وتداعيات استراتيجية، ووجودية، وستترك آثارها على حاضر هذا الكيان وعلى مستقبل هذا الكيان.

— كشفت العملية عن الكثير من الحقائق وكشفت عن الوهن والضعف والهزال، وأنها بحق أوهن من بيت العنكوت.

— تثبت حقيقة عملية طوفان الأقصى، حيث سارعت الادارة الأمريكية برئيسها ووزرائها وجنرالاتها ليمسك بهذا الكيان الذي كان يهتز وكان يتزلزل.

أ- حقيقة عملية طوفان الأقصى التي أخفاها العدو
«عندما ذهبوا لاستعادة المستعمرات في غلاف غزة من أيدي المقاومين الفلسطينيين، هم الذين ارتكبوا المجازر بحقّ المستوطنين الاسرائيليين، وليس ما يتهمون به حماس وبقية فصائل المقاومة، وغداً عندما يقف غبار المعركة وتبدأ لجان التحقيق سيكتشف العالم أنّ أغلب من يقولون أنّهم مدنيون قتلهم حماس أو قتلهم الفلسطينيون، إنّما قُتلوا بسلاح ورمصاص وصواريخ الجيش الإسرائيلي، الذي كان يتصرف بغضب وبعنف وبضياح»⁵¹.

ب- أبرز الأخطاء (ضياح الهدف)

«من أهم الأخطاء التي ارتكبت في الحروب السابقة ويرتكبها وترتكبها حكومة العدو الآن هي الأهداف، هي طرح أهداف عالية لا يمكنهم أن يُحققوها ولا يمكنهم أن يصلوا إليها، مثلاً عندما قالوا أنّ الهدف هو القضاء على حماس، ومرة يقول اسقاط حكومة حماس، ومرة يقول القضاء على قيادة حماس، ومرة يقول القضاء على الجناح العسكري في حماس، ثم بعد ذلك عندما استيقظوا على أنفسهم وطالبوهم عائلات الأسرى وضعوا هدفاً آخر وهو استعادة الأسرى لدى المقاومة وفصائل المقاومة في غزة بلا قيد وبلا شرط»⁵².

ج- المقاومون هم أصحاب القرار

«ومن يريد أن يقرأ ما يجري اليوم ويمكن أن يجري في أي وقتٍ في المستقبل، يجب أن يفهم أن أصحاب القرار الحقيقيين هم قيادات المقاومة وأهل المقاومة ومجاهدو المقاومة ويخدمون أهدافهم وقضيتهم الأساسية والحقيقية»⁵³.

د- معركة الصمود

المعركة إذاً هي معركة الصمود والصبر والتحمل وتحقيق الإنجازات وتراكم الإنجازات وإفشال العدو ومنع العدو من تحقيق أهدافه وهكذا سننتصر، نحن جميعاً أعود وأقول يجب أن نعمل ليقف العدوان على غزة ويجب أن نعمل لتنتصر غزة وتنتصر المقاومة في غزة»⁵⁴.

2.5-2 نتائج عملية «طوفان الأقصى»

بعد عملية «طوفان الأقصى»، برزت نتائج هامة⁵⁵ ومنها:

— عندما نتحدث عن شهداء في الجبهة اللبنانية، ما يقارب سبعة وخمسين شهيداً بما فيهم شهيدا السرايا اللبنانية، إضافة إلى شهداء كتائب القسام وإضافة إلى شهداء سرايا القدس في لبنان وإضافة إلى الشهداء المدنيين.

— بدأ العدو بسحب قوات من الحدود مع لبنان، لأنه في حالة انهيار معنوي ويُريد أن يحشد قوات واستدعى الاحتياط، تصوّروا من أجل غزة وقطاع غزة المحاصر، المساحة المحدودة، هو يُريد أن يُرسل كل الجيش إلى غزة، يريد أن يسحب من الضفة ويستعيض عنهم بقوات الاحتياط، واستدعى الاحتياط.

— العمليات كانت تتصاعد وصولاً إلى ما كانت عليه يوم أمس أجبرت العدو على أن يُبقي قواته عند الحدود وفي شمال فلسطين المحتلة بل أن يضيف إليها قوات وخصوصاً قوات النخبة.

— الجبهة اللبنانية خفّفت جزءاً كبيراً من القوّات التي كانت ستُسخّر للهجوم على غزة وجذبتهما باتجاهنا، ونحن هنا نعم، نحن هنا نُعرّض أنفسنا للخطر.

— لكن جبهة لبنان ماذا فعلت؟ ثمة أرقام دقيقة لعديد القوات والآليات والفرق والألوية والكتائب وما شاكل:

○ جبهة لبنان استطاعت أن تجذب ثلث الجيش الإسرائيلي إلى الحدود مع لبنان، ثلث الجيش الإسرائيلي الآن موجود في قبائل هؤلاء المجاهدين الذين يقاتلون عند الحدود.
○ اثنين، نصف القدرات البحرية الإسرائيلية الآن موجودة في البحر المتوسط مقابلنا ومقابل حيفا.

○ ثلاثة، ربع القوات الجوية مُسخّرة باتجاه لبنان.

○ أربعة، ما يُقارب نصف الدفاع الصاروخي، أي القبة الحديدية والقبة الصاروخية والباتريوت وما شاكل، تقريباً النصف مُوجّه باتجاه جبهة لبنان.

○ الثلث من القوات اللوجستية مُوجّهة باتجاه لبنان.

○ نزوح عشرات الآلاف من سكان المستعمرات وإخلاء آلاف آخرين، في الشمال هناك ثلاث وأربعين مستعمرة تمّ إخلاؤها ومن هم موجودون الآن في المستعمرات هم بالأعم الأغلب جنود وليسوا مدنيين.

○ في الجنوب مقابل غزة 58 مستعمرة تمّ إخلاؤها. هذه تشكّل ضغطاً كبيراً على المستوى النفسي والمعنوي والمالي والاقتصادي.

○ هذه العمليات على الحدود وفي مزارع شبعاً أوجدت حالة من القلق والترقب والذعر والخوف لدى قيادة العدو السياسية والعسكرية، وأيضاً لدى الأمريكيين.

2.6-2 عالميّة الخطاب: يشير خطاب «طوفان الأقصى» إلى «عالمية الخطاب» لبروز قدرة الخطيب على الوصول إلى جمهور واسع ومتنوع، بغض النظر عن الثقافة أو اللّغة أو

- الخلفية الاجتماعية للمستمعين، وتعتمد «عالمية الخطاب»⁵⁶ على عدّة عوامل، منها:
- لغة واضحة وبسيطة: ينبغي أن تكون الكلمات والعبارات سهلة الفهم وغير معقدة، ويفضّل استخدام المفردات الشائعة والعبارات البسيطة.
 - التواصل الثقافي: يجب أن يأخذ الخطيب في الاعتبار الفروق الثقافية بين الجماهير المستهدفة ويحاول تجنّب الألفاظ أو الأفكار التي قد تكون مسيئة أو مسببة للتوتر.
 - الاهتمام بالقضايا العالمية المشتركة: يمكن للخطاب العالمي أن يكون فعّالاً عندما يتناول قضايا تهّم البشريّة بشكل عام، مثل حقوق الإنسان والسلام والتنمية المستدامة.
 - استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا: يمكن لوسائل التواصل الاجتماعي وتكنولوجيا المعلومات أن تكون وسيلة فعّالة لنقل الخطاب العالمي والتفاعل مع الجماهير في جميع أنحاء العالم.
 - التفكير المعمق في القضايا العالمية: يجب على الخطيب أن يكون على دراية بالقضايا العالمية وأن يكون قادراً على تحليلها ومناقشتها بشكل موضوعي وشامل.
 - على الرغم من التحدّيات التي قد تواجه الخطاب العالمي، إلّا أنّ فهم الجمهور المستهدف واستخدام اللّغة والثقافة بشكل صحيح يمكن أن يسهم في تعزيز فعالية الخطاب ووصوله إلى جمهور عالمي واسع.
- أ – الخروج عن دائرة المكان الواحد: ويجب أن نخص بالذكر والتحية السواعد العراقية والسواعد اليمينية التي دخلت إلى قلب هذه المعركة المباركة؛ إذا كان لا بدّ من حدث كبير يهز هذا الكيان الغاصب المستبد المُستعلي ويهزّ داعميه المستكبرين وخصوصاً في واشنطن ولندن⁵⁷.
- ب – الدوائر المتكاملة: فلسطين – لبنان – العراق – اليمن، «عادة بلبنان وفلسطين واينما كان عندما تحصل معركة معينة سريعاً يقول لك الملف النووي الإيراني، خدمة المفاوضات الإيرانية الأوروبية، خدمة المفاوضات الإيرانية الأمريكية، خدمة للأهداف الإيرانية في المنطقة سريعاً يأخذون الموضوع لمكان آخر من باب الكذب والتضليل والتزوير، معركة طوفان الأقصى من خلال قرارها الفلسطيني وتنفيذها الفلسطيني»⁵⁸.
- 2.7-2 وعد بلفور⁵⁹
- «كل هذا الذي يجري في قطاع غزّة ويراها العالم يكشف لنا من جديد ويؤكد لنا من جديد، أولاً: الطبيعة المتوحشة والهمجية لهذا الكيان، لإسرائيل، للكيان الغاصب الذي زرعه في منطقتنا في فلسطين بناءً على وعد بلفور المشؤوم الذي كان ذكره بالأمس ليتلظى بناره

وحروبه منذ 75 عامًا شعوب المنطقة وأولها الشعب الفلسطيني ومصر والأردن وسورية ولبنان وكل المنطقة»⁶⁰.

2.8-2 نتائج غطسة العدو في غزة

«اليوم ما يجري في فلسطين وما يجري في قطاع غزة أيها الأخوة والاختوات، يكشف غياب الإسرائيليين وحماقته وعجزه، لأن ما يقوم به؛ هو قتل الناس في غزة، الأطفال والنساء...، يدمر الكنائس والمساجد والمستشفيات والمدارس، لا توجد حرمة لشيء، لا لدم ولا لمؤسسة في قطاع غزة، يدمر أبنية مليئة بالسكان، يدمر أحياء بكاملها تحت مرأى العالم»⁶¹.

2.9-2 طرح خطة لوقف العدوان

في ختام الخطاب طرح سماحة السيد نصر الله خطة شاملة لوقف العدوان وعلى الجميع يطبّقها إذا ما أراد السلام لغزة.

«إذاً، أيها الأخوة والاختوات، المسؤولية هي مسؤولية الجميع في هذا العالم، كلّ حرّ وكلّ شريف في هذا العالم يجب أن يتحمّل المسؤولية، الدول والحكومات العربية والإسلامية يجب أن تعمل كلّ جهدها لفرض وقف العدوان على غزة بالحد الأدنى، فلا يكفي التنديد وبيانات الاستنكار والشجب:

- اقطعوا العلاقات، واسحبوا السفراء.
- لا يكفي أن نخطب، وفي الوقت نفسه نُرسل النفط إلى إسرائيل، ونُرسل الغاز إلى إسرائيل، ونُرسل الموادّ الغذائية إلى إسرائيل.
- اقطعوا النفط عن أميركا.
- اقطعوا الموادّ الغذائيّة عن إسرائيل.
- أوقفوا تصدير ما تُصدرونه إلى إسرائيل»⁶².

2.10-2 رسم خارطة طريق للمحور

«وأنتم أيها الأميركيان تعرفون جيداً أنّه إذا حصلت الحرب في المنطقة فلا أساطيلكم تنفع ولا القتال من الجو ينفذ وأنّ الذي سيدفع الثمن بالدرجة الأولى مصالحكم وجنودكم وأساطيلكم التي ستكون الضحية والخاسر الأكبر»⁶³.

2.11-2 دعوة إلى إعادة النظر في الإنسانية

دعا سماحة السيّد نص الله جميع الشعوب بأسلوب مقنع وبرهاني واستدلالي؛ طارحاً اللوم على المتخاذل، مستنداً إلى الإنسانية وإلى الدين وإلى الشرف، فيقول:

«الدفاع اليوم عن شعب غزّة هو مقتضى إنسانية الإنسان، من يصرخ، من يكتب، من يأخذ موقفاً، من يتظاهر، من يدعم، من يساند، من يتكلم، من يتحرّك فضلاً عن من يقاتل، هذا هو مقتضى إنسانية الإنسان، ومن يسكت يجب أن يُعيد النظر في إنسانيته إن كان إنساناً، وفي دينه إن كان ينتمي إلى دين، وفي شرفه إن كان يدّعي أنّه شريف، وهنا يجب أن يتحمّل الكلّ مسؤوليته»⁶⁴.

2.12-2 الوعد الالهي بالنصر:

ثمة وعد إلهي في القرآن الكريم للذي يعتمد قلبه على الله تعالى فهو الغالب. (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ)⁶⁵، إذا ظفرتم بالنصرة الإلهية فلن يتغلب عليكم أحد، وسوف تظفرون.

«وأنا أقول لكم أولاً إيماناً بالوعد الإلهي الذي وعد المؤمنين الصادقين الصابرين المجاهدين بالنصر، هذا وعد الله ولم يُخلف الله معنا في يوم من الأيام وعده، عندما وجدنا حقاً وحقيقة صابرين صامدين ثابتين نُقاتل في سبيله مهما بلغت التضحيات، وهي دليل الصدق والإخلاص الذي يستجلب النصر الإلهي»⁶⁶.

ثالثاً- آليات الحجاج في الخطاب السياسي واستراتيجياته

الخطاب السياسي هو حدث خطابي تفاعلي مباشر، يُعنى بدراسة الجمهور الفعلي ويُعمّم ليوائم حاجات الجمهور وطبيعتهم، إذ يمارس الجمهور دوراً متواصلًا في تشكيل الخطاب وتوجيهه، وقد يصل إلى تغيير الموضوع أو الإسكات الاكراهي للخطيب بسبب تصاعد علامات الاستهجان والتشويش.

ويقصد بالآليات التأثير في الخطاب السياسي مجموعة من الاستراتيجيات التي يضيفها الخطاب السياسي على قوة القائد السياسي وهيبته وسماته أمام شعبه؛ بمعنى أنّها محمل الأبعاد المؤثرة ايجابياً على قوة القائد السياسي، وتلك الآليات تجعل من الخطاب السياسي

خطاباً إقناعياً مؤثراً في المتلقي، ومن أبرز تلك الآليات تجمل في النقاط الآتية:

1-3 ثقافة المتحدث: تظهر في استشادات الخطيب «السيد حسن» الواقعية، ومقارناته، فمهما امتلك المتحدث من مواصفات فنية تقنية تتعلق بمستوى أسلوبه وشخصيته وطريقته ومدى أهمية النص الخطابي إلا أن العامل الحاسم في نجاح أي خطاب سياسي يكمن في تلك المقومات الثقافية التي تميّزه عن الآخرين، وهي القدرة اللامتناهية في الاحاطة للكثير من المعلومات والمعارف والثقافات وتقديمها بقالب مصوغ بفنية عالية بأسطر قليلة، هادفاً بذلك اىصال الفكرة بوضوح من جهة، ومن جهة ثانية اقناع العدو، قبل الصديق، بجرأة مواجهة المشكلات وحلّها وبكلّ ثقة. وتبرز ثقافة «سماحة السيد حسن نصر الله» الدينية والمرتبطة بالعتيدة الإسلامية في خطابه، بقوله عن معرض الشهداء: «ولنكون على يقين إلى المكان الذي مضوا إليه، إلى العالم الذي رحلوا إليه، الى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»⁶⁷، يقول الله سبحانه وتعالى عن الشهداء: «وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ سَبِيلَهُمْ وَيُصْلِحُ بِأَلْهَمِ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»⁶⁸

2-3 الوعي السياسي لدى المتحدث (الخطيب): هذه الآلية لا بدّ من اتقانها عند الخطيب وهي جزء لا يتجزأ عن شخصيته، لأنّه تعدّ الرؤية الشاملة الناتجة من معارف ومعلومات وقيم واتجاهات سياسية التي تتيح إدراك أوضاع المجتمع ومشكلاته مع القدرة على تحليلها والحكم عليها، والخطيب السيد نصرالله يشهد له بهذا الوعي السياسي الكامل، حيث عرض أربع ملفات سياسية بامتياز: «هناك أربع عناوين كانت ضاغطة في الوضع الفلسطيني: العنوان الأول: هو ملف الأسرى...، العنوان الثاني: ملف القدس والمسجد الأقصى العنوان الثالث: الحصار على غزة، والعنوان الرابع: المخاطر الجديدة التي بدأت تتهدد الضفة الغربية من خلال مشاريع الاستيطان الجديدة... هذه ملفات كلّها كانت ضاغطة وبقوة على الفلسطينيين وعلى حركات المقاومة في فلسطين»⁶⁹.

3-3 استخدام التوثيق والتاريخ والعبارات المألوفة: يعدّ هذا الأسلوب من الأساليب الأساسية في توضيح الأفكار المحورية للخطاب ويكسبها الواقعية، ووضعها وفق سياق تاريخي يجعل المتلقى يفهم هذه الأفكار ويتلقّفها بكلّ سهولة وشغف، فيعمل بذلك على ربط الماضي بالحاضر والمستقبل. وهذا ما بان في خطاب «طوفان الأقصى»، حيث ربط سماحته الحاضر بالماضي (حرب تمّوز) ليتّعضّ العدو في المستقبل، فيقول: «وهذا واضح ما يجري اليوم جرى في السابق، طبعاً مع فارق سأحدث عنه، في لبنان في تموز 2006 وفي

حروب متكررة مع غزة مع فارق كمي ونوعي ولكن من نفس الطبيعة ومن نفس الجوهر»⁷⁰.
 3-4 استخدام النتائج المنطقية: إن الاعتماد على النتائج الواقعية المنطقية تعطي الخطاب السياسي قوة وفعالية، ويعد ذلك مؤشراً ضرورياً لمصداقية الخطاب، فالمتلقي يعيش في عالم مفتوح، وبالتالي لم يعد تخفى عليه المعلومة ونتائجها، والتّصريح بها وبناتجها الموثقة أصبحت جزءاً من نجاح الخطاب السياسي. «في الجنوب مقابل غزة ثمانية وخمسين مستعمرة تمّ إخلاؤها. هؤلاء الذين تمّ إخلاؤهم من الشمال ومن الجنوب يُشكّلون ضغطاً كبيراً على المستوى النفسي والمعنوي والمالي والاقتصادي، هذه النتيجة، إيجاد حالة القلق والغموض والذعر لدى قيادة العدو تخدم أمرين أساسيين مهمين: الأمر الأول، تجعل العدو يحسب خطواته جيداً باتجاه لبنان...، والأمر الثاني الذي يتحقّق هو من خلال هذه العمليات وهذا القلق وهذا الغموض سيدخله في حساباته وهو يتصرّف مع غزة وخصوصاً في العمليات البرية وهو يعمل لهذا كلّ حساب»⁷¹.

3-5 السياق: يعدّ السياق من أهمّ الآليات التي تساعد المتلقي على فهم القضية المعالجة بأدلتها المقنعة وأسلوب الخطيب، وهو يساعد في عملية القراءة والتأويل لمختلف المعاني التي حملها الخطاب، ويمنح تركيزاً أوسع في استراتيجية تحقيق الأهداف وطرح حلول المشكلات الاجتماعية، وهذا يعطي انطباعاً حازماً أنّ الأهداف واضحة في ذهن المتلقي ممّا يسهّل عملية تطبيقها. وبرز ذلك في خطاب طوفان الأقصى من خلال المنهجية المحكمة التي أتبعها السيد حسن نصر الله من مقدّمة واستهلالها بالحمد والشكر إلى العرض بطرح الموضوعات المركبة بين براعة في الأسلوب واتقان في عرض الفكرة وصولاً إلى خلاصة واستنتاجات لتحقيق أهداف عملية «طوفان الأقصى».

3-6 كسب الثقة: إنّ كسب الثقة هو عملية تأسيس علاقات موثوقة ومبنية على الاعتماد والاحترام بين الأفراد أو الجهات المختلفة، ومن أبرز العوامل التي تسهم في كسب الثقة، وقد برزت بجلية عند الخطيب سماحة السيد حسن نصر الله بخطابه:

3-6.1 الصدق والنزاهة: برزت الشفافية والواقعية اللتان ينتج عنهما الصدق والنزاهة في مفاصل حياته وهما أحد العناصر الهامة في تفعيل قوة الخطاب السياسي، وكان الخطاب شاهداً على ذلك حتى أنّ العدو يعرف صدقه قبل أيّ إنسان آخر، وإذا تحدّث صدق في قوله وفي فعله، وهذا يرتبط بالأيديولوجية والعقيدة.

3-6.2 الاحترام والتقدير: إنّ سماحته موضع احترام وتقدير انطلاقاً من القيم التي يحملها ويطبّقها، وربطاً بقيمنا التربوية والسياسية والأخلاقية والتاريخية والوطنية والعقائدية.

3-6-3 الالتزام بالوعود: هذه سمة كل إنسان يحمل عقيدة صادقة، وسماحته من الذين حملوا العقيدة الإسلامية ومن موجباتها الصدق والوفاء بالعهد والوعود.

3-7 لأفعال الكلامية: تعدّ الأفعال السياسية أفعال كلامية في الغالب، لأنّ الكلام لا يحمل فقط رسالة دلالية، وإنما يشي أيضاً بالموقع الذي يتخذه صانع الكلام في الخطاب السياسي، فاللغة تدلّ بما هي كلام وعلامات، وإشارات على الميثاق التواصلي بين المتكلم والمتلقي، فألية البدائل يتيح تأويل اللغة بحرية، ولكنها لا تتيح أيّ حرية لتغيير الحدث، فمأزق الفعل السياسي يقابله انعراج واسع في زاوية الفعل الكلامي لذلك يلجأ الفكر إلى سلطة اللغة عسى أن تعيد التوازن بين الفعلين.

3-8 مراعاة مقتضى الحال: لجأ سماحة السيد حسن نصر الله إلى مراعاة مقتضى الحال ليخاطب كل طبقة بماناسبها ولتحقيق ذلك كان عارفاً بأحوال من يخاطبهم اجتماعياً وثقافياً وسياسياً لأنّ الكلام يفسّر ويفهم حسب الموقف الذي يحدث فيه.

3-9 الايحاء: شحن سماحة السيد حسن نصر الله خطابه برموز ومدلولات تخبئ بعض المعاني التي يريد البوح بها إذ لا بدّ للسياسي من بعض الغموض حتى يقتنع المتلقي، كون هذا الغموض أقوى من حيث التأثير في المتلقي، لأنّ المعاني الخفية والأفكار غير المعلن عنها تحتاج إلى إعمال الفكر وهو ما يرسخ الفكرة والمعنى في الذهن مع عدم المبالغة في الغموض والرمزية حتى لا يبتعد عن الهدف الذي يريد تحقيقه وهو التواصل والإقناع والتأثير.

3-10 التأويل: سمة تداولية بحتة، يخضع لها الخطاب السياسي، وتعتمد على المتلقي الذي يحاول أن يتجاوز التلقي المباشر إلى إعادة قراءة الخطاب في ضوء معطيات تداولية متعددة، ينطلق فيها من قصد المرسل والظروف التي أنتج فيها الخطاب وكل السياقات التي تحتضن هذا الخطاب لحظة إنتاجه وإلقائه.

الخاتمة

تخلص الدراسة إلى أنّ الخطاب السياسي يتميز بانفتاح واسع على الجمهور بوصفه يستخدم السمات اللغوية والأسلوبية والتواصلية من لغة سليمة وأسلوب مؤثر مقنع من خلال استخدام الآليات والاستراتيجيات المتعلقة بالخطاب، بالإضافة إلى اعتماد الحجج العقلية والمنطقية والواقعية من براهين وأمثلة وقياسات وشواهد إلى جانب الصور السياسية والمشهديات لتقريب الصورة إلى ذهن المتلقي، وما هو مؤكّد منه أنّ الخطاب

السياسي يختلف من سياسي إلى آخر بحسب قدرات كل شخص وقناعاته وإيديولوجياته. ويجب أن يقوم على ركائز ثلاث هي: أخلاقيات المجتمع، ومحاكاة المشاعر الشعبية، والمنطق، وهو ما يعني التشابك بين المنطق وقواعد اللغة من جهة وبين الصورة التي يركبها الأسلوب والوسائل من جهة أخرى، حتى يكون الخطاب مؤثراً أكثر وتكون له فعالية ويؤدي غرضه كما يجب.

ومن أبرز الاستنتاجات التي توصلت إليها في الدراسة:

- الخطاب السياسي هو أحد أهم وسائل التواصل السياسي التي يتم من خلالها نقل الرسائل والأفكار وتشكيل الرأي العام.
- بناء الثقة والتواصل مع الجمهور من خلال الخطيب المقنع المتميز بسمات أخلاقيات الخطابة، ويمكن أن يكون محوراً لتحفيز الشعوب وتوجيهها نحو الأهداف المشتركة.
- اعتماد مجموعة متنوعة من التقنيات والأساليب اللغوية لجذب انتباه الجماهير والتأثير فيها.
- الخطاب السياسي وسيلة لتأكيد الهوية الوطنية والانتماء، وتعزيز الوحدة الوطنية والتعاقد بين أفراد المجتمع.
- أهمية تحديد السياق والمراقبة الفعالة لاستخدام البنية الحجاجية في الخطاب السياسي، لضمان أن يكون بناءً وموجهاً نحو تحقيق الصالح العام.
- يشير خطاب «طوفان الأقصى» إلى «عالمية الخطاب» لبروز قدرة الخطيب على الوصول إلى جمهور واسع ومتنوع ببنية حجاجية واضحة.
- أهمية تطبيق آليات الحجاج في الخطاب السياسي واستراتيجياته.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد ت 6٣٧هـ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ج4.
- ابن منظور، لسان العرب. بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 2003
- بوبكري، راضية، الخطاب السياسي الخصائص الاستراتيجية والتأثير، مجلة دراسات وأبحاث الحلقة، مجلد5، العدد12
- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ.

- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصيل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقق: د. عبد الحميد هندواي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين، ط 15، بيروت، دار العلم للملايين، ج 2.
- شارودو، باتريك، الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة أحمد الودرني، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط 1، 2009.
- عبد اللطيف، عماد، «الخطابة السياسية في العصر الحديث»، دار العين للنشر، القاهرة، 2015.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الصناعتين، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، 1419هـ.
- نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى، تاريخ 3 ت²، 2023.

الهوامش:

- 1 – شارودو، باتريك، الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة أحمد الودرني، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط 1، 2009، ص 16.
- 2 – طوفان الأقصى: هي عملية طوفان الأقصى، وفي إسرائيل عملية الشبّوف الحديدية، كما تُشير إليها بعض المصادر بالانتفاضة الثالثة، أو الحرب الفلسطينية الإسرائيلية ويشار إليها بشكل غير رسمي باسم معركة السابع من أكتوبر.
- 3 – السيد حسن نصر الله: ولد في 31 آب 1960، وهو الأمين العام الحالي لحزب الله منذ 16 شباط 1992، وقد تولّى المنصب خلفاً للسيد عباس الموسوي الذي أغتاله العدو الصهيوني في جبشيت في 16 شباط 1992، ولد السيد حسن نصر الله في برج حمّود، وتعود أصوله إلى بلدة البازورية حيث اضطر والده للنزوح إلى بيروت بحثاً عن فرصة للعمل، وهو رجل حوزوي وسياسي.
- 4 – الخطاب الثاني بعد طوفان الأقصى: بعد زهاء ثلاثة أسابيع من بدء الحرب وانخراط الحزب نسبياً فيها، أعلن حزب الله عن استشهاد أكثر من 50 شهيداً، لديه إضافة للشهداء المدنيين الذين سقطوا جرّاء العدوان "الإسرائيلي". في المقابل، وفي الأول من الشهر الجاري، أي بعد 23 يوماً من المواجهات، أعلن الحزب عن حصيلة الجانب "الإسرائيلي" فيها، والتي تمثّلت في مقتل وجرح 120 جندياً، وتدمير 9 دبابات وإسقاط مسيّرة وتدمير ناقلتي جند وسيارتي هامر. وبحسب مصادر الحزب، فقد نفّذ الأخير 105 هجمات طالت منظومات استخبارات واتصالات وأنظمة تشويش، حيث دمّرت 69 منظومة اتّصال و33 راداراً و140 كاميرا مراقبة و17 نظاماً من أنظمة التشويش.

- 5 - نظرية الحجاج: تحتوي هذه النظرية على مجموعة من الحجج التي يتم ذكرها من أجل الإقناع والدلالة على بطلان الرأي أو صحته، ويكون النص الحجاجي موجّهًا للجميع، سواء أكان شخصًا واحدًا أو جماعات من الأشخاص لإقناعهم بالعرزوف عن آرائهم وتغييرها في مختلف القضايا السياسيّة والفكريّة
- 6 - الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكِنَاني البَصْرِيّ المعروف بِالْجَاحِظِ، (159-255هـ)، أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباس، ولد في البصرة وتوفي فيها. وفي رسالة الجاحظ التي اشتهرت عنه مدح فيها نفسه حيث قال: "أنا رجل من بني كنانة، وللخلافة قرابة، ولي فيها شفعة، وهم بعد جنس وعصبة" (الزركلي، الأعلام، ج2، 196)
- 7 - الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ، ص 131.
- 8 - م. س. الجاحظ، البيان والتبيين، 1423هـ، ص 114
- 9 - نصر الله، السيد حسن، مقدّمة الخطبة، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 10 - أبو الهلال العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، (ت 395هـ)، عالم لغوي وأديب نُسب إلى عسكر مُكرم من قرى الأهواز، له مؤلفات كثيرة أشهرها جمهرة الأمثال. (الزركلي، الأعلام، ج2، 196)
- 11 - العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الصناعتين، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: المكتبة العنصرية- بيروت، 1419هـ.
- 12 - ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلّي (-555 630)، المعروف بابن الأثير الجزري، من أبرز المؤرخين، عاصر دولة صلاح الدين الأيوبي، ورصد أحداثها ويعد كتابه الكامل في التاريخ مرجعًا لتلك الفترة م التاريخ الإسلامي. (الزركلي، الأعلام، ج2، 196)
- 13 - ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ج4، ص 98.
- 14 - عبد القاهر الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجُرْجَانِيّ (-400 471هـ)، من علماء العربية، نحوي ومتكلم، ومؤسس علم البلاغة وهو فارسي الأصل، جرجاني الدار، وُلِدَ في جرجان وعاش فيها دون أن ينتقل إلى غيرها، نشأ فقيرًا، في أسرة رقيقة الحال، ولهذا أيضًا، لم يجد فضلة من مال تمكنه من أخذ العلم خارج مدينت جرجان. (الزركلي، ج2، ص 205)
- 15 - الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ، ص 92.
- 16 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 17 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.

- 18 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 19 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 20 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 21 - أرسطو: بالإغريقية (384-322) (Ἀριστοτέλης) الملقب بالمعلم الأول، هو فيلسوف يوناني وتلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر، ويعدّ مؤسس مدرسة ليقيون ومدرسة الفلسفة المشائية والتقاليد الأرسطية، وواحد من عظماء المفكرين.
- 22 - أرسطوطاليس: الخطابة، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق - المغرب، 2008، ص 12
- 23 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 24 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 25 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 26 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 27 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 28 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 29 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 30 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 31 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 32 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 33 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 34 - سورة محمد، الآيات 5-6-7
- 35 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 36 - سورة البقرة، الآية 154.
- 37 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 38 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 39 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 40 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 41 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 42 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 43 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 44 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 45 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 46 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.

- 47 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 48 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 49 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 50 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 51 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 52 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 53 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 54 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 55 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 56 - عبد اللطيف، عماد، "الخطابة السياسية في العصر الحديث"، دار العين للنشر، القاهرة، 2015، 56.
- 57 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 58 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 59 - وَعْدُ بَلْفُور: هو بيانٌ علنيٌّ أصدرته الحكومة البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى لإعلان دعم تأسيس «وطن قوميٍّ للشعب اليهودي» في فلسطين، التي كانت منطقتين عثمانيتين ذات أقلية يهودية (حوالي 3-5% من إجمالي السكان)، ضُمنَ هذا الوعد ضمن رسالة بتاريخ 2 نوفمبر/ تشرين الثاني عام 1917 مُوجَّهَةً من وزير خارجية المملكة المتحدة آرثر بلفور إلى اللورد ليونيل دي روتشيلد أحد أبرز أوجه المجتمع اليهودي البريطاني، وذلك لنقلها إلى الاتحاد الصهيوني لبريطانيا العظمى وإيرلندا، نُشر نصُّ الوعد (أو الإعلان) في الصحافة في 9 ت2 عام 1917.
- 60 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 61 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 62 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 63 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 64 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 65 - سورة آل عمران، الآية 160
- 66 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 67 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 68 - سورة محمد، الآيات 5-6-7
- 69 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 70 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.
- 71 - نصر الله، السيد حسن، خطاب عملية طوفان الأقصى تاريخ 3 ت2، 2023.

قيم التسامح بين التصوف والفلسفة أحمد بن مصطفى العلاوي المستنغامي نموذجاً

فاطمة سامي فرحات

من الأمور التي شغلت الفكر الإنساني وفتحت على جملة من التحديات الفكرية، تثبيت منهج معياري وتعميدي للتداخل الفلسفي الصوفي في القضايا الإنسانية، ذلك أنّ الفلسفة هي تفكير إنساني يتميّز بأنه يقدم تبريره مقروناً بالأدلة والبراهين العقلية، وقد أعتبر المؤرخون أنّ إبداع العقل يكون بتكوين رؤية فلسفية للقضايا.

أستاذة محاضرة
في الجامعة
الإسلامية -
كلية الدراسات
الإسلامية.

أمّا التصوف فهو طريقة من طرائق التفكير الذاتي الذي يقوم على إدراك باطن الحقائق إلى جانب الظاهر وامتثالها روحياً. وعليه فإنّ اختلاف المناهج بين الفلسفة والتصوف لا يلزم منه اختلاف المقاصد؛ فإذا كان من أهداف الفلسفة الحصول على الحقائق المجردة باعتبارها حقائق كونية، فهو عين هدف التصوف الذي يسعى إلى اكتشاف الدلالة الرمزية للوجود، وأمّا حديث التجربة الصوفية عن الوحدة والكثرة التي لا تمايز فيها ولا اختلاف، وعن الذات الكلية وعن الزمان يتقاطع مع حديث الفلسفة عن الوحدة والكثرة وعلاقة المطلق بالزمان وعن الصيرورة والثبات.

أمّا ممارسة التسامح سلوكياً فتتمثل منهجاً وفكراً في العلاقات الإنسانية يتجلى في صورة انفلات النفس الإنسانية من شرك الأناية وحب الذات وإلغاء الآخر، والتحرّر من كل أشكال الكره والبغضاء، وعليه فإنّ صوفية التسامح تبرز في عملية التكامل الجمعي لتحقيق أصالة الاستخلاف الإنساني في الكون. فالتسامح

يتحقق عندما تتجرد النفس الإنسانية من متعلقاتها الأنية وتدرک حقيقة وجودها وتسعى في تحصيل کمالاتها، باعتبار أن التسامح أو القدرة على التعايش مع الآخر مهما كانت ثقافته وسلوكه يمثل قيمة من أعلى القيم الإنسانية والدينية، التي تأخذ الإنسان في رحلته الصوفية مطهرة منابته الروحية، ورافعة أعماله التكوينية إلى حيث محل الصفاء والامتثال لطاقة الحب والسماحة الإنسانية.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ﴾ (فاطر/10).

ذلك أن التصوف بمفهومه الأساسي هو عروج الإنسان من حقيقته السفلية المتدنية الممتلئة بالكثافة إلى حقيقته العلوية اللطيفة السامية التي انبعثت منها، هذا العروج يستدعي سمواً أخلاقياً بالدرجة الأولى وأعلى مظهر للسمو الأخلاقي هو الانسجام مع الوجود والحياة بحسب ما هما عليه.

وفي عصرنا المتسّم بحالات التشتت والاقتتال والتمثيل بقيم الآخر، وأقول السلطة الإنسانية عن ساحات العمل البشري، لا بد من العمل الجاد على إبراز القيم الإنسانية الأخلاقية ومنها؛ قيم التسامح كمحرك أولي نحو تنقية الداخل الإنساني من شوائب عدم تقبل الآخر، وعدم التسامح المتمثل بالتكفير ومن ثم الإلغاء والقتل والقيام بكل ما نهت عنه الأديان وشرائع حقوق الإنسان العالمية. وتظهر دعوة القرآن واضحة وجليّة إلى الإنسان محدّدة له معالم الطريق السليم والأحسن في مقام تذليل العقبات أمام الاختلافات الفكرية، وفي كل مجال من مجالات الصراع في الحياة: {...ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا اللَّيِّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (فصلت/34).

وفي قوله تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا} (الإسراء/53).

هذه الآيات تبين الأساليب المنهجية والعقلانية لصوغ مبدأ التسامح في العلاقات الإنسانية، وذلك بعد تشخيص أسباب عدم التسامح أو اللاتسامح الثقافية والاجتماعية والدينية والسياسية وغيرها، والتدقيق في الجذور الرئيسية للتمييز والعنف والاستبداد في المجتمعات، لاسيما مع الآخر المختلف، دون تأثيم أو تحريم أو تجريم، ذلك أن المجتمع البشري بحاجة إلى نشر وتأسيس قيم التسامح كمنظور إنساني وأخلاقي، لأنه لا يمكن أن يحصل على أي تقدّم داخل المجتمع الدولي والإنساني من دونه، ما يفقده القدرة على

الخروج من غلواء التطرف والتعصب واللاتسامح، والتحرّر النفسي والفكري من تبعات اللاتسامح لا يكون إلا بتعميم فكرة قبول الآخر، حتى وإن تناقض مع رأي العام السائد.

1- الجذور المعرفية والفكرية لمفهوم التسامح.

إن التسامح يرتكز إلى مبدأ فلسفي وهو القول بالوحدة الكونية والإنسانية، بحيث يقبل هذا المبدأ بالفروقات والاختلافات الدينية والثقافية على أنها طرق أخرى في فهم الله والإنسان والكون: فالتسامح ليس مساومة فكرية أو دينية، ولا يلغي الخصائص والمميزات الفردية ولا يقفز فوق الفروقات الحضارية والدينية؛ أنه الاعتراف الهادف بوجود التباينات ومن ثم احترام هذه التباينات باعتبارها إثراء للوجود البشري ودعوة إلى التعارف والتثاقف: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا... } (الحجرات/13).

و الشرط الأساسي للتسامح الديني هو المعرفة ؛ معرفة حقيقية للذات وللتاريخ وللهوية ثم معرفة الآخر تاريخاً وثقافة وفكراً، وعليه فإنّ التسامح لا يستقيم إلا على قاعدة المعرفة الرصينة، فالجهلاء لا يتسامحون ولا يتحاورون؛ لأنهم لا يملكون معرفة ما يلتقون عليه أو يختلفون فيه ليتحاوروا على تقريب الفكرة الإنسانية في أصول الالتقاء. أمّا التقاء الأديان على تاريخ الإنسان بصفته خليفة الله على الأرض واعتباره كائناً حراً ودعوتهما إلى مشترك إنساني يقوم على قاعدة العدالة، إنما يشكل منبعاً ومصدراً لفكرة التسامح الذي يغتذي من مصدر الهي يكفي المؤمنين أن يعيشوا ويلتزموا الكتب السماوية بصدق حتى يحققوا في واقعهم الحياتي اليومي ما تدعوهم إليه كتبهم المقدسة في أن يكون مسلماً حقاً أو غير مسلم، وهذا يحفز على الارتقاء في الإيمان إلى المقاصد العليا، والإعلاء من قدر الإنسان ورفض استغلال أو الاستغلال من كرامة الإنسان كونه مخلوق على صورة الله.

2- قيم التسامح

أ- قيمة التسامح الديني تتمثل في كونه يقتضي الاحترام المتبادل: إن قيمة التسامح الديني تتمثل في كونه يقرّ بالاختلاف، ويقبل التنوع، ويعترف بالتغاير، ويحترم ما يميز الأفراد من خلال معطيات نفسية ووجدانية ثقافية وعقلية، ويقدر ما يختص به كل شعب من مكونات امتزج فيها قديم ماضية بجديد حاضرة ورؤيته لمستقبله، فهي سبب وجوده وسرّ بقاءه وعنوان هويته.

ب- قيمة التسامح الديني تتمثل في كونه يقتضي المساواة بالحقوق: إنَّ قيمة التسامح الديني تتمثل في كونه يقتضي التسليم المطلق بأنه إذا كان لجماعة ما وجود يقتضي الاحترام ومراعاة حفظ وجوده فلآخر وجود يلزم من يلتقي معه أن يحفظ وجوده ويحميه. وإذا كان لهم دين له حرمة فلآخرين له حرمة، وإذا كان لجماعة ما خصوصيتها الثقافية لا ترضى الانتهاك فلآخر خصوصيته التي لا تقبل المس أبداً.

ج- قيمة التسامح الديني تتمثل في كونه داعماً لإقامة مجتمع مدني. التسامح الديني يعدُّ أرضية أساسية لبناء المجتمع المدني وإرساء قواعده الحقوقية؛ فالتعددية وحرية المعتقد وقبول الاختلاف في الرأي والفكر وثقافة الإنسان واحترام سيادة القانون كلها قيم إنسانية لا يمكن التفريط بها أو المساومة عليها، ما يعني أن التسامح هو اتخاذ موقف إيجابي فيها قرار بحق الآخر في التمتع بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية. وعليه فالتسامح الديني مسؤولة قيمية وواقعية للإقرار بالحقوق والتعددية والديمقراطية وحكم القانون، وهو أمر ينطوي على رفض الدوغمائية والاستبدادية، والإقرار بحق كل إنسان بأن يتمسك بمعتقداته، ومناطق هذا الإقرار هو التسليم بواقعية الاختلاف بين البشر إن على مستوى الطباع أو المظهر أو السلوك أو على مستوى القيم والقوميات والأديان والأصول، فهم لهم الحق والمساواة في العيش بسلام، وهذا يعدُّ الخطوة الأولى لتعميم مبدأ التسامح.

وهكذا؛ نستخلص أن التسامح يستوجب الاحترام المتبادل، ويستلزم التقدير المشترك ويدعو إلى نشر ثقافة التعارف والتقارب بين الأفراد والشعوب، ما يفرض التعامل في نطاق الدائرة الموضوعية من دون المساس بدائرة الخصوصية من غير إثارة لحساسيتها وانتهاك لحرمة ذاتيتها، وهي دائرة تبادل المعارف والمنافع والمصالح الفاعلة التي يعود مردودها بالخير على الجميع.

إنَّ تفعيل التسامح فكراً وواقعاً وممارسة وسلوكاً قيمياً، وبكل ما تعنيه الكلمة من عنصر مواجهة مقابل مفاهيم التشدد والتعصب والانغلاق والانحياز والعداء والإفراط والتفوق على الآخرين، ولاسيما في الأفكار والآراء والقيم الدينية منها والتاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية والعرقية، ساهم في إقرار مباشر بمبدأ الاختلاف وقبول الآخرين أو تأكيد ثابتة حق الاختلاف في الاعتقاد وفي حرية التفكير، على الرغم من عدم الاتفاق معهم عقيدياً وفكرياً وقيماً.

فإنَّ الحق في الاختلاف يحيل إلى معنى آخر للتسامح؛ وهو التحمل والذي يعني قبول الآخر بكل ما يحمله من سلبيات على مستوى الفكر.

بما أنّ التسامح يمثّل شكل التعايش العقلاني للقيم، والحال هذه تصيح مهمة تأسيس منظومة القيم وتعايشها الطبيعي هي الصيغة العلمية الضرورية للتسامح نفسه. فلكل أمة وثقافة منظومتها الخاصة في تأكيد وتفعيل مفردات التسامح، وهو الأمر الذي يجعل من أكثر المنظومات القيمة تسامحاً جزءاً من معاناة الأمم نفسها ومن ثم لا يمكن لأية منظومة مهما بدت راقية في تأسيسها العقلاني قادرة على أن تكون منظومة كونية، وهو ما للتسامح من قيمة نسبية ومطلقة.

أمّا التسامح الصوفي من منظور أهل الطريقة؛ فهو يتجاوز الدلالات الظاهرة إلى ما هو باطني جواني وأعمق إنسانية؛ يقصد به الأخوة البشرية والمحبة الكونية والعشق الرباني والعبو الأخلاقي، والإحالة على وحدة الأديان والعقائد... ما يعني قبول الآخر مهما كانت جنسيته أو ملّته أو إثنيته أو عقيدته أو لغته أو فئته الاجتماعية، فالصوفية نزعة أخلاقية ربانية المقصد.

وقد أشار إلى مكان هذه الحقيقة الشيخ العارف أحمد بن مصطفى العلاوي (العلاوية)* «ما كثرت مساوئ النفس إلاّ لتستر أنوار القدس»⁽¹⁾ معتبراً أن الذنوب الموسومة بعدم قبول الآخر ما هي إلاّ حجب يرفعها الكبرياء وحب الذات والتفاخر في مقابل قبول الآخر والاعتراف بوجوده شريكاً استخلافياً في الساحة الإنسانية، ويؤكد العلاوي ذلك بالاستعدادات: «وهل في استعداد الإنسان ما يهديه إلى إدراك كنه معنى الإنسان أمّا على القياس فمتعذر... لأن الإنسان ليس في استطاعته أن يدرك ما هو به إنسان إلاّ إذا رفعه الله إليه»⁽²⁾، فرحلة الفرد سفر في الكشف عن مخزون القيم الربانية، ما به يكون الإنسان إنساناً نفعاً لنفسه وغيره. هذا ما قدّمه صاحب الطريقة العلاوية؛ والتي تعدّ فرعاً عن الطريقة الدرقاوية الشاذلية، المنسوبة إلى الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة المشهور بلقب العلاوي (1869-1934)، أسسها سنة 1914 في مدينة مستغانم حيث الزاوية الأم في حي تجديت بمستغانم. وما يعرف عن الطريقة العلاوية أنها طريقة عصرية في أساليبها التنظيمية لكنها من حيث المنهج تحافظ على نفس أركان التصوف كما وضعه الأوائل كالذكر والخلوة والمجاهدات والاهتمام بالأوراد. يقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله : «تعرف طريقة الشيخ ابن عليوة بأنها طريقة عصرية، عند البعض، لماذا؟ لأن الشيخ استعمل وسائل حديثة لنشر أفكاره وتعاليمه؛ وسائل لم تستغلها الطرق الصوفية الأخرى المختبئة خلف حيطان الزوايا والخلوات والعبادات الليلية والسرية. أما الشيخ ابن عليوة فقد اشترى مطبعة للزاوية، وأسس صحفاً كانت تنشر نشاطه. ومن أشهر الصحف التي صدرت عن الزاوية العليوية صحيفة أسبوعية تسمى (لسان الدين) وصحيفة (البلاغ الجزائري)

الأسبوعية أيضاً. وقد اهتمت الأخيرة بشؤون الجزائر السياسية والوطنية، وكان لها آراء صريحة لتأييد الجامعة الإسلامية واليقظة الوطنية وقد وقفت ضد الاندماج وأنصاره، وضد التجنيس، ودافعت بشدة عن اللغة العربية⁽³⁾. يضاف إلى ذلك مقاومة التنصير في الجزائر وخارجها ومواجهة الحركة الإصلاحية بقيادة جمعية العلماء المسلمين، التي هاجمت المرابطية ولم تفرق في المواجهة بين الطريقتين الصوفية الصحيحة وبعض أديانها، وكذلك وقف الشيخ العلاوي ضد الحركات المعادية للأديان كالمسيحية وتقليد عادات الغرب في طريقة الحياة، هذا في عهد مؤسسها واستمرت الطريقة بعده بنفس النشاط والأهداف مع الشيخ عدة بن تونس (1898م - 1952م) المنزل من شيخه منزل الابن، كما كتب الشيخ العلاوي في وصيته التي تركها بعده وهكذا مع بقية شيوخ الطريقة إلى اليوم.

من المسلم به أن الطرق الصوفية ارتقت أرفع المراتب في المجتمع الجزائري، فقامت بالدور الفاعل في معظم الأحداث، وكان للفكر الصوفي الطريقي تأثيراً كبيراً على الحياة الاجتماعية والثقافية، بحيث وصل عدد الطرق إلى ثلاثين طريقة صوفية؛ وهي لا تزال من أهم الطرق الصوفية في العالم وعرف من هذه الطرق : الطريقة التيجانية - الطريقة السنوسية - الطريقة الشاذلية والطريقة العلوية⁽⁴⁾، وأهم ما يجمع هذه الطرق هو المحافظة على الهوية الإسلامية الجزائرية على الرغم من تأكيدها على الجانب الروحي والعلمي.

كما أن الطرق الصوفية صاحبة الفضل في استمرار الأفكار الصوفية، وكذلك الحفاظ على الإسلام واللغة العربية.

بدأ التصوف في الجزائر تصوفاً نظرياً ثم تحول واتجه إلى الناحية العلمية في القرن العاشر، وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية، وقد أسهمت عوامل عدة (فكرية وسياسية واجتماعية) في انتشار التصوف واستمراره في الجزائر.

والمشهور عند الصوفية أن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، فلذلك تعددت أساليب معالجة أدواء النفس، والحق في ذلك ما قاله الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي: هو «من... يهذب نفوس أتباعه من المريدين حتى يكون هواهم تابعا لمرضاته ومن لم يهذب نفسه بعيد عنه أن يهذب نفوس الناس»⁽⁵⁾ بل يمكن القول: أن الطريقتين الصوفية هو «الشيخ» نفسه فبدونه لا معنى للطريق، لذلك كانت تسمى الطرق بأسماء مؤسسيها، فالطريق على حسب من أبدعها فيعين الأوراد والرسوم والتكاليف التي من شأنها أن تخلص المريدين من قيد النفس إلى فضاء الحرية.

وعليه يقَدِّم الصوفي نفسه⁽⁶⁾ - بالإضافة إلى كونه مهذب نفوس مردييه - كـمصلح ديني من مهامه تجديد أمر دين هذه الأمة وتبليغ الإسلام إلى الناس وحفظ الروحانية التي تزخر بها شريعة الإسلام، فالصوفي الحقيقي ليس هو الذي يعزل نفسه وغيره بين جدران زاويته ويعتني بالرسوم والأوراد من دون العناية بالمجتمع الذي لا يمكن إهماله. فالمجتمع هو مجال تفعيل تعاليم التصوف التي يقتضيها القرآن الكريم وسنة نبيه (ص) لأنَّ العمل الروحاني يتطلب جهوداً ضخمة من أجل أن يتم له النجاح فلا تأخذ الأساليب المتنوعة من قبل الصوفي على نحو الخروج من دائرة الضابط الروحي للطريق الصوفي، في مجال الحياة بكل أبعادها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، يقول الشيخ خالد بن تونس: «طريق التصوف هو طريق عملي يتماشى تماما مع الحياة، لأجل إيجاد حلول، يجب القيام بالعمل، ومقاومة الأمور، ومواجهة المشاكل كل ذلك بميزان، وهذا لا يعني بطبيعة الحال الارتداء بالجسد والروح في أحضان الحياة المادية إلى حد الغرق»⁽⁷⁾. وفي هذا الموضوع يقول الصوفية دائماً: «تعاملوا مع الدنيا بأيديكم، ولا تدعوها تدخل أبداً إلى قلوبكم، لأن الأيدي تغسل، أما القلوب فلا»⁽⁸⁾.

وأكثر ما يكون الصوفي في منهجه مخالفاً للمألوف في تناول مفردات الحياة، فهو يعتبر أنّ جهاده ضد المستعمر ومقاومته له تختلف عن المعنى المتبع في يومنا من جهة توظيفه لأغراض إيديولوجية وسياسية، إنما يمارسه في جميع الميادين وضد النفس، بل حتى من خلال الحياة المادية لمقاومة الأزمة الاقتصادية والفقر والأمراض الحديثة... فعلى المرید أن لا يكتفي بالقيام بمجاهدة نفسه بل عليه كذلك أن يخدم الإنسانية وأن يكون شاهداً على الحقيقة الربانية، وأن لا يكون تحققه باطنياً فحسب ولكن أيضاً في الخدمة.

أرجحية التسامح في وجه الظلم

وبناء على ما سبق نقارب مسألة مقاومة المستعمر، فالصوفي حينما يقبل على ظاهرة الاستعمار فهو يدخلها ضمن تحققه الروحاني ولا يفصلها عن جهاده النفسي الذي لا يتوقف ما دام حيا، فالمستعمر مظهر من مظاهر الظلم الذي يرشح عن النفس الأمارة وهو بنية متكاملة يصعب اختزالها إلى مجرد محتل يجب إخراجها، بل كيف نستأصل جذور الشر من أنفسنا ونحن نواجه هذا الشر؛ بمعنى يجب أن تكون المقاومة أخلاقية بامتياز، وهذا لا يعني عدم الغيرة على الأمة الإسلامية إذا غزاها محتل، فمن حيث المبدأ المحتل محتل وغاصب لكن كيفية مواجهته هي المشكلة، وهي عملية لا يمكن عزلها عن الثوابت الصوفية التي تجعل مبدأ الإحسان في كل شيء في الصراع وممارسته أو السلم ومقتضياته، لأن الصوفي يتعامل مع المفردات تعامل مسؤول أمام سائل يقدم له الحساب،

والسائل من؟ إنه الله تعالى الحاضر الناظر وهذه مملكته، وهي الإنسانية جمعاً فلا يشفع له أن يستعمل كل الوسائل مهما كانت.

وعليه يمكننا القول بأن الشيخ العلاوي كان مفكراً عميقاً وزعيماً إصلاحياً يسعى إلى تجديد التعاليم الإسلامية وصيانتها، ويسعى فوق ذلك لكي يسترد الدين ما فقدته من حيث العمق، فكتب الشيخ قائلاً: «لو نطق الإسلام لاشتكى إلى الله، ولأحصى كل الشرور التي حلت به»⁽⁹⁾... لذلك شرع في نشر سلسلة من المقالات تحت عنوان (حالة مسلمي الجزائر) في اثنتي عشر حلقة حلّ فيها حالة الإسلام والمسلمين في الجزائر،... فدعا إلى تطهير الإسلام من الشوائب والنهوض بالمجتمع الجزائري الذي وصل إلى درجة من الضعف والجهل والانحلال الخلقي ما لا نجد له نظيراً في البلاد الإسلامية⁽¹⁰⁾، وفي كتاباته كان يؤكد على الاهتمام بالجانب الديني والاجتماعي، والتي كانت موجهة للدفاع عن الدين الإسلامي، والطرق الصوفية التي تعرضت لهجمات كثيرة، متهمه إياها بالدجل والشعوذة والبدع⁽¹¹⁾.

وهكذا بات واضحاً أن التسامح بشكل عام والديني بشكل خاص مطلباً إنسانياً دعت إليه الأديان كافة دون استثناء، وكيف لا تدعو إليه وقد أرادته الحكمة الإلهية واقتضته الفطرة الإنسانية واستوجبته النشأة الاجتماعية وفرضته المجتمعات المدنية وتحتّمه الثقافات فيما تحتاج إليه من قيم حضارية. لذلك علينا الاندفاع في هذا الجو من مسلمة أن الأديان بذاتها ليست مورد الاختلاف وإنما منشأ الاختلاف يكمن في عمق إلهام بعض القائمين عليها ولا زالت المفارقات بين المبادئ والممارسات الواقعة هنا وهناك لا تُحصى.

التسامح الديني يتطلّب الاحترام المتبادل ويقتضي التخلّي عن الأساليب الإقصائية. على مستوى الأقوال من قبيل.. طريقنا الحق والخير، وغيرنا كافر ولا يحق له السلطة بأي نوع من أنواعها وغيرها من القضايا التي لا يستسيغها التعامل المدني المعاصر. ثم إن التلاقي ومنطق الوحدة لا تكون إرهاباً لمستقبل أكثر اطمئناناً وأشدّ تضامناً إلاّ ببلورة القيم الكونية وتفعيلها واتخاذها المنطلق والمرجع. ولا يتيسّر هذا إلاّ بتضامن مبادئ الأديان القيمية، وتعاون جهود الثقافات الواعية القادرة على خلق فكر حضاري يتوارى خلفه كل خطاب يُسوّه المقدّس، ويغتال العقل ويصادر الحرية ويجذب إلى التخلف ويتنكر للإبداع، ويحاول عبثاً أن يلفظ التاريخ إلى الوراء. إن الحرص على خلق عالم جديد خال من حقد العنصرية العرقية، وبغضاء التقاتل الديني هدف كوني إنساني يتطلّب مبادرات جادة وفاعلة.

يبقى أن القيم الكونية تحتاج إلى تضامن ونضال دؤوب، وعلى الرغم مما يُعيقه من صراع

تغذيه مكائد تسلط القوى العالمية المتخذة من تخلف دول العالم الثالث مطيتها للوصول لأكبر حملة استعباد أممي تشهده البشرية على الرغم من ذلك تبقى النظرة الأكثر شفافية تتجه نحو المؤسسات التربوية والثقافية والعلمية والجمعيات الحكومية وغير الحكومية في العالم إلى أنسنت أهدافها وتوحيد منطلقاتها وتكاتف جهودها. ويبقى السؤال إلى متى تبقى مياه قيمنا الإنسانية أصل وجودنا وتكويننا راکدة في مستنقعات الجهل والاستعباد والأسر الدنيوي؟ متى تتصوف قيمنا لتلتقي بطهرانية الأفعال فترفع بيضاء من غير سوء؟!

هوامش

– القرآن الكريم.

*هو الشيخ أبو العباس أحمد بن مصطفى بن عليوة المعروف بالعلوي المستغامي مولداً ونشأة، ولد بمستغانم عام 1869م وتوفي بها سنة 1934م، تعلم مبادئ الكتابة وسور من القرآن على يد والده الحاج مصطفى، الذي كان معلماً للقرآن الكريم، فأنتهى به الحفظ إلى سورة الرحمن، ثم اضطر إلى ممارسة التجارة ليعول عائلته خاصة بعد وفاة والده، وهو في سن مبكرة، إلا أن ذلك لم يمنعه من الانكباب على ملازمة الدروس ليلا رفقة جماعة من الطلبة في الفقه، والتوحيد، والتفسير على يد جماعة من مشايخ المدينة، إلى أن التقى بأستاذه الروحي الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي، فلزمه إلى أن وافته المنية سنة 1909م، وكان قد قضى في صحبته نحو خمس عشرة سنة، فبويع بعده بالخلافة على رأس الطريقة الدرقاوية بمستغانم ونواحيها، حوالي عام 1909م، وخلال بداية العقد الثاني من القرن العشرين، أسس الطريقة العلوية، معلنا بذلك عن ميلاد طريقة روحية جديدة في أساليبها، عريقة في أصولها، عراقية الرسالة المحمدية. فعمل خلال هذا الإطار إلى إبراز الزاوية في شكل يتلاءم ومستجدات العصر الحديث مع الحفاظ على دورها التربوي الروحي، فسارع إلى بناء زاوية جديدة تجمع جملة من المرافق من أجل تبليغ رسالته التربوية والاجتماعية كأقسام الدراسة والمطبعة والمخبرة، واستقطب إليها نخبة من العلماء في التفسير، والحديث وأحكام الفقه واللغة العربية. وقد أثرى الشيخ الحياة الفكرية بالجزائر، والوطن العربي والإسلامي عموماً، بما خلف من آثار أدبية وأعمال جليلة اجتماعية ووطنية، واکبت نهضة الأمة الجزائرية في تلك الفترة بل وحتى نهضة الأمة العربية والإسلامية عموماً.

1- أحمد بن مصطفى، العلوي، الأبحاث العلوية في الفلسفة الإسلامية، المطبعة العلوية في مستغانم، ص(86).

2- م.ن، ص(129).

- 3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، منشورات دار الغرب الإسلامي، 1998، ج4، ص.138.
- 4- م.ن، ص(165).
- 5- أحمد بن مصطفى، العلاوي، المواد الغيبيّة الناشئة عن الحكم الغوثية، المطبعة العلاوية بمستغانم، ط2، 1989، ص(89).
- 6- خالد، بن تونس، التصوف قلب الإسلام، دار الجيل الجديد، ترجمة معهد أفاظ، ط1، 2005، ص(70)
- 7- م.ن، ص(71).
- 8- يحي، برقة، الشيخ العلاوي المؤلّف والكاتب الصحفي ضمن، التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، ص(95).
- 9- التصوف قلب الإسلام، م.س، ص(273-274).
- 10- عوض الله بن حسن مصطفى، البحصلي، من أعلام الإصلاح الديني الشيخ عدة بن تونس المستغانمي، المطبعة العلاوية، ص(44).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
1. أحمد بن مصطفى، العلاوي، الأبحاث العلوية في الفلسفة الإسلامية، المطبعة العلاوية في مستغانم.
 2. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، منشورات دار الغرب الإسلامي، 1998،
 3. أحمد بن مصطفى، العلاوي، المواد الغيبيّة الناشئة عن الحكم الغوثية، المطبعة العلاوية بمستغانم، ط2، 1989.
 4. خالد، بن تونس، التصوف قلب الإسلام، دار الجيل الجديد، ترجمة معهد أفاظ، ط1، 2005.
 5. يحي، برقة، الشيخ العلاوي المؤلّف والكاتب الصحفي ضمن، التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي.
 6. التصوف قلب الإسلام، م.س.
 7. عوض الله بن حسن مصطفى، البحصلي، من أعلام الإصلاح الديني الشيخ عدة بن تونس المستغانمي، المطبعة العلاوية.

مستقبل الكيان الصهيوني بين القراءات التراثية والواقع المتغير أزمات الكيان اقتصادياً، اجتماعياً، ديموغرافياً

الدكتور بلال علي
الحاج سليمان

باحث

- مقدمة:

إن الواقع السياسي، والإجتماعي، والديمغرافي، والثقافي، الخاص بالشعب الفلسطيني يتخذ منذ بداية الإحتلال طُرقاً عديدة، عنوانها الرئيس هو الدعم من أجل البقاء، حيث كان للموقف العربي أثراً إيجابياً، في إرسال الدعم المالي والغذائي وكذلك المساعدات العينية، إضافة الى الموقف الضاغط للحصول على موافقة الأمم المتحدة على قانون حق العودة للفلسطينيين الى فلسطين. ومع إستمرار المواجهات بين المقاومة الفلسطينية بكافة فصائلها والإحتلال الإسرائيلي، في ظل الفجوة العسكرية الواضحة بين الطرفين لصالح الإحتلال رغم ارتفاع قدرة المقاومة على الردع في السنوات الأخيرة بفعل برنامج عسكري طموح. تتزايد التساؤلات حول إمكانية تحقيق الفلسطينيين النصر في مواجهة حربية مختلة الموازين، أو إذا ما كان الإحتلال سيزول في النهاية، رغم آلة البطش العسكرية التي يمتلكها، والدعم الدولي الذي يلقاه. إلا أن مظاهر القوة المناهضة للإحتلال تتعاظم بشكل مستمر، إن من الداخل، أو في الخارج، ويتجلى ذلك بالموقف السياسي الراض، وبالمواجهة العسكرية، والتصلب في العقيدة، إضافة الى المبدأ الذي يُرسخ في عقول الأجيال أن فلسطين عربية إسلامية ومقدساتها ثقافتنا وتاريخنا.

وفي ظل هذا التناحر القائم بين مجتمع مرتزقة يحاول تجميع شتاته في أرض الميعاد، ويقابله مجتمع يصارع برفع معدل الخصوبة لديه كي يُبقي لنفسه العدد الأكبر من السكان، ويزرع الخوف والرعب في نفوس الصهاينة لتشجيعهم على الهجرة المعاكسة، وكذلك تدمير مقاومة الصمود من أجل الثبات فلم يعد للصاروخ قيمة، وللطائرة مكانة في بيوتٍ لا تحتاج لجدران أو سقف وإنما فقط لثبات عنفوان الموقف، إضافة إلى المواقف التي تصف الكيان بدولة "الأبارتهايد"¹.

إن ما أنتجه الموقف الفلسطيني والعربي من إستنزاف مالي وإقتصادي ورعب في نفوس المستوطنين، إضافة إلى تعدد الفصائل الفلسطينية ذات التوجهات التي تصب جميعها في خانة التحرير، وكذلك الصراع الديمغرافي والسباق العددي، والتقدم في إستراتيجية الدفاع والهجوم الذي لم يعد محصوراً عند حدود قطاع غزة والضفة الغربية وإنما طال المدن والبلدات في عمق الكيان الصهيوني. كل هذا يبلور فكرة زوال هذا الكيان، بفعل عناد الشعب الفلسطيني وثباته تحصين وتطوير قدراته بكافة المجالات التي ترهق العدو إقتصادياً ومالياً.

أمام الواقع السائد لعمليات التطبيع، وباستخدام مختلف الأساليب الممكنة التي تحاول إنتاج أساس حضاري وثقافي وديني للتعایش مع الكيان الصهيوني.

وأمام ما يتم نشره من تحليلات سياسية وإقتصادية وإجتماعية ومقالات منتشرة في الإعلام الإسرائيلي، وفي مراكز الأبحاث الخاصة، كان ملفتاً للانتباه إحدى المقالات² التي تناقش خطراً وجودياً نابعاً من الداخل على استمرار إسرائيل؛ حيث يبدأ الكاتب مقاله، أنا لا أتحدث عن التهديد النووي الإيراني، أو الصواريخ، أو الإسلام الأصولي الراديكالي. أنا أتحدث عن الاتجاهات الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية التي تُغيّر بالفعل جوهر الدولة، ومقدرٌ لها أن تُعرض وجودها للخطر في غضون جيل واحد. ومن ثم يوضح مقصده بالتركيز على التحول في التناسبات السكانية الناجم عن الاختلاف الشديد في معدلات الخصوبة بين المجموعات السكانية التي تعيش إلى جانب بعضها البعض، ومعزولة عن بعضها البعض في الوقت نفسه". والحديث لا يدور عن العرب من جهة واليهود من جهة أخرى فحسب، فهذا التناقض ليس الأكثر حدة مقارنة بالتناقضات بين اليهود أنفسهم، سواء باختلافاتهم الاثنية أو اختلافات اتجاهاتهم السياسية والمذهبية. هذا يعني أنه خلال 30 إلى 40 عاماً قادمة، سيصبح نصف عدد السكان مكوناً من فئتين، هم: العرب، والحريديم³.

أولاً: - جغرافية السكان في فلسطين:

1- جغرافية توزيع السكان الفلسطينيين.

تقع فلسطين في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وفي الوقت الذي طرأت على حدودها السياسية تغييرات في عام 1947، فإنها لا تزال تقع بين البحر المتوسط ونهر الأردن، وهي تنقسم حالياً لمنطقتين منفصلتين تعرفان بالضفة الغربية (بما فيها منطقة شرق القدس) والتي تبلغ مساحتها الكلية 5661 كلم² وتبلغ مساحة قطاع غزة حوالي 365 كلم².

2- الخصائص الديمغرافية لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة وعرب الـ48 (عرب الداخل). يعتبر التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت بكافة أنواعها، ركناً أساسياً من أركان النظام الإحصائي الرسمي في أية دولة، ويمثل تنفيذه لبنة أساسية في عملية بناء الدولة الفلسطينية، وهو بمثابة القاعدة للسيادة وإنجازاً للإستقلال السياسي، والإقتصادي، والإجتماعي، وتحقيق التنمية.

لقد بلغ عدد سكان فلسطين بحسب تعداد الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء في فلسطين عام 2022 نحو 5,289,768 مواطن فلسطيني، حيث بلغ عدد السكان في قطاع غزة نحو 2.017 مليون مواطن، وفي الضفة الغربية نحو 3.19 مليون مواطن، أما في الأماكن المحتلة فقد بلغ عددهم نحو 1.597 مليون فلسطيني، وفي باقي الدول العربية حوالي 5.986 مليون فلسطيني وفي باقي الدول الأجنبية نحو 727 ألف مواطن فلسطيني، وبلغت نسبة اللاجئين نحو 42% من العدد الإجمالي للسكان⁴.

تشير التقديرات المنفذة من قبل الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني عام 2016 إلى أن نحو 50% من الفلسطينيين يعيشون في المهجر⁵، حيث يعيش (44%) من الفلسطينيين في الدول العربية وحوالي (5.5%) في باقي دول العالم، بينما يعيش حوالي (38.4%) في الضفة الغربية وقطاع غزة، و(12.1%) داخل الخط الأخضر من حاملي الجنسية الإسرائيلية²⁸، وتتألف غالبية الجاليات الفلسطينية في الخارج من اللاجئين الذين غادروا البلاد إثر نكبة عام 1948⁷.

وبالنسبة لعدد اليهود في فلسطين، لقد بيّنت دائرة التعداد والإحصاء الدولية التي أحصت عدد اليهود في فلسطين، حيث بلغ عدد اليهود 6 مليون شخص يهودي في فلسطين، وجاءت هذه الأعداد من حول العالم ونتيجة لوعدهم بلفور المشؤوم الذي يعطي أرض فلسطين لليهود الذين لا يملكون فيها شيئاً، ونتيجة لذلك أصبح الملايين من الفلسطينيين مهاجرين في

مختلف دول العالم والكثير منهم أصبح بلا مأوى، وأودى بحياة الآلاف وتهجير الملايين من الفلسطينيين⁸.

وبناءً على التقديرات السكانية التي أعدها الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني فإن هناك حوالي 14.3 مليون فلسطيني في العالم منتصف عام 2022، منهم نحو 5.35 مليون فلسطيني في دولة فلسطين (2.72 مليون ذكر و 2.63 مليون أنثى). أما من حيث الكثافة فإن الإحصاء المنفذ عام 2012 حدّد متوسط الكثافة السكانية في الضفة الغربية 456 نسمة/كلم المربع الواحد، و435.3 نسمة/كلم المربع الواحد في قطاع غزة⁹، وبلغ معدل الخصوبة الكلية في الفترة الممتدة ما بين 2017 – 2019 حوالي 3.8 مولوداً، ويعتبر المجتمع الفلسطيني بأنه فتي لأن أكثر من ثلث سكانه (38 %) دون عمر 15 سنة (36 % في الضفة الغربية و 41 % في قطاع غزة) وتخفض نسبة كبار السن الى حوالي 3 % في فلسطين بواقع (4 % في الضفة الغربية و 3 % في قطاع غزة)¹⁰.

لقد أظهر الإحصاء المنفذ عام 2020 إرتفاع متوسط الكثافة السكانية في الضفة الغربية حيث بلغت 540.4 شخصاً/كلم² وفي قطاع غزة بلغت النسبة 559.04 شخصاً/كلم²، وبلغ عدد سكان الضفة الغربية حوالي 3.19 مليون نسمة إحصاء عام 2020، وعدد سكان قطاع غزة بلغ 3 مليون شخص، وهو يعتبر واحداً من أكثر مناطق الكثافة السكانية في العالم¹¹. ويؤكد التاريخ أن "العرب هم الشعب

الوحيد الذي عاش في فلسطين عبر الاف السنين حتى عندما جاء اليهود من الجنوب قادمين عبر سيناء كان الفلسطينيون هناك موجودين في فلسطين، وإستمروا حتى الآن"¹².

- خريطة توزع الكثافة السكانية الفلسطينية في الأراضي الفلسطينية.



3- نطاقات التوزع الجغرافي للمجتمعات السكانية على أرض فلسطين.

يتركز التوزع السكاني للشعب الفلسطيني في النطاقين الجغرافيين الداخلي والساحلي، وذلك ضمن الضفة الغربية، وقطاع غزة، إضافة إلى عرب الـ 48 القاطنين تحت الاحتلال الإسرائيلي، الذين تعددت تسمياتهم، فهم (عرب 48 أو فلسطينيو 48 أو المواطنون العرب في إسرائيل، أو فلسطينيو الداخل)، الذين يعيشون داخل حدود إسرائيل بحدود الخط الأخضر، أي خط الهدنة 1948. وهم مازالو يحافظون على لغتهم الأم، وكثيراً ما قامو بإنتفاضات ضد العدو الإسرائيلي (كإنتفاضة الحجارة). إن معظم عرب 48 هم من المسلمين، ولا سيّما من أهل السنة والجماعة، فهناك أقلية عربية مسيحية من مختلف الطوائف إلى جانب أقلية من الموحدين الدرّوز¹³، لقد حاولت سلطة الاحتلال إحتواء هذا المجتمع لدمجه وتذويبه في المجتمع الإسرائيلي حيث منحت لهم الجنسية الإسرائيلية، لكن معظمهم رفضوها، ولم يرغبوا في الاعتراف بالسيادة الإسرائيلية.

يقيم المواطنون العرب في إسرائيل في خمس مناطق رئيسية وهي: منطقة الجليل، والمثلث، والجولان، والقدس، وشمالي النقب. وتتماهى الغالبية العظمى من عرب 48 مع التراث الثقافي واللغوي العربي والهوية الفلسطينية.

وفي أعقاب انتهاء معارك عامي 1948 و1949 وعقد اتفاقيات الهدنة بين عدد من الدول العربية وإسرائيل، تشتت العرب الفلسطينيين في دول عديدة، وانقسموا بالتالي إلى ثلاث فئات:

أ- عرب الأرض المحتلة: وهم الفلسطينيون الذين ظلّوا في المناطق التي وقعت تحت الاحتلال الإسرائيلي عام 1948 ولم يهاجروا منها.

ب- اللاجئون الفلسطينيون: وهم الذين أرغمتهم مجازر الصهاينة ووحشيتهم وتأمّر سلطات الانتداب البريطاني،

على النزوح من أراضيهم، واللجوء إلى المناطق المجاورة سعياً لتأمين الحماية والأمن للأطفال والشيوخ والنساء، وانتظاراً للعودة إلى بيوتهم مع انتهاء الحرب وتوقف القتال. إلا أن تطور الأوضاع العسكرية والسياسية في فلسطين اضطرهم للبقاء في أماكن لجوئهم، والتي شملت الضفة الغربية وقطاع غزة وشرق الأردن وسوريا ولبنان، في حين اتجهت أعداد قليلة منهم إلى العراق ومصر.

ج- سكان الضفة الغربية وقطاع غزة الأصليون: وهم السكان الذين نجت أراضيهم من الاحتلال الصهيوني عام 1948, ولم يضطروا الى مغادرتها أو التشرّد عنها. ولم يكن هذا الشتات للشعب الفلسطيني سوى حلقة أولى من سلسلة هجرات متعاقبة تلتها, دفعتهم إليها الظروف المعيشية القاسية التي واجهوها في أماكن لجوئهم. فتوجهت أعداد كبيرة منهم بحثاً عن العمل الى الدول العربية الغنية بالنفط وخصوصاً الكويت التي كانت بدورها بحاجة ماسة الى اليد العاملة وأصحاب الكفاءات لتلبية مخططات التنمية السريعة. اما الحلقة الرئيسية الثانية من حلقات التشرّد والنفي التي عاشها الفلسطينيون, فكانت في حرب عام 1967, حين نزح نحو مئتي ألف من سكان الضفة الغربية بصورة خاصة, وبعضهم للمرة الثانية في حياته, الى الضفة الشرقية من الأردن¹⁴.

4- مكونات النمو السكاني:

من خلال دراسة مكونات النمو السكاني في فلسطين، يتضح بأن عدد سكان فلسطين إزداد بين عامي 1922 – 1944 بما نسبته %131.4، حيث ساهمت الزيادة الطبيعية بنسبة %63 من الزيادة العامة للسكان، في حين ساهم صافي الهجرة بنسبة %37 من الزيادة العامة، وتفاوتت نسبة ازدياد السكان حسب الفئة الدينية ما بين عامي 1922 – 1944، ووفق السياق التاريخي وبلاستناد إلى بيانات التعداد السكاني المنفذ عام 1945، الذي أجرته حكومة الانتداب وتعداد اليهود في إسرائيل عام 1948، أن نسبة النمو في السكان اليهود بلغت بين هذين التاريخيين %16.8 سنوياً، وأن نسبة الزيادة غير الطبيعية – بالهجرة – هي %95,2 وهو ما يوضح مدى أهمية الدور الذي لعبته الهجرة اليهودية في عملية بناء المجتمع اليهودي¹⁵.

وعلى الرغم من الممارسات الصهيونية والآثار الجغرافية والديموغرافية المترتبة عن ذلك، إلا أن الوجود اليهودي المنتشر على أرض فلسطين التاريخية قد أظهر تراجعاً عام 2006، حيث تساوى الفلسطينيون مع اليهود، ومن المتوقع في السنوات القادمة أن يكون التفوق للفلسطينيين، والجدول التالي يوضح الميزان الديموغرافي المتوقع على أرض فلسطين خلال الأعوام 1990 – 2000 – 2006¹⁶.

- الميزان الديموغرافي المتوقع بين الفلسطينيين واليهود على أرض فلسطين التاريخية.

السنة	الفلسطينيون			اليهود		
	الضفة الغربية وقطاع غزة	إسرائيل	الإجمالي	الضفة الغربية وقطاع غزة	إسرائيل	الإجمالي
1990	1.682800	792.400	2.475200	81.900	3.946700	3.946700
2000	3.150.056	1.097.500	4.247.556	0	4.952.100	4.952.100
2006	4.162.972	1.304.500	5.467.472	0	5.453.100	5.453.100

- المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، السكان في الأراضي الفلسطينية 1991-2002 رام الله، ص14.

بسبب انخفاض أعداد المهاجرين اليهود إلى إسرائيل في العقد الأخير نجد أن معدل النمو السكاني إنخفض مجدداً من 7.1 % إلى 5,1%¹⁷.

ثانياً:- إيديولوجيا الكيان تستند الى العاطفة والحروب:

تكثر الميثاق¹⁸ والأساطير الصهيونية التي استعملتها الصهيونية كسلاح سحري لإختراع شعب يهودي وحبلى ليستوطن أرض فلسطين، مستعيناً بمراجع يهودية تنفي أن يكون اليهود المنتشرون في كل أرجاء الدنيا شعباً واحداً كما تدعي الروايات الصهيونية لإعطاء الغطاء الأيديولوجي لاختراع هذا الشعب المزعوم، ميثاق العودة إلى الوطن، وعليه فقد سعت المؤسسة الإسرائيلية إلى محو كل ماضٍ يتناقض مع الرواية الصهيونية¹⁹.

إن أهم الإدعاءات لدى اليهود في فلسطين تكمن في قولهم أن لهم حقاً تاريخياً في إقامة موطن لهم في فلسطين إذ ينسب أنفسهم إلى سكان مملكتي إسرائيل ويهوذا التين كانتا موجودتين في فلسطين منذ القرن التاسع قبل الميلاد ولمدة 250 عاماً تقريباً، ثم بقيت مملكة يهوذا وحدها حتى القرن الأول للميلاد وتعتبر فلسطين، أرض الميعاد في التراث اليهودي.

إن نظام الفصل العنصري، يكون بتحقيق وإدامة تفوق جماعة من البشر (اليهود) على جماعة أخرى (الفلسطينيين) «أبارتهايد». في الحالة الإسرائيلية لم ينشأ هذا النظام بين

ليلة وضُحها وإِنَّمَا تَمَاسَسُ وَأَتَّضَحَتْ مَعَالِمُهُ بِمَرُورِ الزَّمَنِ²⁰. لقد ذُكِرَ فِي مَذَكِرَاتِ حَائِمِمْ وَأَيَزْمَنِ، أَنَّ السِّيَاسَةَ الْعَمَلِيَّةَ لِلْيَهُودِ، تُؤَمِّنُ بِوَجُوبِ إِحْتِلَالِ أَرْضِي فِلَسْطِينِ، وَالْعَمَلُ عَلَى إِحْيَاءِ التَّقَالِيدِ الْيَهُودِيَّةِ بَيْنَ يَهُودِ الْعَالَمِ، وَإِحْيَاءِ تَعْمِيمِ اللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ، ثُمَّ رُبَطَ يَهُودِ الْعَالَمِ بِفِكْرَةِ وَطَنِهِمْ، وَوَطَنُهُمْ هُوَ فِلَسْطِينِ²¹.

يَسْعَى الْكِيَانُ الصَّهْيُونِيُّ دَائِماً مِنْ أَجْلِ حِمَايَةِ نَفْسِهِ بِإِسْتِعْطَافِ الدُّوَلِ الدَّاعِمَةِ لَهُ عَلَى مَبْدَأٍ أَنَّ الْعَرَبَ سَيَلْقَوْنَ بِهِمْ فِي الْبَحْرِ، وَأَنَّهُمْ سَيَقْتُلُونَهُمْ، مِنْ أَجْلِ الْحَصُولِ عَلَى الدَّعْمِ الْمَالِيِّ وَالسَّلَاحِ، وَكَذَلِكَ الْحَصَانَةُ الدُّوَلِيَّةُ الْمَتَكَنَّةُ عَلَى حَقِّ النُّقْضِ الْفَيْتَوِيِّ فِي مَمَانَعَةِ مَحَاسِبَةِ إِسْرَائِيلَ عَلَى جَرَائِمِهَا.

1- رَفْضُ إِيدِيُولُوجِيَّةِ إِسْرَائِيلَ فِي الْوَسْطَيْنِ الْفِلَسْطِينِيِّ وَالْعَرَبِيِّ.

تَتَحَصَّرُ بِيئَةُ الْكِيَانِ الصَّهْيُونِيِّ وَسَطَ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ الرَّافِضِ لَوُجُودِهِ، إِيمَاناً بِالْعَقِيدَةِ، وَكِرْهاً بِالْيَهُودِ، فَهُوَ جِسْمٌ غَرِيبٌ ضَمِنَ نَطَاقَ عَرَبِيٍّ عَانِيٍّ وَيَلَاتِ الْحُرُوبِ وَالضُّغُوطِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْإِقْتِسَادِيَّةِ وَالْإِسْتِغْلَالَ الدُّوَلِيَّ بِفَضْلِ وَجُودِ الْكِيَانِ الصَّهْيُونِيِّ الْمَحْتَضِنِ دَوْلِيّاً. مِنْ هُنَا فَإِنَّ رَدَّةَ الْفِعْلِ الْعَرَبِيَّةِ وَبِخَاصَّةِ الدُّوَلِ الْمُحِيطَةِ بِفِلَسْطِينِ، يَكُونُ لَهَا كَلِمَةُ الْفِصْلِ فِي خَلْقِ مَتَغْيِرٍ جَدِيدٍ، أَوْ قَرَارٍ جَدِيدٍ لَمْ يَعْتَادِهِ الشَّعْبُ الْإِسْرَائِيلِي.

2- خِصَائِصُ وَوَأَقِعِ الْكِيَانِ الصَّهْيُونِيِّ:

بَعْدَ سَبْعَةِ عَقُودٍ عَلَى قِيَامِ إِسْرَائِيلَ، فَإِنَّ الْمَجْتَمَعَ الْإِسْرَائِيلِيَّ مَا زَالَ يَحْمِلُ مِمِّيذَاتِ مَجْتَمَعِ مَهَاجِرِينَ لَا يَتَمَتَّعُ بِدَرَجَةِ كَافِيَّةٍ مِنَ التَّجَانُسِ بَيْنَ مَرَكِبَاتِهِ، الْأَمْرُ الَّذِي يَنْعَكِسُ عَلَى نَسِيْجِهِ وَمَسْتَوَى التَّضَامُنِ الدَّاخِلِيِّ بَيْنَ الْفِئَاتِ وَالشَّرَائِحِ الَّتِي تُشَكِّلُهُ. وَقَدْ أَدَّى عَدَمُ التَّجَانُسِ إِلَى نَشْوءِ تَوَثُّرَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ فِي مَجْتَمَعِ الْمَهَاجِرِينَ وَمَا زَالَتْ قَائِمَةً حَتَّى عَلَى أَسَاسِ الْهَجْرَةِ، وَالْإِقَامَةِ، وَالْوِلَادَةِ، وَالتَّجَنُّسِ²²، وَنَلْتَمَسُ خِصَائِصَ وَوَأَقِعِ الْكِيَانِ الصَّهْيُونِيِّ، مِنْ خِلَالِ:

أ- وَاقِعِ الْوَسْطِ الصَّهْيُونِيِّ.

إِنَّ اللَّحْمَةَ السَّائِدَةَ ضَمِنَ الْمَجْتَمَعِ الْيَهُودِيِّ، أَظْهَرْتَهُمْ يَقْفُونَ دَوْماً إِلَى جَانِبِ دَوْلَتِهِمْ الْمَزْعُومَةِ وَشَعْبِهِمْ، فِي الْخَطَأِ كَمَا فِي الصَّوَابِ، فَفِي صَمِيمِ الْهُوِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، صِفَةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ صِفَةُ الضَّحِيَّةِ، صَاغَهَا التَّارِيخُ الْمَتَمَثِّلُ بِقَمْعِ وَإِضْطِهَادِ وَوَحْشِيَّةِ الْمَحْرَقَةِ النَّازِيَّةِ (الْهُولُوكُوسْتِ)، فَالدُّوَلَةُ الَّتِي تَمْلِكُ أَقْوَى جِيُوشِ الْعَالَمِ وَالْمَجْهُزَةَ بِتَرْسَانَةِ الْأَسْلِحَةِ النَّوَوِيَّةِ الْوَحِيدَةِ فِي الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ، هِيَ فِي خَطَرٍ مَحْدَقٍ وَشِيْكَ، فَخَطَرُ الْإِبَادَةِ إِمَّا عَلَى أَيْدِي جِيرَانِهَا الْعَرَبِ، وَإِمَّا عَلَى أَيْدِي الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَّةِ مِنَ الشَّعْبِ الْفِلَسْطِينِيِّ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْأَرْضِ الْمُحْتَلَّةِ²³.

ب- العدوانية المستمرة على البلاد العربية.

تعتبر إسرائيل بأنها الدولة الوحيدة، في الأمم المتحدة اليوم، التي لا يعرف أحد حدودها. وهي تُقَدِّم على إحتلال أراضٍ جديدة، وضمها الى سابقاتها بحجة حماية نفسها من إعتداءات الفدائيين، حيث تسعى الى إحتلال مساحات تعتبر مناطق إستراتيجية لا يمكن التخلي عنها²⁴.

وأمام ذلك فقد تلقت اسرائيل ضربة موجعة عندما صوتت أغلبية الدول أعضاء مجلس حقوق الانسان العالمي بالموافقة على توصيات تقرير جولدستون، الذي تضمن اتهامات مباشرة وواضحة تماما نسبت لاسرائيل ارتكاب جرائم حرب وجرائم تتعارض مع القانون الانساني الدولي اثناء هجومها الاجرامي على قطاع غزة.

فالبرغم من سعي المندوب الاسرائيلي والمندوب الامريكي لعرقلة التصويت على التقرير، ومحاولات المندوب الفرنسي المتكررة لتأجيل التصويت لإفساح المجال لممارسة المزيد من الضغط على الدول الصغيرة للتصويت ضد التقرير، إلا أن عدداً كبيراً من الدول صوتت الى جانبه.. لتوجه بذلك لطمة قوية الى الكيان الصهيوني المتعجرف والذي كان يعتقد ان العالم بدوله وكياناته كلها في جيبه²⁵.

والغريب أن العدو الصهيوني يسعى بكافة الوسائل لتغيير قوانين الحرب الدولية بالطريقة التي تسمح لإسرائيل أن تغير ما تشاء وتقتل من تشاء متى شاءت، دون أن يكون هنالك إمكانية لمساءلتها على سلوكها الإجرامي. إن هذا السلوك الأرعن يدل على ان اسرائيل فقدت الحد الادنى من صوابها، وانها تتصرف ككيان احمق لا يفهم مدلولات الاشياء ولا المعطيات التي تحكم المواقف. من هنا لا بد من السعي الى محو الرواية التاريخية الصهيونية التي اخترعها الصهاينة أن فلسطين هي «أرض إسرائيل»، تحت عنوان أن أي علاقة دينية بمركز مقدس لا تجيز ولا تعطي حقوق الملكية عليه. فالهدف هو السيطرة على الأرض التي تخطط لها «إسرائيل» والتي تريد أن تصل إلى يهودية الدولة كتتويج ليهودية الأرض²⁶.

من هنا لا يمكن الإعتقاد أن انساناً عاقلاً يعتقد ان دعوات مسؤولي الكيان الصهيوني لتغيير قوانين حقوق الانسان في العالم هي دعوات تصدر عن سياسي عاقل.. بل هي في الحقيقة تجليات مرضية لسياسيين متطرفين يمتلكون بين أيديهم قوة هائلة لا يعلم احد كيف سيستخدمونها.

لقد أيقن الصهاينة منذ البداية أن سگان فلسطين الأصليين سيرفضون التخلي الطوعي

عن الأرض وهم لذلك ومنذ بداية وجودهم على الأرض الفلسطينية عملوا بكل طاقتهم، والمطالبة بالحقوق مما ولد مقاومة شعبية عرفت أشكالاً متعددة من النضال للتخلص من المشروع الاستيطاني الاحتلالي فكانت منها ثورة فلسطين 1936 الشعبية التي قوبلت بوحشية وأصبحت لاحقاً نموذج التعامل العنصري المستمر ضد الشعب العربي الفلسطيني. فما كان من نتائج ذلك إلا توالي الإنتفاضات التي إنعكست على الهجرة من فلسطين، إن 38% من جميع الذين تركوا إسرائيل للعيش في الخارج، منذ سنة 1990، هم في الأصل مهاجرون من دول الاتحاد السوفياتي. أما عن الأسباب فيمكن تلخيصها في عدم القدرة على التأقلم وفق الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى القلق إزاء الأوضاع الأمنية²⁷.

ج- التناقض السياسي الدولي:

في حين ترسل بعض حكومات جامعة الدول العربية إشارات بشأن تعزيز التعاون مع إسرائيل على المستوى الحكومي، يواصل معظمها اضطهاد مواطنيها الذين أقاموا علاقات شخصية مع الإسرائيليين في المنتديات غير الحكومية، وذلك من خلال مزيج من الإجراءات القضائية العقابية وإجراءات عقابية أخرى خارج نطاق القانون. إذ ما زالت بعض الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية تحتفظ ببعض القوانين الصارمة المناهضة للتطبيع والتي تعاقب مواطنيها على علاقاتهم الشخصية مع الإسرائيليين، هذا وتقرض تلك الدول عقوبات تشمل السجن وإسقاط الجنسية والإعدام²⁸. لذلك لا بد من السعي دائماً إلى ترسيخ ثقافة أن القضية الفلسطينية هي القضية الجامعة للأمة، ولا تزال جذوة التمسك بالمقاومة متقدة²⁹.

د- إنعكاسات الواقع السياسي على المجتمع الإسرائيلي:

أمام هذا الواقع المتناقض بين العاطفة، والعدوانية، والسلوك العالمي المتحيز، من أجل الديمومة والإستمرارية في ظل سياسة الكيل بمكيالين لدى المجتمع الدولي، ما يزيد الفلسطينيين والعرب التشبث بالأرض والثبات على الموقف. ويتجلى ذلك من خلال فشل كل المفاوضات التي رعتها الأمم المتحدة ومجموعة من الدول العربية والأجنبية. ما ساهم بتعزيز الخوف والترقب من المستقبل لدى الإسرائيليين، ومع تعاضد مفهوم المقاومة الداخلية والخارجية التي تسبب هجرة معاكسة تظهر معالمها شيئاً فشيئاً.

يظهر الخلاف في الإختلاف الطبقي والتفكك في النسيج الإجتماعي اليهودي، حيث يعاني المجتمع الإسرائيلي من صراع طبقي. حيث تُعتبر فئة الأشكناز بأنها الطبقة العليا في

المجتمع، وهي الطبقة الثرية المهيمنة على المؤسسات السياسية والاجتماعية، على اعتبار أنهم المؤسسين الأوائل لقيام الدولة اليهودية. إن أغلب حكماء الصهيونية من الأشكناز ما زال موجوداً في المجتمع اليهودي ولديهم والنظرة الدونية عند التعامل تصل إلى حد العنصرية ضد اليهود الشرقيين سواء في فرص العمل أو في الأجور حتى عند الحديث عن أشخاص يملكون المؤهلات نفسها المهنية والأكاديمية. كما تتبع طائفة اليهود الإثيوبيين، ضمن هذا المجتمع وهم يعتبرون في أدنى السلم الاجتماعي وهم ذوو مؤهلات متدنية وقدرات ضعيفة لا تلائم سوق العمل الإسرائيلية، وهو ما يعرقل فرص تطور هذه الفئة الفقيرة وتقدمها³⁰.

ثالثاً: - العوامل المساهمة في توجه الإحتلال الى الزوال:

أ- العوامل الإجتماعية:

تلعب عوامل التعبئة المتمثلة بالأمر الثقافية والاجتماعية والسياسية، دوراً مهماً في رفض إستمرار وجود الكيان الصهيوني. بيد أننا في تقصي الإخفاقات والنجاحات على جبتهتي الصراع السجال بين خندقي الرجعية والتقدم، نتبين أنه لم ينقطع يوماً حتى في ذروة النفاق الرجعي تحت مسمى «التضامن العربي»، ففاقد الشيء لا يعطيه. إذ إن خيبات المجتمع الدولي المتتابعة طيلة ثلث القرن، في بلوغ مرحلة شيوع التطبيع في الوطن العربي، استوجبت كسر ظهر أصحاب القضية الفلسطينية كونها رافعة الممانعة القومية المانعة للتصريف بالأرض والحقوق³¹.

تشكل المقاطعة أداة فعالة من أدوات النضال الشرعي، و تكمن أهميتها في إمكانية استخدامها في كل زمان ومكان، كونها تنتهج أساليب سلمية، وهي تأخذ أشكالاً عدة، منها، المقاطعة السياسية، الإقتصادية، الثقافية، والرياضية، وقد تأخذ أكثر من شكل في ذات الوقت، أو تكون شاملة، وذلك بهدف تحقيق أهداف مصالح محددة لجهات معينة، ولذلك تتعدد أشكال المقاطعة وتختلف مجالاتها³²، وفق التالي:

1- الواقع الثقافي الفلسطيني:

تشكل ثقافة الحرص على فلسطين بأنها جزءاً لا يتجزأ من هوية الشعب الفلسطيني على مر التاريخ والعصور، ولا بد من الإشارة إلى أن بدء ظهور المجالات والملاحق الثقافية في فلسطين يعود إلى عام 1905، حيث الاهتمام بنشر كتابات المثقفين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة وفي الشتات، إضافة إلى ما ينتجه الكثير من المثقفين وكبار

الكتاب والشعراء والأدباء العرب المناصرين للقضية الفلسطينية³³. يُعتبر المثقفون الفلسطينيون، جزءاً لا يتجزأ من الأوساط الفكرية العربية، حيث كانت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، مستويات التعليم بين الفلسطينيين عالية بشكل كبير، ففي الضفة الغربية مثلاً، توجد نسبة عالية من المراهقين من السكان المسجلين في التعليم الثانوي³⁴، ويمكن القول أن الفلسطينيين منذ ثلاثين عاماً، ربما كانوا بالفعل أكبر نخبة من المتعلمين بين جميع الشعوب العربية³⁵.

تعتبر الثقافة الفلسطينية هي الأوثق صلة مع تلك الثقافات الشرقية القريبة مثل لبنان، وسوريا، والأردن، وكثير من بلدان العالم العربي، وبروز الكثير من الأشخاص المتعلمين والمثقفين البالغين أعلى مستويات العلم والثقافة ورجال الأعمال الكبار، أي ظهور فئات اجتماعية واعية ومولدة لأفكار سياسية واجتماعية ليبرالية في جلّها³⁶.

2- المقاطعة الثقافية:

تتضمن المقاطعة الثقافية كافة النشاطات ذات الطابع العلمي والأكاديمي والفني، وكل أشكال النشاطات المعبرة عن رفض الإحتلال الإسرائيلي، لا بل السعي الى تنظيم نشاطات تتوافق مع الشعب الفلسطيني وتكون داعمة من أجل إستعادة حقوقهم³⁷. فالمقاطعة الرياضية يتم فيها ربط الأزمات والصراعات السياسية بالألعاب الرياضية المختلفة، بحيث يمتنع اللاعبون والرياضيون الذين ينتمون للدول المقاطعة أو من يتعاطفون معها من الرياضيين من جنسيات أخرى من اللعب والمنافسة أمام الرياضيين الذين ينتمون للدولة المقاطعة³⁸.

3- التعبئة الإجتماعية:

يعتبر التطبيع بأنه الركن الأساس للسيطرة الإسرائيلية، إذ يجعل منه الكيان الصهيوني أهم أركان استراتيجيته التي ينتزع بواسطتها مصالحه بالتدرّج. وهو من أخطر المعارك بالنسبة لنا نحن العرب، لأنه تهديد استراتيجي هدفه تصفية القضية الفلسطينية، وتفكيك الدول والبلدان العربية على أسس قبلية وطائفية وإثنية، يجمعهم هدفاً واحد هو عدم الاستسلام بدعوى الواقعية والموضوعية، ولا بد من مقاومة التطبيع الذي هو صك استسلام وتسليم للكيان الصهيوني، لأنه يسمح بإنتزاع أرض فلسطين، وبناء المستوطنات، وتهجير الفلسطينيين أصحاب الأرض.

من هنا كانت دعوة الفصائل الفلسطينية إلى جمع صفوفها، وترتيب البيت الداخلي الفلسطيني، وبناء إستراتيجية وطنية تزواج بين العمل السياسي وخيار المقاومة والانتفاضة

لتحرير الأرض والتمسك بالشوايت والحقوق، وفي مقدمتها تحرير كامل أراضي فلسطين التاريخية، وعودة اللاجئين إلى أراضيهم، والقدس عاصمة موحدة لفلسطين، ولا بد من تعزيز الشعور العربي³⁹.

ب- العوامل السياسية:

1- الواقع السياسي والإقتصادي الذي يبرز زوال الإحتلال (الإتفاقيات والمحادثات الدولية):

يبرز فشل الحراك الدولي في تحقيق السلام من خلال عدد من الإتفاقيات التي لم تبصر النور وذلك من خلال سعي مسؤولي الكيان مع الدول من أجل تطبيق حل الدولتين، وذلك في نقل للسلطة من الجانب الإسرائيلي المحتل الى الجانب الفلسطيني تحت الإشراف الدولي، لخلق الشروط الموضوعية لتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير المصير بالطرق الديمقراطية. إن مثل هذه الخطوات السياسية الدولية، فتحت باباً واسعاً لنشوء دولة فلسطينية وساهمت بخلق مسار سياسي جديد لها. ومن هذه الإتفاقيات⁴⁰:

- إتفاق أوسلو وإنشاء نواة دولة.

رغم أن الجهود السياسية في فترة زمنية سابقة قد إنصبت في خانة الرضوخ والقبول بالأمر الواقع للقضية الفلسطينية، إلا أن الحالة الشعبية الفلسطينية قد إنقسمت حزبياً حول حل الدولتين، وبقي الرفض سيد الموقف حيال إتفاقية أوسلو المعروفة رسمياً بإسم إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي، وذلك في مدينة أوسلو النرويجية التي تمت فيها المحادثات السرية عام 1991، حيث أفرز هذا الاتفاق في ما عرف بمؤتمر مدريد. فقد ظهرت الردود الفلسطينية منقسمة حيث اعترضت عليها المنظمات المعارضة لأن أنظمتهم الداخلية ترفض الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود في فلسطين.

- القرار 242:

أجيز في القرار الدولي رقم 242 في 22 تشرين الثاني 1967 بتجسيد المبدأ الذي ألهم معظم خطط السلام اللاحقة «الأرض مقابل السلام». ودعا القرار إلى انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها واحترام سيادة أي دولة في المنطقة والاعتراف بها وبسلامة أراضيها واستقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام في ظل حدود آمنة ومعترف بها بعيداً عن أي تهديدات أو تصرفات بإستخدام القوة.

- مؤتمر كامب دايفيد:

بعد مباحثات السلام تم إبرام إتفاق «إطار السلام في الشرق الأوسط». وقد وضع أسس السلام بتوسيع القرار رقم 242 وحدد ما كان يأمل أن يكون سبيلا لحل «المشكلة الفلسطينية».

- طابا 2001:

لقد قدمت الولايات المتحدة الأميركية اقتراحاً لردم الهوة بين الطرفين. ونجحت في تقريب هوة الخلافات. وثمة مرونة أكثر فيما يخص تبادل الأراضي. وقال مراقبو الاتحاد الأوروبي إن إسرائيل أصبحت مستعدة لقبول أن تكون القدس الشرقية عاصمة للدولة الفلسطينية المستقبلية. وهذا ما يُظهر الرضوخ والقبول بالشروط الفلسطينية.

- خطة السلام السعودية 2002:

قدّمت المملكة العربية السعودية خطة سلام في القمة العربية التي انعقدت في بيروت في آذار 2002. وتنص مبادرة السلام العربية على ضرورة انسحاب إسرائيل إلى حدود عام 1967، والسماح بإقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة وإيجاد «حل عادل» لقضية اللاجئين. وهذا ما يساعد في تحرير بعض المساحات الفلسطينية، وتخفيف معاناة الحروب عنهم.

- خارطة الطريق 2003:

وهي خطة سلام أعدتها اللجنة الرباعية التي تضم الولايات المتحدة وروسيا والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة. ولا تضع الخطة تفاصيل بشأن تسوية نهائية للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني لكنها تقترح الطرق الكفيلة بحل المشكلة وكيفية مقاربتها. واقترح البيان جدولاً زمنياً متدرجاً يقوم على إقامة الأمن قبل التوصل إلى تسوية نهائية. وهذا يساعد في الإبقاء على ربط النزاع وتوفير الأمن، ودليل قاطع أن التهديد بفعل القوة المتعاضمة لدى الفلسطينيين بدأت تظهر نتائجها الإيجابية.

- اتفاق جنيف 2003:

وبالرغم من انهيار المحادثات الرسمية بين الطرفين، فإنهما توصلا بطريقة غير رسمية إلى اتفاق بينهما في كانون الأول 2003، وأهم ما تقدم في الموضوع تنازل إسرائيل عن بعض المستوطنات الرئيسية، لكنها تحتفظ بأخرى بالقرب من منطقة الحدود على أن يقترن ذلك بتبادل الأراضي بحيث تمنح إسرائيل الفلسطينيين أراضي في داخل إسرائيل في مقابل احتفاظها بأخرى في الضفة الغربية. وكذلك، نص الاتفاق على منح

الفلسطينيين حق إقامة عاصمة دولتهم المرتقبة في القدس الشرقية على أن يحتفظ الإسرائيليون بالسيادة على الحائط الغربي من المدينة القديمة. وهذا الإتفاق يساعد في تحرير مناطق معينة ويساعد في لجم العدو الإسرائيلي عن أعماله العدائية.

- أنابوليس 2007:

كانت محاولة لإستئناف عملية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وصدر عن المؤتمر بيان مشترك بين القادة الإسرائيليين والفلسطينيين دعا إلى الانخراط في المفاوضات يكون هدفها التوصل إلى اتفاق سلام كامل بحلول نهاية 2008. واتفق الطرفان على أن تطبيق بنود السلام ينبغي أن تسبقه إجراءات بناء الثقة المنصوص عليها في خارطة الطريق، ما يُظهر معاناة الجانب الإسرائيلي من تعاضم القوة الرادعة الفلسطينية.

- محادثات 2010:

تمت المحادثات في 2 سبتمبر 2010، وإنتهت إلى التجميد الجزئي للاستيطان.

- محادثات 2011:

حصلت في 23 سبتمبر 2011، كشفت اللجنة الرباعية عن خطة ترمي إلى استئناف مباحثات السلام وتقضي ببدء المفاوضات في غضون شهر والإلتزام بالتوصل إلى اتفاق سلام في نهاية عام 2012.

وفي 31 أكتوبر 2011، حصل الفلسطينيون على عضوية منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة⁴¹. وهذا ما يساهم في توصيل الصوت الفلسطيني مباشرة إلى المحافل الدولية، وإدراجها دولة في المجتمع الدولي.

2- التأثير الاقتصادي والسياسي السلبي على مستقبل اسرائيل:

تم التأكيد بأن إسرائيل تشهد منذ أوائل التسعينات تحولاً كبيراً في اقتصادها، له كبير الأثر على الحراك السياسي في إسرائيل. أبرزها: تفكيك دولة الرفاه، وتراجع تدخل الدولة في الحياة العامة والتقديمات الخدمائية. ومن ثم تطور جذب الاستثمار لصالح الفئات الغنية على حساب الفئات الفقيرة، وأخيراً تزايد الفجوة بين الطبقة الفقيرة والغنية. «ساهم في تفاقم الأزمة الحكومات خلال الأعوام (1996-1999) و (1999-2001) و (2001-2003) وقد تم خفض الدعم الوطني لخدمات التأمين الصحي بحوالي 18-20%. وإرتفاع دخل المنتمين إلى الطبقة الأعلى 10% في المجتمع الإسرائيلي بزيادة 5%، وإلى انخفاض دخل المنتمين إلى الطبقة الأدنى

10% في المجتمع أي بإنخفاض - 5%. كما أن مشكلة الفقر كانت تعد الثانية خطراً بعد الأمن عام 2003، أما في العام 2004 فقد أضحت مشكلة الفقر هي الأخطر، وهي مدخل الخطر الأمني، ويلاحظ إستمرار السياسة الاقتصادية التي تزيد الفجوة بين الأغنياء والفقراء“⁴².

3- أهمية المقاطعة السياسية:

تعتبر المقاطعة السياسية بأنها إحدى وسائل الضغط الدفاعي التي تقوم بها دولة أو مجموعة من الدول لتحقيق أهداف سياسية، ويكفل القانون الدولي هذا الحق، ويعتبره في صلب الحقوق السيادية للدول.

بمناسبة يوم الأرض التي تم إحياءها عام 1992، صدر بيان من فصائل فلسطينية تم التأكيد في موقف موحد لمواجهة المخاطر التي تتعرض لها القضية الفلسطينية، ما يفرض الإرتقاء بالمسؤوليات التاريخية وإستنهاض القوى الشعبية والثورية وفي مقدمة ذلك التركيز على دور الإنتفاضة الشعبية والعمل على إستمراريتها وتوفير كل وسائل الدعم لها، بإعتبارها الحركة المركزية للنضال الوطني⁴³.

وعلى وجه العموم ثمة موقف رسمي عربي حيال قضية فلسطين يندرج تحت اسم «مبادرة السلام العربية» المنبثقة عن قمة بيروت العربية في آذار عام 2002، وهو يتمثل في الآتي: “على إسرائيل أن تعود إلى حدود عام 67.

– القدس يجب أن تصبح تحت السيطرة الفلسطينية.

– اللاجئون الفلسطينيون، وأقله حتى مليون ونصف مليون منهم، يجب أن يتمكّنوا من العودة إلى فلسطين.

– الدولة الفلسطينية ينبغي أن تكون مستقلة فعلاً وذات قوات مسلحة وإمكانيات دفاعية“⁴⁴.

4- أهمية المقاطعة الاقتصادية:

تقوم المقاطعة الاقتصادية، وفق نظام جماعي بهدف الضغط على إسرائيل والقصد منها يكون من أجل دفعها لتغيير سياستها تجاه قضية معينة، ويتم خلالها التوقف الطوعي عن إستخدام أو شراء أو التعامل مع سلطة الإحتلال، فالمقاطعة هي شكل من أشكال الأعتراض والإستنكار. وتتحقق المقاطعة الاقتصادية من خلال وقف العلاقات الإقتصادية والمالية، بهدف ممارسة الضغط عليها لتحقيق الأهداف المرجوة من ممارسة هذه المقاطعة. وتشمل المقاطعة حركة استيراد وتصدير السلع، وقد تمتد إلى مختلف أنواع الخدمات⁴⁵.

5- الإستنزاف الإقتصادي والمالي:

بينما يكثف الاحتلال الإسرائيلي ضرباته الوحشية على الداخل الفلسطيني والخارج العربي، في محاولة لتحقيق أكبر قدر من الخسائر، فإنه أضحى أكثر فزعاً من طول أمد الحروب التي تكبده خسائر اقتصادية فادحة لم يكن يتوقعها بسبب الرشقات الصاروخية الموجعة التي طاولت منشآت اقتصادية حيوية، ما دعا حكومة الاحتلال إلى استدعاء خبراء اقتصاد لمتابعة وتقييم الخسائر الناجمة عن الوضع العام وأزماته، فبفعل الصواريخ ظهر حجم الضرر الكبير الذي طال منازل مهدمة، وسيارات مدمرة، وإصابة منشأة نفطية وغيرها⁴⁶. وحذرت مؤسسات للتصنيف الائتماني من تضرر الاقتصاد الإسرائيلي، وأن الضغوط قد تتزايد على التصنيف إذا طال أمد المخاطر الأمنية والسياسية المرتبطة بالصراع الدائر، بما يؤثر على الاقتصاد والوضع المالي وميزان المدفوعات.

كما أشارت وكالة «فيتش»، في تقرير لها، إلى أن المخاطر السياسية والأمنية ذات التأثير الخطير طويل الأمد على الاقتصاد قد تكون دافعاً «لتحرك نحو تقييم سلبي». وتعاني إسرائيل بالأساس من ارتفاع نسبة الدين إلى الناتج المحلي الإجمالي لتصل إلى 72.4% في 2020 من 60% في 2019 بسبب جائحة فيروس كورونا، كما ارتفع العجز في الميزانية خلال العام الماضي إلى 11.6% من 3.7% في العام السابق، وفق بيانات وزارة المالية⁴⁷. وبفعل ضربات المقاومة الفلسطينية، نتجت خسائر إقتصادية كبيرة في كل حرب تشنها إسرائيل، وتمثّلت في:

- ” - تدمير وتعطيل العديد من المرافق الاقتصادية الحيوية.
- إلغاء العديد من الرحلات جوية.
- انقطاع الكهرباء عن مناطق كثيرة.
- توقف حركة القطارات من تل أبيب ومن وسط إسرائيل إلى جنوبها.
- تأثر قطاع الطاقة حيث توقف العمل في منطقة استخراج الغاز الطبيعي من البحر المتوسط. إذا أعلنت شركة شيفرون الأميركية أنها أغلقت منصة «تمار» للغاز الطبيعي التي تضخ حوالي 10 مليارات متر مكعب من الغاز سنوياً.
- كما استهدفت المقاومة خطوط أنابيب النفط بين مدينتي عسقلان وإيلات، وتسببت ضرباتها في توقف مؤقت وإرتباك مستمر لحركة الطيران وإغلاق المحلات التجارية في بعض المناطق، وسجل انخفاض وتراجع غير مسبوق للمعاملات التجارية والاقتصادية في سوق المال والبورصة والمصارف الإسرائيلية.

وذكر اتحاد المصنعين الإسرائيليين أن الضرر، الذي لحق بالاقتصاد خلال 3 أيام فقط من إطلاق الصواريخ من غزة، فاق 160 مليون دولار. وإلى جانب تلك الأضرار والخسائر في الممتلكات، تستنزف العمليات الحربية خزينة إسرائيل، وقالت المحاسبة العامة لوزارة المالية "شيرا غرينبرغ" في تصريحات صحافية مؤخراً: «إذا دخلت إسرائيل في حملة عسكرية ومواجهة شاملة تصل إلى شهر، فإن الخسائر ستكون مضاعفة في كافة المجالات، وقد تصل المبالغ إلى عدة مليارات من الدولارات»⁴⁸.

رابعاً: - الخصائص الاقتصادية والسياسية والاجتماعية تبين ملامح الزوال:

أ- الإرهاق المالي لدولة الكيان بشأن بناء القوة:

تري قيادة مجلس المستوطنات في الضفة الغربية، أن الخيارات المتاحة أمام إسرائيل أصبحت ضيقة وغير قابلة للحياة، مع أن الدولة ترصد ميزانية مالية كبيرة من أجل التطوير العسكري، الصناعي المرتبط بالأمن وهذا من شأنه أن يؤدي في حال إستمر هذا السباق الى التسلمح الى عجز إقتصادي للدولة.

لقد لفت قادة متقاعدون في جيش الاحتلال، من خطر تمنع العديد الالتحاق بالخدمة العسكرية، الأمر الذي يشكل تهديداً مباشراً على تآكل قدرات جيش الاحتلال الإسرائيلي، مقابل تعاضم قدرات المقاومة اللبنانية والفلسطينية، ما يعني أن الكيان الإسرائيلي بات محاصراً بجبهات عدة تخزن جحيم صواريخ وهذا بالطبع يفقد إسرائيل القدرة على خوض معارك مضمونة النتائج خلال أيام معدودة خارج حدود الكيان الإسرائيلي، كما جرى سابقاً، لذلك يرى القادة الإسرائيليون المتقاعدون أن المشروع الصهيوني بدولة يهودية بات مهدداً بالتفكك والزوال لأنه سيبقى مهدداً تحت وطأة الرفض والمقاومة والمحاصرة بجهنم من الصواريخ من كل حذب وصوب، ما يعني انكشاف كامل المنظومة الاقتصادية، التي تشكل العمود الفقري للدولة اليهودية، وإمكانية تدميرها في أي حرب مقبلة، ويختم الضباط المتقاعدون تحذيرهم بالقول: إن تصاعد العمليات الاستشهادية للفلسطينيين ضد اليهود، وخاصة في الضفة الغربية، لهو أمرٌ بات يشكل خطر القنبلة الديموغرافية، وهذه حقيقة يجب الاعتراف بها.

ب- الإرهاق المالي الناتج عن التسلمح وخلق الأمن والأمان لصالح الكيان الإسرائيلي:

يتكبد النظام الإسرائيلي أكلافاً مالية كبيرة، بسبب عملياته العدوانية المتكررة في الداخل

والخارج. فقد نشر جيش العدو الإسرائيلي تقريراً مفصلاً عن عملياته العسكرية الهادفة لضمان إستمراريته وحمايته تحت عنوان «إرباك عمليات التهريب ومحاولة إدخال الأسلحة إلى أعدائنا» وفق التالي:

” نشر الجيش الإسرائيلي في تقريره عام 2021 خطة بناء القوة العسكرية مشيراً الى زيادة ملموسة في نطاق بنك الأهداف العسكرية والاستخبارات وإبرام الصفقات لزيادة حجم ونطاق الأسلحة الهجومية وصواريخ الاعتراض بالإضافة الى تطوير خطة الدفاع الجوي الوطنية وشبكات الاتصالات، مشيراً إلى أنه تم تطوير قدرات تنفيذ إجتياح برّي للقوات البرية من خلال تطوير قدرات لنقل الاستخبارات النوعية للقوات المقاتلة وتوسيع رقعة الأسلحة والوسائل القتالية. كما ذكر أنه تم تنفيذ عشرات العمليات العسكرية في إطار المعركة ما بين الحروب وتم استهداف آلاف الأهداف العسكرية في الجبهات المختلفة بالإضافة الى تنفيذ آلاف الطلعات الجوية وعشرات العمليات الخاصة ومئات التدريبات والتمارين”⁴⁹.

ج- إنعكاسات الواقع السياسي على المجتمع الإسرائيلي:

1- تردي الواقع الإقتصادي: عجز الإقتصاد الإسرائيلي عن إغراء الإسرائيليين، بدخل يفوق دخلهم في أوطانهم السابقة، بعدما تركوها أملاً بالعيش في بحبوحة مالية وبأمان، وخاصة أن المستوطنين وجدوا أن دخل الفرد في أوروبا، كان يشكل ضعف دخلهم في إسرائيل، إضافة إلى أن أكثر من مليونين من اليهود في إسرائيل، يعيشون تحت خط الفقر⁵⁰.

2- واقع الكيان الأمني المترهل: الإقتناع بوصول المشروع الصهيوني إلى طريق مسدود من الداخل بعد انكشاف الترهل الذي أصاب أركان جيش العدو الصهيوني، عقب الهزيمة الثقيلة في حرب تموز 2006 مع المقاومة اللبنانية، والإخفاق في تحقيق أي من أهداف الاعتداء الإسرائيلي على لبنان، ما يعني، كسر عنصر ارتكاز القوة والتفوق للدولة.

كما أن إنكشاف تدني مستوى تماسك الجبهة الداخلية في إسرائيل والعجز عن ترميمها، إضافة إلى إخفاق الجيش الإسرائيلي، في تحقيق أي انتصار في المواجهات المتعددة على جبهة قطاع غزة، وتمدد جبهة المقاومة مع لبنان، والتحامها مع جبهة الجولان المحتل، ما يعني أنه حتى لو فرضت واشنطن وتل أبيب والغرب كله، تسويات وتطبيع العلاقات مع بعض دول المنطقة، فلن يغير من الواقع المأزوم لإسرائيل، وبالتالي استحالة قيام دولة يهودية، ما يؤكد حتمية تفكك كيان العدو، وخصوصاً بعد إصرار الشعب الفلسطيني على رفض الاحتلال ومقاومته بشتى الوسائل.

3- خسائر وتكاليف:

” بحسب إحصاء سلطة الضرائب، فقد بلغت الأضرار الناجمة عن عملية «حارس الأسوار» 33 مليون دولار لحقت بالممتلكات الخاصة للمستوطنين، ونحو 20 مليوناً أخرى للممتلكات العامة، بينما تكلف العملية العسكرية والقتال لجيش الاحتلال بلغت خلال 4 أيام 500 مليون دولار، وهي تتزايد بمعدل مرتفع كل يوم من أيام القتال، وهذه المبالغ لا تشمل تكاليف الغارات والقصف والأضرار والخسائر، في ظل التكاليف الباهظة للحملة العسكرية، أجرت وزارة المالية الإسرائيلية نقاشاً حول النفقات والتكاليف، فقد تبين أن عملية «حارس الأسوار» مثلاً، أنها بلغت حوالي مليار دولار. وهذا الإحصاء لا يشمل الأضرار الجسيمة الإضافية للمنشآت العامة، المباني العامة والطرق والأسوار والإنارة وإشارات المرور والبنية التحتية الأخرى، إذ لم يتم بعد تقدير الأضرار التي لحقت بالممتلكات العامة، وتقدر تلك الأضرار بعشرات الملايين من الدولارات على الأقل وربما أكثر. ووفقاً للصحيفة فقد بلغ 60 مليون دولار حجم الخسائر والأضرار المباشرة للممتلكات خلال الحملة العسكرية «الرصاص المصبوب» التي استمرت 51 يوماً. بالإضافة إلى حجم الأضرار غير المباشرة للمؤسسات الخاصة وإغلاق ورش العمل والشركات والمصانع والمكاتب الحكومية»⁵¹.

ومن أجل الإستدامة كان لا بد من السعي إلى تنمية التطوير الصناعي العسكري. إن عسكرة الاقتصاد الإسرائيلي يظهر من خلال الاهتمام البالغ بالصناعات العسكرية التي تُعدّ الرافعة التي نهضت بالإقتصاد الإسرائيلي. فمنذ العام 1967، تحوّل المجتمع الإسرائيلي بفعل التصنيع الحربي، من الاقتصاد الزراعي المبني على تصدير الحمضيات، إلى مجتمع على درجة عالية من التصنيع والتقنية. ولا شك أن التطور الذي حدث في الصناعات العسكرية، كان القاطرة الرئيسية لجرّ باقي القطاعات، بحيث يمكن القول إن الجيش كان الحاضنة التي حصلت فيها الطفرة التكنولوجية.

يقول البروفيسور «غادي أريفا» من جامعة تل أبيب في هذا الصدد: «إن أردت أن تفهم صناعات التقنية العالية في إسرائيل، فعليك أن تبدأ من الجيش». فالشباب والشابات ينخرطون في الجيش في سن الثامنة عشرة، ويتم إخضاعهم لتدريب مكثف على علوم الكمبيوتر الأساسية، ثم يتحملون مسؤوليات كبيرة في وظائفهم العسكرية التي تفرض عليهم تحديات تجعلهم مضطرين للخلق والإبداع. ويكفي لتقدير دور الجيش في الانطلاقة العلمية، معرفة ما تم إنشاؤه من مؤسسات فيه، فهناك مثلاً هيئة تطوير الوسائل القتالية

المعروفة اختصاراً بـ «رفائيل»، ومركز البحوث العسكرية الذي أنشئ لدراسة التكنولوجيا الحربية وتطويرها⁵².

د - الخصائص الاجتماعية والديمغرافية:

1- العوامل المؤثرة في الواقع الاجتماعي.

إستحالة الشعور بالأمان وفقدان أمن الفرد وعائلات المستوطنين، وخصوصاً مع تنامي مقاومة الجيل الفلسطيني الجديد لفكرة التعايش مع الاستيطان ومع الاحتلال، حتى بعد 73 سنة على فرض هذا الكيان، إضافة إلى وضوح الصورة الحقيقية، بعدما أصيب المستوطنون بالخيبة، حين وجدوا أنفسهم أقل عدداً من عدد الفلسطينيين الذين يحيطون بهم داخل كل أراضي فلسطين المحتلة، التي أصبح فيها الفلسطينيون يشكلون سبعة ملايين أمام ستة ملايين يهودي، وذلك بحسب الأرقام الإسرائيلية نفسها، لذلك يتأكد المستوطنون في كل بقعة من فلسطين، أنهم ليسوا بمأمن وليسوا في وطن قومي يهودي كما وعدوا من بريطانيا والحركة الصهيونية، وأنهم يعيشون وسط شعب فلسطيني يحكمونه بقوة الإرهاب والترهيب. وبعد مقارنة المستوطنون برغد الحياة والأمان في إسرائيل، وبين الحياة في أوروبا وأميركا، اكتشفوا أن الفارق بمستوى الحياة كبير، وأفضل اقتصادياً حيث كانوا، وخاصة أنهم كانوا أسياداً في تلك الدول، كما أنه وبعد المراجعة الدقيقة للمستوطنين، أدركوا أن الهوية القومية اليهودية لم يعد لها أي قيمة ولو معنوية في المستقبل، في ظل العيش بين سبعة ملايين فلسطيني جهم من الجيل الجديد الراض لوجودهم، ويطربصون بهم وباتوا ينتشرون في كل أراضي فلسطين.

2- الخطر الديموغرافي لا يمكن ترويضه.

يزداد عدد السكان من العرب الفلسطينيين بمعدل سنوي يفوق بكثير نظيره من الإسرائيليين اليهود. ووفقاً لدائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية، يقترب عدد السكان العرب من مليوني نسمة، أي 21% من سكان إسرائيل، ويفوق عددهم 9 ملايين نسمة. يشكل المسلمون في إسرائيل نحو 72% من السكان العرب، وفي حال تم ضم البدو فترتفع النسبة إلى 82%، والسكان العرب داخل دولة الاحتلال يشكلون حالياً أكثر من 20% من مجموع السكان، وربع هذه النسبة العربية من الشباب دون سن 19 عاماً. ويسكن في الضفة الغربية أكثر من 3 ملايين من العرب الفلسطينيين⁵³.

3- ميزان الهجرة من إسرائيل وإليها، وأثره في التركيبة السكانية:

تُبيّن المعطيات الرسمية المتوفرة أن المعدل السنوي لعدد المهاجرين اليهود الوافدين إلى

إسرائيل، أو ما يسمى في القاموس الإسرائيلي «القادمون الجدد»، شهد انخفاضاً مستمراً من نحو 23000 مهاجر سنوياً في الفترة 2002 - 2007، إلى نحو 15000 مهاجر سنوياً في السنوات 2008 - 2011، ثم عاد إلى الارتفاع منذ سنة 2014، ووصل عدد المهاجرين اليهود إلى إسرائيل في سنة 2017 إلى 29084 مهاجراً، جاء توزيعهم بحسب دول الأصل على النحو التالي: 57.4% من دول أوروبا الشرقية، 16.5% من أوروبا الغربية، 12.2% من أميركا الشمالية 0.5% من دول مركز أميركا وجنوبها، 0.6% من أفريقيا، والباقي من دول أخرى. وتجدر الإشارة إلى أن هذا التوزيع يشهد بعض التغيير من سنة إلى أخرى لأسباب تتعلق، كما ذكرنا، بالتطورات السياسية والاجتماعية في دول الأصل، وكان 48% من المهاجرين في سنة 2017 من الذكور و52% من الإناث. لكن إسرائيل لا تشكل هدف الهجرة الوحيد لليهود أوروبا الغربية، ولا سيما فرنسا، وليهود دول أوروبا الشرقية، إذ تدل الإحصاءات على أن كثيرين منهم يفضلون الهجرة إلى دول أوروبية مستقرة وإلى الولايات المتحدة الأميركية لأسباب تتعلق بما يسميه المهاجرون الأمن الاقتصادي والشخصي.⁵⁴

4- هجرة اليهود إلى خارج إسرائيل:

تسمى الهجرة من إسرائيل إلى خارجها في القاموس الإسرائيلي «يريداه»، أي الهبوط أو النزول، على عكس الهجرة إليها التي تأخذ معنى الصعود أو الحج، وهذا للدلالة على موقف سلبي من الظاهرة يبلغ حد اتهام المهاجرين إلى الخارج بالتخلي عن المشروع القومي، والهروب أو السعي لمطامح شخصية أنانية في دول الغرب، بدلاً من المساهمة في الجهد الصهيوني الجماعي الذي يحاول ضمان الطابع اليهودي للدولة ومستقبلها، وعلى الرغم من النظرة السلبية التي تعبّر عنها الأوساط الرسمية ووسائل الإعلام، فضلاً عن الحركات اليمينية، تجاه المهاجرين، مهما يكن سبب مغادرتهم، فإن النقاش في شأنها، بدأ يشغل المجتمع الإسرائيلي بوتيرة أعلى في السنوات الأخيرة. ولم يعد التفكير في الهجرة إلى الخارج أو الجهر بالاستعداد للمغادرة إذا سنحت فرصة كهذه من المحرمات في الثقافة السياسية الإسرائيلية.

تتعلق الأسباب الرئيسية للهجرة من إسرائيل إلى الخارج بالسعي لتحسين مستوى الحياة والبحث عن فرص عمل، أو الارتقاء والتقدم في مجال المهنة والتعليم الأكاديمي. وفي السنوات الأخيرة، وتحديدًا بعد حركة الاحتجاج التي انطلقت في سنة 2011، يدور نقاش واسع في إسرائيل عن الهجرة بسبب غلاء المعيشة فيها مقارنةً بأميركا ودول أوروبية مثل

ألمانيا، الأمر الذي يجعل الحياة هناك أسهل كثيراً من إسرائيل، ومن الجدير بالذكر أن سنة 2011 التي انطلقت فيها موجة احتجاج شعبي على الغلاء وارتفاع سعر الشقق للإيجار والتملك، شهدت كثيراً من مقارنات الأسعار بين إسرائيل ودول أوروبا، وكان بين المقارنات المتكررة أسعار منتوجات الألبان، كما أن الأوضاع الأمنية في المنطقة وحروب إسرائيل المتتالية وما تسببه من شعور بإنعدام الأمان لدى السكان في المناطق المعرضة للخطر يرفع من مستوى الاستعداد والرغبة في مغادرة البلد إذا سنحت الفرصة لذلك.

” تبيّن المعطيات الرسمية المتوفرة عن الهجرة إلى خارج إسرائيل، أن عدد الإسرائيليين الذين هاجروا منذ إقامة الدولة حتى سنة 2012 ولم يعودوا إليها هو 698000 نسمة، وهذا يشمل، بحسب التقديرات الرسمية، المتوفّين بينهم، ويتراوح عددهم بين 116000 و 149000 نسمة، وهو ما يعني أن عدد الإسرائيليين الماكثين في دول العالم المتعددة، في نهاية سنة 2012، يتراوح بين 549000 و 582000 نسمة، ولا يشمل عدد أبنائهم الذين وُلدوا في الخارج، هذا مع العلم بأن هناك تقديرات أخرى لعدد الإسرائيليين الذين يعيشون في دول أجنبية تتحدث عن أعداد تتراوح بين 650000 و مليون إسرائيلي على كل حال، وعلى الرغم من إرتفاع مستوى تداول قضية الهجرة من إسرائيل على خلفية إرتفاع الأسعار وغلاء المعيشة، ومحاولة أوساط يمينية في إسرائيل تضخيم الظاهرة بإضفاء معانٍ أيديولوجية سياسية عليها ووصم المهاجرين بأنهم يحملون أفكاراً يسارية أو ما بعد صهيونية، فإن الإحصاءات تدل على تدني الهجرة من إسرائيل بمعدل 30% مقارنةً بسنواتٍ سابقة، مع انخفاض بسيط وغير ثابت في أعداد العائدين منهم بعد تمضية فترة في الخارج، وتفيد المعطيات الرسمية أن عدد المهاجرين من إسرائيل في سنة 2016 أي السنة الأخيرة التي يوجد بصدها معطيات رسمية، وصل إلى 15200 إسرائيلي (منهم 700 مواطن فلسطيني)، في حين بلغ عدد العائدين للعيش في إسرائيل 8900 نسمة وهو أكبر عدد عائدين منذ سنة 2012 (مع العلم بأن بين العائدين 500 فلسطيني)، أي أن هناك انخفاضاً بنسبة 9% في عدد المهاجرين من إسرائيل مقارنة بالسنة التي سبقت) 2015⁵⁵.

ويُرجح أن الانخفاض في عدد المهاجرين من إسرائيل في السنوات الأخيرة قياساً بسنوات سابقة يعود إلى أسباب اقتصادية، وإلى أزمات مالية عصفت بدول كانت هدفاً إلى الهجرة من إسرائيل، مثل الولايات المتحدة، التي كانت تستوعب قرابة 70%، من المهاجرين الإسرائيليين ودول أوروبية أخرى، هذا إضافة إلى تعاظم نشاط حركات عنصرية في العديد من دول أوروبا⁵⁶.

تفيد المعطيات الخاصة بالهجرة اليهودية المعاكسة، بأن عشرات الآلاف من أبناء المهاجرين من دول الاتحاد السوفياتي سابقاً، الذين وصلوا إلى إسرائيل عندما كانوا أولاداً وفتياناً تحت سن 19 عاماً، غادروا في العقود الأخيرة إسرائيل للعيش في البلاد التي أتوا منها، أو في الولايات المتحدة الأمريكية. وورد في الإحصاءات أن 18% من المهاجرين الفتية والأولاد الذين هاجروا إلى إسرائيل بين سنة 1990 وسنة 1996 غادروا (واحد من كل ستة أشخاص)⁵⁷.

نشر موقع الكنيست الإسرائيلي مؤخراً دراسة سلطت الضوء على زيادة مضطردة في نسبة الهجرة اليهودية المعاكسة من الكيان الإسرائيلي باتجاه العودة للبلدان التي تركوها وخصوصاً أولئك الذين جيء بهم من أوروبا وأميركا وكندا بهدف الاستيطان في فلسطين المحتلة. دراسة الكنيست الإسرائيلي تفيد، بأن الهجرة المعاكسة من إسرائيل، والتي شملت مئات الآلاف، عاشوا سابقاً كمواطنين في الولايات المتحدة، وكندا وأوروبا، تعود مسبباتها، إلى عوامل أضحت معروفة، ولها دلالات واضحة على وجود قناعة لدى المهاجرين، باستحالة استمرار تماسك مشروع الدولة في الكيان الصهيوني، بعد التأكد من استفحال الفساد فيها، والتميز العنصري بين اليهود أنفسهم، وحصول انقسام سياسي عامودي وأفقي، والقيام بثلاث جولات من الانتخابات المبكرة، لم ينتج عنها إلا حكومة هجينة ضعيفة، وهذا دليل على الشروع بتفكك مفهوم الدولة في إسرائيل.

5- سقوط نظرية الردع الإسرائيلية:

تخصّص سلطة الإحتلال النسبة المالية الكبرى من الموازنة على التسلح، ولهذا إنعكاس سلبي على الواقعين الإقتصادي والإجتماعي، ما يحرم المستوطنون من الخدمات الصحية، والإجتماعية، أو تخفيض معدل الفقر، ورفع مستوى المعيشة. إلا أنها لم تفلح بما تعدّه لأجل أمنها الوهمي. "أظهرت الحروب الأخيرة التي خاضتها إسرائيل في لبنان وغزة تراجعاً ملحوظاً في قدرة الجيش الإسرائيلي على حسم المعركة وفق الأسلوب القديم القاضي بتدمير قوات الخصم واحتلال أرضه، كما ظهر فشل منظومة الدفاع الصاروخي في مواجهة حركة حماس، بالرغم من محدودية قدراتها الصاروخية بالنسبة لقوى أخرى، وهذا يشكل خطراً جسيماً على الشعور بالأمن داخل المجتمع الإسرائيلي. لقد أصبحت إسرائيل تحت رحمة «قوس من التهديدات» شمالاً وجنوباً، حيث تمتلك «قوى معادية» ومنظومات صاروخية قوية، في مقابل ذلك هناك خشية من إنهيار أنظمة الدفاع لديها"⁵⁸. ولهذا

تأثير مباشر على التأثير النفسي على المستوطنين، ما يستدعي لدى كل مستوطن إعادة النظر بمستقبله وإستقراره، ما يؤدي الى زيادة معدلات هجرتهم. إضافةً الى الإنتفاضات الفلسطينية المتتالية في الداخل التي تسببت بكلفة مالية أدت الى ضعف إقتصادي، ومن أهم الإنتفاضات، إنتفاضة جباليا في قطاع غزة حملت اسم «انتفاضة الحجارة»، انطلقت شرارتها في كانون أول 1987 لتتوسع في مدن وقرى ومخيمات فلسطينية في غزة والضفة الغربية وأراضي 1948.

وبعد 13 سنة قامت انتفاضة ثانية وهذه المرة من المسجد الأقصى عندما تصدى فلسطينيون لدخول رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق "أرييل شارون" وحراسه إلى باحة المسجد الأقصى عام 2000 وقمعتهم قوات الاحتلال بقسوة، فاندلعت انتفاضة عارمة في كل فلسطين مستعملين الحجارة والسلاح الأبيض.

لم تستطع المفاوضات بين السلطة الفلسطينية والحكومات الإسرائيلية أن تزيل عوامل الغضب الفلسطيني من ممارسات الاحتلال القمعية والاستيطانية التي لم تتراجع بعد أوصلو. إن إقتحام المسجد الأقصى قوات من الجيش الإسرائيلي الحرم القدسي، تصدى له الفلسطينيون فاندلعت انتفاضة أخرى من القدس لتنتقل إلى مدن الضفة الغربية وقطاع غزة فكانت انتفاضة الأقصى. وكان من نتائج تلك الإنتفاضات أن طوّرت الفصائل الفلسطينية وصنّعت أسلحة وصواريخ وتمكنت من الوصول إلى مدن وبلدات إسرائيلية. كما حصل إجماع فلسطيني في إنتفاضة الأقصى وساندتها حتى الفصائل المؤيدة لعملية التسوية، الأمر الذي عكس إستياء هذه القوى من نتائج عملية المفاوضات مع سلطات الاحتلال. كما حظيت الانتفاضة بدعم عربي وإسلامي واسع، فخرجت مظاهرات ضخمة في الشارع العربي مؤيدة لها. كما أوقفت تلك الانتفاضة تراجع فلسطينية حصلت خلال مرحلة المفاوضات.

خفت انتفاضة الأقصى بعد 8 شباط 2005 عقب عقد اتفاق هدنة بين الإسرائيليين والفلسطينيين في قمة شرم الشيخ، لكن ذلك لم يوقف المواجهات الدورية بين المقاومة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي سواء في الضفة الغربية أو قطاع غزة.

إن تعاقب الإنتفاضات الشعبية في وجه المحتل الإسرائيلي وتعاضلها، تؤدي في كثير من المواضع الى تحقيق ما يريده الفلسطينيون، فمثلاً، تم إلغاء تبني المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغر للشؤون الأمنية والسياسية قراراً بتمويض الجنود الإسرائيليين إطلاق النار على الفلسطينيين في حال تعرض الجيش أو أي مواطن يهودي للخطر. ومن

الانتفاضات التي حصلت، هيبة الأسرى، وهي هبة شعبية إنطلقت في 28 نيسان 2017 من أجل الأسرى في السجون الإسرائيلية. ثم عادت وإنطلقت في 16 تموز 2017 واستمرت حتى 25 تموز 2017، وإنتهت الهبة بتراجع سلطات الاحتلال عن قرارها، في وضع بوابات إلكترونية لتفتيش وفحص المصلين. ورأى عدد من المراقبين والمسؤولين الفلسطينيين أن إصرار إسرائيل على الاعتداء على الأقصى وعلى الفلسطينيين ومقدساتهم وممتلكاتهم قد يشعل نار انتفاضة ثالثة.

خامساً: - إرتباط زوال الكيان الصهيوني بإستمرار وثبات المواقف:

لا اعتراف أو علاقات دبلوماسية مع الكيان الصهيوني، وفي الوقت الحاضر، فإن ما مجموعه 31 من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة لا تعترف بدولة إسرائيل، أو لا تقييم معها علاقات دبلوماسية بصورة عامة أو جزئية حيث نجد 18 من أعضاء الأمم المتحدة الـ 22 في جامعة الدول العربية: الجزائر وجزر القمر وجيبوتي والعراق والكويت ولبنان وليبيا وموريتانيا وعمان وقطر والسعودية والصومال والسودان وسوريا وتونس و اليمن (ويستثنى من ذلك أربع بلدان هي مصر والأردن والإمارات العربية المتحدة والبحرين)، و10 أعضاء آخرين في منظمة التعاون الإسلامي: أفغانستان، وإندونيسيا، وإيران، وباكستان، وبنغلاديش، وبروناي، وتشاد، ومالي، وماليزيا،

والنيجر، وبوتان، وكوبا وكوريا الشمالية⁵⁹. يُراد بالتطبيع إقامة علاقات طبيعية في الجوانب المختلفة: فهناك تطبيع سياسي، وتطبيع اقتصادي، وتطبيع دبلوماسي، وغير ذلك. وكل هذه الجوانب مرفوضة ولا تحتاج إلى اجتهاد كبير، فهي واضحة جلية، فالتطبيع مع الظالم ظلم، لأنه إقرار له على ظلمه⁶⁰.

وللإعلام في مواجهة الاحتلال الأثر الأكبر، وهو أحد عوامل النصر أو الهزيمة والبناء والهدم والتقدم والتأخر، الإعلام هو عنصر فاعل ومكون من مكونات الوعي والرأي والفهم ورائد للتمادي في ارتكاب الجرائم، الإعلام مكون أساسي من السياسة والفكر والثقافة، فإذا أصبح الإعلام مجرد ناقل للصورة فقط فمعنى هذا أنه لا يقوم بدور الارتقاء بالوعي. إذا عدنا إلى تاريخ الإعلام في فلسطين فإننا نجد أن فلسطين من أولى الدول العربية التي نشأت فيها الصحافة في أواخر القرن التاسع عشر، ففي فلسطين ظهرت أولى الصحف العربية ومنها القدس الشريف باللغتين التركية والعربية⁶¹.

سادساً: - أبرز النجاحات والإيجابيات:

ربما يُظهر المشهد العام الحالي لقضية فلسطين صورة مؤلمة ومحبطة، في واقع فلسطيني وعربي وإسلامي ودولي. لكن علينا قراءة المشهد في ضوء حركة التاريخ، وفي ضوء سنن التدافع والتداول، وفي ضوء حالات التشكُّل وإعادة التشكُّل، التي تشهدها البيئة الإستراتيجية المحيطة بفلسطين، وفي ضوء صمود الشعب الفلسطيني، وثبات العمل المقاوم، وفي ضوء الطاقات المذخورة في الأمة، وفي ضوء أزمة المشروع الصهيوني. فكل ذلك يشير إلى أن وجود أمتنا الحالي في حالة الجزر - أو في قعر الموجة - لا يمنع من توفر العناصر المُهيَّئة لانطلاقة موجة جديدة أكبر وأقوى فاعلية من الموجات التي سبقتها.

1- النجاح في إبقاء قضية فلسطين قضية حية طوال المئة سنة الماضية، والقضية المركزية للعالم العربي والإسلامي، وقضية مركزية عالمية. وكلما جرت محاولات لتهميشها وإغلاق ملفاتها عادت لتفرض نفسها مجدداً، لتكشف في كل مرة حالة «المظلومية» الفلسطينية، ومدى قبح وتوحُّش الاحتلال الصهيوني، ومدى نفاق المجتمع الدولي وقواه الكبرى.

2- صمود الشعب الفلسطيني على أرضه، فبرغم وجود نصف الشعب الفلسطيني في المنافي والشتات، فإنه ما زال هناك نحو ستة ملايين ونصف مليون فلسطيني داخل فلسطين التاريخية. وقد تمكنوا مطلع سنة 2018 من تجاوز أعداد اليهود في فلسطين، وذلك بعد مرور أكثر من 120 عاماً على المشروع الصهيوني و70 عاماً على إنشاء الكيان الصهيوني. ورغم كافة أشكال الاحتلال والقهر والمعاناة فإن ثبات الشعب الفلسطيني على أرضه، ما زال يسبب مشكلة وجودية للمشروع الصهيوني.

3- فشل «إسرائيل» في التحول إلى كيان طبيعي في المنطقة، واستمرار النظرة إليها ككيان سرطاني غريب؛ والفشل الذريع لكافة أشكال التطبيع الشعبي معها، وانزواء التطبيع مع «إسرائيل» في القشرة الرسمية لبعض الأنظمة العربية. وبالتالي اعتماد «إسرائيل» في بقائها على منظومة غطرسة القوة والغطاء الدولي، وهو ما لا يمكن ضمانه على المستوى البعيد.

4- تعمق قضية فلسطين في الوجدان العربي والإسلامي والإنساني، باعتبارها قضية حقٍّ وعدل، فشلت كافة المحاولات الصهيونية والدولية (وكذلك محاولات حلفائهم في المنطقة) في عزلها وتشويهها وإطفاء لهيبها.

ورغم حصار غزة وتسيق سلطات رام الله الأمني مع الاحتلال؛ فإن العمل المقاوم نما وطوّر إمكاناته النوعية، وليس من المستبعد في المستقبل الوسيط أن يصل إلى إمكانات

وقدرات تؤرِّق المشروع الصهيوني، وتعرض معادلات جديدة في إدارة الصراع. كما أن العدو الصهيوني أُجبر على الانسحاب من جنوب لبنان سنة 2000 تحت ضربات المقاومة، وفشل في حربه التي خاضها ضدّ لبنان في 2006، وتمكنت المقاومة من فرض معادلتها ولم يعد قادراً ولا راغباً في التوسع في لبنان. وبشكل عام، فإن البيئة الإستراتيجية المحيطة بفلسطين تحمل في مستقبلها تحديات كبيرة للمشروع الصهيوني.

5- رغم الحالة «المزرية» الراهنة للمنظومة السياسية الفلسطينية؛ فقد حافظ الشعب الفلسطيني على هويته الوطنية طوال المئة عام الماضية، وشكّل مؤسسات تُمثله وتعبّر عن تطلعاته، ابتداء من المؤتمر العربي الفلسطيني 1934-1919، ومروراً باللجنة العربية العليا 1936 - 1946، والهيئة العربية العليا 1946 - 1964، ومنظمة التحرير الفلسطينية منذ 1964⁶².

سابعاً: - تقديرات وتداعيات:

من جانبها، رصدت صحيفة «ذا ماركر» الاقتصادية الخسائر والأضرار الأولية والشلل التجاري والاقتصادي والتعليمي الذي ضرب إسرائيل، إذ قدرت خسائر سوق المال والبورصة في تل أبيب بحوالي 28%، وقد توقف 30% من المصانع والورش في مستوطنات «غلاف غزة» عن العمل بشكل كلي، في وقت توقفت 17% من المصانع في باقي المناطق جنوبي إسرائيل ومنطقة تل أبيب عن العمل بشكل جزئي، كما عطلت الدراسة في 70% من المدارس والجامعات والمؤسسات التعليمية.

وأوضحت الصحيفة - في إشارة منها إلى الأضرار غير المباشرة التي لا يمكن جردها إلا بعد انتهاء الحرب والتداعيات المرتقبة على الاقتصاد الإسرائيلي - تعليق الطيران في مطاري «بن غوريون» في اللد و«رامون» في أم الرشراش (إيلات) مما دفع بالشركات العالمية إلى إلغاء آلاف الرزم السياحية التي كانت مقررة للفنادق الإسرائيلية في مايو/ أيار الجاري. وتطرقّت إلى الخسائر في قطاع الطاقة الناجمة عن استهداف منشآت الطاقة جنوبي إسرائيل، وتعليق العمل في حقل «تمار» للغاز الطبيعي قبالة سواحل حيفا والذي تقدر احتياطياته من الغاز بنحو 300 مليار متر مكعب، بقرار من وزير الطاقة يوفال شتاينتز⁶³.

ثامناً: - قراءة حول المستقبل.

بحلول العام 2065 سيصل عدد اليهود بين النهر والبحر إلى 16 مليوناً والعرب إلى 13 مليوناً، ما يعني أن عدد السكان في هذه المنطقة سيصل إلى قرابة 30 مليوناً فإذا أضفنا كل منطقة الضفة الغربية وكل سكانها إلى إسرائيل، ستتقلص الأغلبية اليهودية إلى 60%، ما يجعل مصطلح «دولة يهودية ديمقراطية» فاقداً لمعناه عملياً، وإذا أضفنا سكان غزة، فإن الأغلبية اليهودية ستتقلص إلى 50% وسيصل مشروع الدولة اليهودية إلى نهايته⁶⁴.

في عام 2000 التقى نحو 300 من أهم الشخصيات الإسرائيلية الفكرية والدينية والعسكرية والسياسية في إجتماع شديد الأهمية وصف الإجتماع وفق ما ذكرت الصحافة الإسرائيلية وقتها أن هذا المؤتمر مهم لدرجة أن أي شخص لم يحضره فهو غير مهم. لقد إجتمعوا في مدينة هرتسليا لإجراء نقاش استراتيجي حول مستقبل إسرائيل. وأجمع الحاضرون على أن هناك خطراً وجودياً وحيداً على إسرائيل، وهو الخطر الديموغرافي، بعد أن أجروا حسابات حول النمو الطبيعي لكل من العرب واليهود وكذلك إمكانات الهجرة اليهودية التي أخذت تواجه صعوبات في السنوات الأخيرة.

تاسعاً: - مقترحات وتوصيات.

- ضرورة مأسسة مؤتمر «متحدون ضد التطبيع»
- كهيئة تمثيلية جامعة، لترسيخ مسار مقاومة التطبيع.
- الدعوة إلى إنشاء هيئة شعبية تنسيقية عربية لمقاومة التطبيع، وخلق التواصل بهيئة المقاومة العالمية لتكثيف

الأنشطة.

- السعي لتنظيم يوم عربي ودولي لمناهضة التطبيع يتضمن فعاليات شعبية وثقافية وإعلامية وفنية على مستوى

الأمة العربية والإسلامية والمغتربات.

- تعبئة الطاقات الشعبية: وهي مسؤولية جمعيات المجتمع المدني والأحزاب والنقابات، والاعتماد على المقاومة الشعبية للتطبيع في إفشال جميع الاتفاقيات، وضرورة تفعيلها في المساجد والكنائس والملاعب الرياضية والأسواق الأسبوعية...

- العمل على تفعيل مقاطعة منتجات الكيان الصهيوني ومستعمراته في الأقطار

- العربية المطبوعة، ومن قبل العرب والداعمين للقضية الفلسطينية في الدول الغربية.
- البحث من خلال مراكز الدراسات عن مناهج وطرق جديدة للمقاومة وتفعيل قواها ضد الهيمنة الغربية.
- تنشيط الاتحادات والنقابات المهنية والبرلمانية والمنظمات الشبابية والنسائية وعقد ملتقيات مناهضة ومتخصصة تتناول سبل مناهضة التطبيع في المجالات كافة.
- التحرك في واجهة العدالة وواجهة حقوق الإنسان بمساراتها المتعددة لملاحقة مجرمي الحرب الصهيونية المحكمة الجنائية الدولية، الجمعية العامة للأمم المتحدة...
- العمل على إصدار قانون تجريم التطبيع من داخل قبة البرلمان.
- دعوة الفضائيات إلى الاهتمام بأخبار أهلنا في فلسطين ونضالاتهم.
- تعزيز ثقافة المقاومة ونشر الفكر المقاوم عبر الاهتمام بأدب المقاومة وما أكثره.
- العمل على تعميم الرواية الفلسطينية الحقيقية في وجه الرواية الصهيونية، عبر السعي لإدخال مادة تعليمية حول فلسطين في مناهج التعليم المدرسية للمراحل كافة.
- دعوة المنظمات التربوية، الإقليمية والدولية، كالأونيسكو والألكسو والأسكوا، للتعاون مع نقابات المعلمين في فلسطين والوطن العربي، من أجل وضع برنامج لتوفير الدعم العلمي والتربوي للمدارس في الأراضي المحتلة، وبكل الوسائط المتاحة.
- التواصل مع كل الهيئات العربية والدولية للمقاطعة ومناهضة التطبيع ودعم فعاليتها، وعلى رأسها منظمة
- ⁶⁵ B.D.S التي حققت نجاحات مميّزة في عملها، ما جعل الحكومات المنحازة للكيان الصهيوني تتخذ إجراءات لملاحقة أعضائها والناشطين فيها في دول الغرب.

- خاتمة.

مع تقدم السنوات وتعاظم الهيمنة السياسية والعسكرية الإسرائيلية، المترافق مع الموقف الدولي الحاضن للدولة الوهمية، أنها ستزول حتماً، وأنها لن تبقى بسلام أمام شعبٍ، صامد تعززت في ثقافته روحية الثبات في الموقف، والنضال المستمر، والجهاد من أجل التحرير وترسيخ السيادة الكاملة. لقد أنتجت المقاومة مع تعاظمها المستدام الداخلية والخارجية السياسية والعسكرية، فمؤشرات الهجرة والعودة أصبحت ظاهرة، وتراجع القادمين للإستيطان، وفشل المحادثات والإتفاقيات، والمواقف الدولية التي تعزز أحقية الشعب الفلسطيني بأن يكون له دولة ترعى شؤونه معترف بها عربياً ودولياً.

إن تراجع النمو السكاني الإسرائيلي وإنخفاض معدلات ولادته مقارنةً مع الشعب الفلسطيني، وإزدياد أعداد المهاجرين الإسرائيلي، أمام رضوخ سياسي وطموح وهمي في الاعتراف بوجود دولتين، يؤكد زوال هذا الكيان، خاصة وأن الفلسطينيين بكافة فصائلهم مهما اختلفت إيديولوجياتهم فإن الجامع بينهم هو التحرير، وطرده آخر إسرائيلي من أرضهم. يعاني هذا الكيان المصطنع من إرهاب مالي، وإرهاب أمني، فهو يسخر نفسه دائماً من أجل ضمان إستقراره، وتأمين الخدمات التي تقيده حاضنه في المحافل الدولية من أجل تأمين الموقف والدعم. إلا أن هذا الموقف سيتبدل أمام تراجع القدرة في حماية المصالح، وخاصةً عندما تتبدل معايير الإهتمام، وتنتهي الفائدة من هذه البؤرة الأمنية التي تمثل لهم بوليص دولي ينحصر دوره في تأمين مصالح الغرب أولاً.

كيف يمكن لشعب أن يبقى في حالة من الرعب، واليأس والسباق في التسلح، وهو يحلم أن يكون له وطناً مستقراً. فهذه العوامل وغيرها ستكون السبب الحتمي في زوال كيانه.

- المراجع العربية:

- ¹ - مقال «على هذا المنوال... لن يتبقى لنا بلد» "يوفال ديسكين" الرئيس الأسبق لجهاز الشاباك، أحد الأجهزة الأمنية الثلاثة الإسرائيلية إلى جانب الموساد وأمان، صحيفة يدعوت أحرنوت 19 شباط 2021، ترجمة روسيا اليوم لجزء منه.
- ² - الحرديم هم متشددون يهود يعيشون عائلة على الجميع، حيث ينصرفون بشكل كامل للنشاط الديني، ولا يشاركون في النشاط الاقتصادي ويعتاشون من مساعدات حكومية، ومعروف عنهم نسبة التعليم المنخفضة جداً بينهم، ونسبة الولادات مرتفعة لديهم.
- ⁴ - د. خليل حسين، المفاوضات العربية - الإسرائيلية (وقائع ووثائق) من عام 1919 وحتى عام 1992، بيسان للنشر والتوزيع، طبعة أولى أذار 1993، بيروت - لبنان، ص: 317.
- ⁵ - دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية، في 4 أكتوبر 2018، "The Arab Population in Israel". نسخة محفوظة بتاريخ 2020\4\22 على موقع واي باك مشين.
- ⁶ - فلسطين تاريخها وقضيتها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، 1983، ص: 133.
- ⁷ - الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، بيروت 1990 ص: 288.
- ⁸ - الدكتور يوسف كامل إبراهيم. "التحول الديموغرافي القسري في فلسطين"، المركز الفلسطيني للإعلام، ص: 41.
- ⁹ - الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، السكان في الأراضي الفلسطينية 1997 - 2025 رام الله.
- ¹⁰ - نبيل الصالح، المجتمع والتركيبة السكاني، ص: 8.
- ¹¹ - تعداد الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، 2017.

- 12- من مقدمة كتاب دولة فلسطين الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت 2017، ملخص النتائج النهائية للتعداد نسخة محدثة، الجهاز المركزي لإحصاء الفلسطيني، 2017. التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت 8142 ملخص النتائج النهائية للتعداد. رام الله - فلسطين. تموز 2018.
- 13- المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم، 201، «اللاجئون والمهجرون الفلسطينيون: المسح الشامل، الإصدار الثامن، 2013-2015».
- 14- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، «الفلسطينيون نهاية عام 2016»، ديسمبر\2016.
- 15- عقب الغزو الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة عام 1967، شهدت فلسطين ثاني أكبر موجة من النزوح الجماعي لحوالي 400 ألف نسمة.
- 16- المركز الفلسطيني للإعلام
- 17- من أبرز الميثاق: ميثاق إحتلال أرض كنعان، وميثاق الخروج من مصر، وميثاق إختراع المنفى ميثاق العودة الى الوطن.
- 18- د. مهند عبد الحميد «إختراع شعب وتفكيك آخر.. عوامل القوة والمقاومة والضعف والخضوع»، وائل زكارنة، الميادين نت، 10 كانون الأول 2021. المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية مسارات، الطبعة الأولى.
- 19- "أبارتهايد" نظام تفوق يهودي من النهر الى البحر.
- 20- وايزمن حايبم، «مذكرات وايزمن» بقلمه، منشورات دار الفنون للطباعة والنشر والتوزيع طبعة أولى، ص: 23.
- 21- عربي بوست، إسرائيل في متاهة النهاية
- 22- سوزان نايشن، الوجه الآخر لإسرائيل، شهادة حق من امرأة يهودية، ترجمة إيمان شمس شقير، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، طبعة أولى، 2006، بيروت لبنان، ص: 80 - 81.
- 23- فداء أبو حيدر، «دولة إسرائيل شرعيتها...مسؤولية دول القرار وتفاقم النزاعات»، دار الركن، بيروت، طبعة أولى 2010، ص: 165.
- 24- د. احمد القطامين اسرئيل تتطور من دولة عدوانية .. الى دولة عدوانية حمقاء، 26\19\2009،
- 25- نبيل الصالح، «دليل إسرائيل العام 2020، المجتمع والتركيب السكاني»، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، تاريخ النشر الإلكتروني: 14\8\2020.
- 26- مصطفى الدسوقي، جوزيف براودي، القوانين العربية المناهضة للتطبيع: صورة إقليمية، 28 أغسطس 2020.
- 27- وثيقة صادرة عن المؤتمر العربي العام «متحدون ضد التطبيع» في 20 و 21 شباط 2021.
- 28- نضال محمد وتد، الاقتصاد الإسرائيلي يتجه للركود بعد تزايد العجز المالي وتراجع النمو، 19\أب\2019.

- 29- عدنان عدوان، التطبيع مع الكيان الصهيوني.. جريمة لا تغتفر!! السنة الخامسة عشر . العدد 172 . نيسان 2016 م، ص: 1.
- 30- إسلام اون لاين نسخة محفوظة 20 فبراير 2011 على موقع واي باك مشين.
- 32- مجلة الدراسات الفلسطينية
- 33- صحيفة القدس، 26/07/2003.
- 34- أحمد صلاح الدين محمود أبو عودة وآخرون، دور حركة المقاطعة الدولية (BDS) في خدمة القضية الفلسطينية عبر وسائل الإعلام الجديدة، جامعة الأقصى - غزة، 2020، ص: 23.
- 35- متحدون ضد التطبيع، ورشة عمل حول « تعزيز ثقافة المقاومة وتكريس أدواتها وتوفير إمكاناتها»، الإثنين 15 آذار 2021.
- 36- د. خليل حسين، المفاوضات العربية - الإسرائيلية (وقائع ووثائق) من عام 1919 وحتى عام 1992، بيسان للنشر والتوزيع، طبعة أولى آذار 1993، بيروت - لبنان، ص: 400.
- 37- BBC نيوز، تاريخ محادثات السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، 29 تموز\ 2013.
- 38- الدولة - الفلسطينية - بين - التسوية - الأميركي - و - الرفض - الإسرائيلي، والعجز - العربي.
- 39- حفيظ دراجي، وعبد الملك سلال، الكتاب والقضية الفلسطينية، 1999، ص: 243.
- 40- أ. د. أحمد سعيد نوفل وآخرون، ورشة الحراك السياسي في إسرائيل بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية والأمنية عمان 9 تموز 2005.
- 42- عدنان عدوان، التطبيع مع الكيان الصهيوني.. جريمة لا تغتفر!! السنة الخامسة عشر . العدد 172 . نيسان 2016 م ص: 1.
- 45- محسن صالح، أبرز الإخفاقات والنجاحات في تاريخ القضية الفلسطينية، الجزيرة نت، 16\5\2018.
- 46- جيش العدو الإسرائيلي، تقرير ملخص للأعمال العسكرية في عام 2021، روسيا اليوم 28 \ ديسمبر \ 2021.
- 47- إحسان مرتضى، الصناعة العسكرية في إسرائيل، باحث في الشؤون الإسرائيلية، العدد 372 - حزيران 2016 .
- 48- محمد وتد، 17/5/2021، شبكة الجزيرة الاعلامية 2021. الأرقام في تزايد.. الحرب على غزة تكلف إسرائيل خسائر اقتصادية هائلة تكلف العملية العسكرية والقتال للجيش الإسرائيلي بلغت خلال الأربعة أيام الأولى من الحرب على غزة 500 مليون دولار، إضافةً الى خسائر سوق المال والبورصة في تل أبيب.
- 49- الاحتلال الإسرائيلي يخشى استنزاف اقتصاده بفعل ضربات المقاومة، القدس المحتلة، العربي الجديد، 16 أيار 2021.
- 50- تقرير لوكالة الأنباء الفرنسية، "المرّة الأولى منذ حرب غزة في 2014 تتعرض إسرائيل لهذا التهديد والضرر الكبير"، 2015.

⁵¹— أسعد عبد الرحمن، إسرائيل والخطر الديموغرافي، صحافة عربية، الإتحاد - الإمارات، 19 آذار 2022.

⁵²— شرحيل الغريب، إسرائيل» تنزف.. الهجرة المعاكسة خطر وجودي، الميادين نت، 20 شباط 2022.

- المراجع الأجنبية:

1—PWA, 2012c. National Water Strategy for Palestine, Toward Building a Palestinian State from a Water Perspective, Draft Copy, 2012 Available at: [https://www.humanitarianresponse.info/system/files/documents/files/PWA%](https://www.humanitarianresponse.info/system/files/documents/files/PWA%20-%20National%20Water%20Strategy.pdf)

20-%20National%20Water%20Strategy.pdf, accessed 20 April 2015.

2-<https://arabicpost.shorthandstories.com/the-end-of-isreal/index.html>2-

CitationClass Since the publication of this document, Maldives has recognized Israel. On July 20,

3-[Http|www.palestin-studies.org](http://www.palestin-studies.org) 3 -

4-relations were re-established between Israel and Guinea. United States Congress 5 June 2008. 4-

5-<https://www.lebarmy.gov.lb> 5 -/

6-<https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2015/12/186->

7- West Bank 44.6% versus 22.8% in Lebanon. See Elias H.Tuma, Haim Darin-

Drabkin, The Economic case for Palestine, Croom Helm, London, 1978 p.48.

qatamin8@hotmail.com

<https://www.alaraby.co.uk>

Interview with Elias Sanbar. Claude Cheysson, 'The Right to Self-Determination, Vol.16, no.1 (Autumn 1986) pp.3-12 p.3

<https://www.palinfo.com>

- 1- العنصرية ضد الفلسطينيين.
- 2- مقال «على هذا المنوال... لن يتبقى لنا بلد» «يوفال ديسكين» الرئيس الأسبق لجهاز الشاباك، أحد الأجهزة الأمنية الثلاثة الإسرائيلية إلى جانب الموساد وأمان، صحيفة يدعوت أحرنوت 19 شباط 2021، ترجمة روسيا اليوم لجزء منه.
- 3- الحريديم هم متشددون يهود يعيشون عائلة على الجميع، حيث ينصرفون بشكل كامل للنشاط الديني، ولا يشاركون في النشاط الاقتصادي ويعتاشون من مساعدات حكومية، ومعروف عنهم نسبة التعليم المنخفضة جداً بينهم، ونسبة الولادات مرتفعة لديهم.
- 4- تعداد الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، 2022.
- 5- بديل/المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم، 201، «اللاجئون والمهجرون الفلسطينيون: المسح الشامل، الإصدار الثامن، -2013 2015».
- 6- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، «الفلسطينيون نهاية عام 2016»، ديسمبر\ 2016.
- 7- عقب الغزو الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة عام 1967، شهدت فلسطين ثاني أكبر موجة من النزوح الجماعي لحوالي 400 ألف نسمة.
- 8- المركز الفلسطيني للإعلام <https://www.palinfo.com>
- 3 PWA, 2012c. National Water Strategy for Palestine, Toward Building a Palestinian State from a Water Perspective, Draft Copy, 2012 Availableat: <https://www.humanitarianresponse.info/system/files/documents/files/PWA%20-%20National%20Water%20Strategy.pdf>, accessed 20 April 2015.
- 10- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني 2022، قاعدة بيانات المسح الفلسطيني العنقودي متعدد المؤشرات 2019 - 2020.
- 11- إعلان الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني بمناسبة اليوم العالمي للسكان، 7 تموز 2022.
- 12- د. خليل حسين، المفاوضات العربية - الإسرائيلية (وقائع ووثائق) من عام 1919 وحتى عام 1992، بيسان للنشر والتوزيع، طبعة أولى أذار 1993، بيروت - لبنان، ص: 317.
- 13- دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية، في 4 أكتوبر 2018، «The Arab Population in Israel». نسخة محفوظة بتاريخ 2020\4\22 على موقع واي باك مشين.
- 14- فلسطين تاريخها وقضيتها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، 1983، ص133.
- 15- الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، بيروت 1990 ص288.
- 16- الدكتور يوسف كامل إبراهيم. «التحول الديموغرافي القسري في فلسطين»، المركز الفلسطيني للإعلام، ص: 41.
- 17- نبيل الصالح، المجتمع والتركيب السكاني، ص: 8.

- 18- من أبرز الميثاق: ميثاق إحتلال أرض كنعان، وميثاق الخروج من مصر، وميثاق إختراع المنفى من ميثاق العودة الى الوطن.
- 19- د. مهند عبد الحميد «إختراع شعب وتفكيك آخر.. عوامل القوة والمقاومة والضعف والخضوع»، وائل زكارنة، الميادين نت، 10 كانون الأول 2021. المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية مسارات، الطبعة الأولى.
- 20- «أبارتهايد» نظام تفوق يهودي من النهر الى البحر، العنصرية ضد الفلسطينيين.
- 21- وايزمن حاييم، «مذكرات وايزمن» بقلمه، منشورات دار الفنون للطباعة والنشر والتوزيع طبعة أولى، ص: 23.
- 22- عربي بوست، إسرائيل في متاهة النهاية،
<https://arabicpost.shorthandstories.com/the-end-of-isreal/index.html>
- 23- سوزان نايتن، الوجه الآخر لإسرائيل، شهادة حق من امرأة يهودية، ترجمة إيمان شمس شقير، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، طبعة أولى، 2006، بيروت لبنان، ص: 80 - 81.
- 24- فداء أبو حيدر، «دولة إسرائيل شرعيتها...مسؤولية دول القرار وتفاقم النزاعات»، دار الركن، بيروت، طبعة أولى 2010، ص: 165.
- 25- د. احمد القطامين اسرائيل تتطور من دولة عدوانية .. الى دولة عدوانية حمقاء، 26\19\2009، qatamin8@hotmail.com
- 26- د. مهند عبد الحميد «إختراع شعب وتفكيك آخر.. عوامل القوة والمقاومة والضعف والخضوع»، وائل زكارنة، الميادين نت، 10 كانون الأول 2021. المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية مسارات الطبعة الأولى.
- 27- نبيل الصالح، «دليل إسرائيل العام 2020، المجتمع والتركيب السكاني»، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، تاريخ النشر الإلكتروني: 14\8\2020.
- 28- مصطفى الدسوقي، جوزيف براودي، القوانين العربية المناهضة للتطبيع: صورة إقليمية، 28 أغسطس 2020.
- 29- وثيقة صادرة عن المؤتمر العربي العام «متحدون ضد التطبيع» في 20 و21 شباط 2021
- 30 عربي بوست، إسرائيل في متاهة النهاية،
<https://arabicpost.shorthandstories.com/the-end-of-isreal/index.html>
- 31- عدنان عدوان، التطبيع مع الكيان الصهيوني.. جريمة لا تغتفر!! السنة الخامسة عشر - العدد 172 . نيسان 2016 م، ص: 1.
- 32- أحمد صلاح الدين محمود أبو عودة وآخرون، دور حركة المقاطعة الدولية (BDS) في خدمة القضية الفلسطينية عبر وسائل الإعلام الجديدة، جامعة الأقصى - غزة، 2020، ص: 21.
- 33- إسلام اون لاين نسخة محفوظة 20 فبراير 2011 على موقع واي باك مشين.
- 34- West Bank 44.6% versus 22.8% in Lebanon. See Elias H.Tuma, Haim Darin-

Drabkin, The Economic case for Palestine, Croom Helm, London, 1978 p.48.

35 – مجلة الدراسات الفلسطينية

Interview with Elias Sanbar. Claude Cheysson, 'The Right to Self- Determination, Vol.16, no.1 (Autumn 1986) pp.3-12 p.3

36 – صحيفة القدس، 26/07/2003.

37 – أحمد صلاح الدين محمود أبو عودة وآخرون، دور حركة المقاطعة الدولية (BDS) في خدمة القضية الفلسطينية عبر وسائل الإعلام الجديدة، جامعة الأقصى – غزة، 2020، ص: 23.

38 – أحمد صلاح الدين محمود أبو عودة وآخرون، دور حركة المقاطعة الدولية (BDS) في خدمة القضية الفلسطينية عبر وسائل الإعلام الجديدة، جامعة الأقصى – غزة، 2020، ص: 23.

39 – متّحدون ضد التطبيع، ورشة عمل حول « تعزيز ثقافة المقاومة وتكريس أدواتها وتوفير إمكاناتها»، الإثنين 15 آذار 2021.

40 – د. خليل حسين، المفاوضات العربية – الإسرائيلية (وقائع ووثائق) من عام 1919 وحتى عام 1992، بيسان للنشر والتوزيع، طبعة أولى آذار 1993، بيروت – لبنان، ص: 400.

41 – BBC نيوز، تاريخ محادثات السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، 29 تموز\ 2013.

42 – أ. د. أحمد سعيد نوفل وآخرون، ورشة الحراك السياسي في إسرائيل بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية والأمنية عمان 9 تموز 2005.

43 – د. خليل حسين، المفاوضات العربية – الإسرائيلية (وقائع ووثائق) من عام 1919 وحتى عام 1992، بيسان للنشر والتوزيع، طبعة أولى آذار 1993، بيروت – لبنان، ص: 402.

44 – الدولة – الفلسطينية – بين – التسوية – الأميركي – و – الرفض – الإسرائيلي، والعجز – العربي. <https://www.lebarmy.gov.lb/>

45 – حفيظ دراجي، وعبد الملك سلال، الكتاب والقضية الفلسطينية، 1999، ص: 243.

46 – تقرير لوكالة الأنباء الفرنسية، «المرّة الأولى منذ حرب غزة في 2014 تتعرض إسرائيل لهذا التهديد والضرر الكبير»، 2015.

47 – تقرير العربي الجديد، الاحتلال الإسرائيلي يخشى استنزاف اقتصاده بفعل ضربات المقاومة، القدس المحتلة، 16 أيار 2021.

48 – الاحتلال الإسرائيلي يخشى استنزاف اقتصاده بفعل ضربات المقاومة، القدس المحتلة، العربي الجديد، 16 أيار 2021.

49 – جيش العدو الإسرائيلي، تقرير ملخص للأعمال العسكرية في عام 2021، روسيا اليوم 28 \ ديسمبر \ 2021.

50 – نضال محمد وتد، الاقتصاد الإسرائيلي يتجه للركود بعد تزايد العجز المالي وتراجع النمو، 19\ أب\ 2019. <https://www.alaraby.co.uk/>

51 – الأرقام في تزايد.. الحرب على غزة تكلف إسرائيل خسائر اقتصادية هائلة تكلف العملية

العسكرية والقتال للجيش الإسرائيلي بلغت خلال الأربعة أيام الأولى من الحرب على غزة 500 مليون دولار. خسائر سوق المال والبورصة في تل أبيب قدرت بحوالي 28% محمد وتد، 17/5/2021. شبكة الجزيرة الاعلامية 2021.

52- إحسان مرتضى، الصناعة العسكرية في إسرائيل، باحث في الشؤون الإسرائيلية، العدد 372 - حزيران 2016 .

53- عربي بوست، إسرائيل في متاهة النهاية،

<https://arabicpost.shorthandstories.com/the-end-of-isreal/index.html>

54- Htt|www.palestin-studies.org

55- دولي، أعداد المهاجرين غير اليهود تفجر جدلا متصاعدا في إسرائيل، 28\12\2019.

56- شرحبيل الغريب، إسرائيل» تنزف.. الهجرة المعاكسة خطر وجودي»، الميادين نت، 20 شباط 2022.

57- المعطيات الخاصة بالهجرة اليهودية المعاكسة، التي نشرتها دائرة الإحصاء المركزية في إسرائيل، منتصف عام 2017.

58- عربي بوست، إسرائيل في متاهة النهاية،

<https://arabicpost.shorthandstories.com/the-end-of-isreal/index.html>

59- CitationClass، «Since the publication of this document, Maldives has recognized Israel. On July 20 relations were re-established between Israel and Guinea. United States Congress 5 June 2008

60- عدنان عدوان، التطبيع مع الكيان الصهيوني.. جريمة لا تغتفر!! السنة الخامسة عشر - العدد 172 . نيسان 2016 م ص: 1.

61- <https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2015/12/18>

62- محسن صالح، أبرز الإخفاقات والنجاحات في تاريخ القضية الفلسطينية، الجزيرة نت، 16\5\2018.

63- محمد وتد، 17/5/2021، شبكة الجزيرة الاعلامية 2021. الأرقام في تزايد.. الحرب على غزة تكلف إسرائيل خسائر اقتصادية هائلة

تكلفة العملية العسكرية والقتال للجيش الإسرائيلي بلغت خلال الأربعة أيام الأولى من الحرب على غزة 500 مليون دولار، إضافةً الى خسائر سوق المال والبورصة في تل أبيب.

64- أسعد عبد الرحمن، إسرائيل والخطر الديموغرافي، صحافة عربية، الإتحاد - الإمارات، 19 آذار 2022.

65- منظمة B D S : حركة مقاطعة إسرائيل. تهدف الى سحب الإستثمارات وفرض العقوبات على إسرائيل، هي حركة فلسطينية المنشأ عالمية الإمتداد.

انتخابات عكار قراءة سوسولوجية

علا عيد

مقدمة:

منذ اغتيال الشهيد «رفيق الحريري» عام 2005، أصبح تيار المستقبل الطرف السياسي الأقوى والأوحد تقريباً في المشهد السياسي العام. وفي انتخابات عام 2018، هيمن المستقبل مع حلفائه من أحزاب السلطة على مقاعد عكار النيابية، فيما غابت منافسة حقيقية له، وغاب مشروع واضح لمعارضيه. غير أنّ المنطقة لم تتل من نوابها أيّ جهد إنمائيّ أو خدماتيّ يُذكر. فبقيت عكار الغنية بمواردها الطبيعية وإمكاناتها البشرية تعاني من التهميش والحرمان والإهمال الرسمي وضعف التنمية، وطغيان الطابع العائلي العشائري المسيطر منذ عقود. هذا ما جعلها تتأثر بحراك تشرين 2019، فنزل شعبها بالآلاف للمشاركة في ساحتي العبدية وحلبا، ولكن سرعان ما انتشرت الخلافات والانقسامات والفوضوية والأطماع الشخصية في صفوفهم وهذا ما أدى إلى غياب التنظيم ونشوء ثلاث لوائح انتخابية باسم الحراك وضُمّ بعضها أسماء لمرشحين لم يشاركوا في الحراك ولكن تم وضعهم لاعتبارات سياسية داخلية أو خارجية، بالإضافة إلى لجوء بعض ناشطي وقادة الحراك للترشح في لوائح السلطة عندما فقدوا الراعي المادي والسياسي الذي يستطيع تغطية لوائهم. فهذه الدراسة متابعة موضوع تأثير الناشطين في الحراك الذين ركبوا موجة التغيير في عكار من خلال دراسة النتائج العملية للوائح التي تشكلت باسم الحراك في انتخابات 2022 في عكار، ومن خلال بعض المقابلات التي أجريناها مع صحفيين

طالبة جامعة

روح القدس -

الكسليك

قسم العلوم

الاجتماعية

والانسانية

إشراف: أ. د.

يوسف كفروني

ومهتمين لموضوع الحراك.

مما تقدم نطرح السؤال التالي:

— هل استطاعت عكار تغيير نمطها وخروجها من العصبية الطائفية والعائلية والعشائرية في انتخابات 2022؟ وهل استطاعت لوائح التغيير الحصول على مقعد نيابي في البرلمان؟

أولاً: لوائح التغيير بالمقارنة مع اللوائح الأخرى (الدائرة الأولى: عكار)
نالت لائحة «الاعتدال الوطني» 41848 صوتاً (28.4%)، ولائحة «عكار أولاً» وهي

اسم اللائحة	مجموع أصوات اللائحة	النسبة المئوية	النائب الذي حصل على أعلى نسبة من الأصوات التفضيلية
1- الاعتدال الوطني	41848	28.4%	محمد مصطفى سليمان: 11340
2- عكار أولاً	41761	28.3%	محمد يحيه <u>يحيه</u> : 15142
3- عكار	19334	13.1%	وسام رياض منصور: 8264
4- عكار التغيير	14145	9.6%	محمد كامل بدره: 9302
5- الوفاء لعكار	13619	9.2%	علي محمد طلبس: 6645
6- النهوض لعكار	11885	8%	محمود خضر <u>جداره</u> : 5017
7- نحو المواطنة	3154	2.1%	ميشال جرجس طعوم: 834
8- عكار تنتفض	1371	0.9%	خالد حسن ضاهر: 1038
المجموع	147117	100%	

لائحة «التيار الوطني الحر» 41761 صوتاً (28.3%)، وحصلت لائحة «عكار» وهي لائحة «القوات اللبنانية» على 19334 صوتاً (13.1%)، وحصلت لائحة «الوفاء لعكار» التابعة «لأحمد الحريري» على 13619 صوتاً (9.2%)، وحصلت لائحة «النهوض لعكار» التي قامت من خلال التحالف بين «الجامعة المرعبية» و«بهاء الحريري» على 11885 صوتاً (8%). (موقع الانتخابات اللبنانية)

أما بالنسبة للوائح التي تشكلت بإسم الحراك فهي ثلاثة، وتشكلت كالتالي:

— لائحة «عكار التغيير» تابعة للمجتمع المدني، كانت منافسة للوائح السلطة حيث إنَّها احتلت المرتبة الأولى في لوائح التغيير وحصلت على 14145 صوتاً (9.6%) من الأصوات وجاءت في المرتبة الرابعة بالنسبة لباقي اللوائح في عكار.

— لائحة «نحو المواطنة» رئيسها «غيث حمود» التابع للحزب الشيوعي الذي تحالف مع

«مواطنون ومواطنات في دولة»، احتلت المرتبة الثانية في لوائح الحراك إذ حصلت على 3154 صوتاً (2.1%) واحتلت المرتبة السابعة بالنسبة لباقي اللوائح.

– لائحة « عكار تنتفض» رئيسها «محمد المسلماني» انسحب من اللائحة قبل 48 ساعة من الانتخابات لصالح «محمد بدره» احتلت هذه اللائحة المرتبة الأخيرة بالنسبة لجميع اللوائح حيث حصلت على 1371 صوتاً (0.9%). (شتيوي م، 2022)

المرشحون المشاركون في حراك عكار، وهم من الفاعلين فيه، ولكنهم ترشحوا في لوائح غير تابعه للحراك كونهم لم يجدوا مكاناً في لوائح الحراك:

– ايلي أسعد سعد (مرشح عن مقعد الروم الأرثوذكس) في لائحة «الوفاء لعكار» التي يترأسها «علي طليس» والمدعومة من «أحمد الحريري».

– حاتم خضر سعد الدين (مرشح عن المقعد السنّي من بينين) في لائحة «عكار أولاً» التابعة للتيار الوطني الحر. كان ناشطاً في ساحات الحراك مع معاونه «أحمد البستاني» من بينين، وكانا منسقين بين الحراك في العبدية والحراك في بينين.

– وسام منصور (مرشح عن مقعد الروم الأرثوذكس) في لائحة «عكار» التي يترأسها «طلال بك المرعبي» بدعم من حزب «القوات اللبنانية». (شتيوي م، 2022)

هذا ما يفسّر بأنّ اللوائح التي تشكلت بإسم الحراك كانت تسعى لتأمين الداعمين الماليين أو أن تحظى بغطاء مادي يمكنها من الولوج إلى المجلس النيابي إلا أنّهم فُوجئوا بعزوف أو هروب الممولين ومنصات التمويل لهذه اللوائح في عكار.

ثانياً: عرض نتائج المرشحين التغييريين

أ – النسبة المئوية للمرشحين في لائحة التغيير (عكار)

1- إدغار جوزة طنوس ضاهر		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
894	تلة وشطاحة	0.94
41	مغتربون	0.04
12	تجميع من 6 أصوات إلى صوت	0.01
947	المجموع	1,00

من خلال هذا الجدول ، نرى أن المرشح « إدغار الضاهر» عن المقعد الماروني، حصل على 894 صوتاً من أصل 947 صوتاً (94%) من «تلة وشطاحة» أعطوا صوتهم التفضيلي له وهي بلدة المرشح و4% من المغتربين و1% تم تجميعها من بلدات عدّة.

2- بري عسكر الأسعد		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
356	وادي خالد	0.32
120	مغتربون	0.11
53	مشتى حسن	0.05
50	كوشا	0.05
37	حلبا	0.03
34	المقيلة	0.03
34	قنية	0.03
29	العمائر	0.03
29	الهيشة	0.03
28	مشتى حمود	0.03
21	ببنين	0.02
19	فنيديق	0.02
16	المحمرة	0.01
15	رجم عيسى	0.01
13	دير جنين	0.01
13	عكار العتيقة	0.01
13	مشمش	0.01
11	مشحا	0.01
220	تجميع من أصوات الى صوت	0.20
1111	المجموع	١,٠٠

من خلال هذا الجدول ، نرى أن المرشح «بّري الأسعد» عن المقعد السنّي، حصل على 356 صوتاً من أصل 1111 صوتاً (32%) من «وادي خالد» أعطوا صوتهم التفضيلي له وهي بلدة المرشح و11% من المغتربين أما باقي الأصوات فتّم جمعها من البلدات والقرى القريبة من «وادي خالد» مثل «مشتى - حسن»، «كوشا»... ومن البلدات البعيدة مثل «ببنين»، «فنيديق» و«مشمش»...

وجميع هذه البلدات والقرى التي حصل منها المرشح على أصوات تفضيلية تابعة للطائفة السنية.

3- جنان أحمد حمدان		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
87	عين الزيت	0.24
30	بلاد الاغتراب	0.08
16	حلبا	0.04
11	عكار العتيقة	0.03
10	الكواشرة	0.03
9	البرج	0.02
8	برقايل	0.02
8	رحبه	0.02
8	منيارة	0.02
174	تجميع من ٥ أصوات الى صوت	0.48
361	المجموع	1.00

من خلال هذا الجدول ، نرى أن المرشحة « جنان حمدان » عن المقعد العلوي في عكار قد حصلت على 87 صوتاً من أصل 361 صوتاً (24%) من «عين الزيت» أعطوا صوتهم التفضيلي لها وهي بلدة المرشحة، و 8% من المغتربين أما باقي الأصوات فكانت من البلدات القريبة من بلدتها مثل «حلبا»، «عكار العتيقة»، «الكواشرة»...

4- خالد محمد علوش		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
1119	عين الذهب	0.78
48	برقايل	0.03
30	شان	0.02
27	مغتريون	0.02
19	الحويش	0.01
17	حلبا	0.01
16	عكار العتيقه	0.01
12	مشحا	0.01
147	تجميع من ٥ أصوات إلى صوت + موظفون	0.10
1435	المجموع	1.00

من خلال هذا الجدول ، نرى أن المرشح « خالد علوش » عن المقعد السنّي - عكار قد حصل على 1119 صوتاً من أصل 1435 صوتاً (78%) من «عين الذهب» أعطوا صوتهم التفضيلي له وهي بلدة المرشح، و2% من المغتربيين أما باقي الأصوات فتم جمعها من البلدات والقرى القريبة من بلدته مثل «برقايل»، و«شان» و«الحويش»...

5- لوريس أديب الراعي		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
84	مغتريون	0.22
48	رماح	0.12
38	شدره	0.10
19	رحبه	0.05

14	القببات	0.04
13	النهرية وبستان الحرش	0.03
12	بيت ملات	0.03
12	جبرائيل	0.03
150	تجميع من ٥ أصوات إلى صوت	0.38
390	المجموع	1.00

من خلال هذا الجدول، نرى أن المرشحة «لوريس الراعي» عن المقعد الروم - الأرثوذكسي في عكار، قد حصلت على 84 صوتاً (22%) من المغتربين، و48 صوتاً (12%) من «رماح» أعطوا صوتهم التفضيلي لها وهي بلدة المرشحة، و 10% من «شدر» البلدة المتاخمة لبلدتها ومن ذات أكثرية من الروم الأرثوذكس، أما باقي الأصوات فتم جمعها من البلدات والقرى القريبة من بلدتها مثل «حلبا»، «عكار العتيقة»، «الكواشرة»....

6- محمد كامل بدره		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
3959	مشمش	0.43
463	عكار العتيقة	0.05
458	حرار	0.05
327	مغتربون	0.04
323	ببنين	0.03
286	برقايل	0.03
250	فنيديق	0.03
190	مشحا	0.02
184	حلبا	0.02
169	بيت يونس	0.02

167	المحمة	0.02
166	بيت ايوب	0.02
144	وادي الجاموس	0.02
123	قبعيت	0.01
116	تكريت	0.01
113	شان	0.01
98	القرنة	0.01
97	جديدة القيطع	0.01
85	خريبة الجندي	0.01
83	البرج	0.01
82	البيره	0.01
72	عيدمون	0.01
66	الحويش	0.01
53	حيزوق	0.01
1228	تجميع من ٥٠ صوت إلى صوت + موظفون	0.13
9302	المجموع	1.00

من خلال هذا الجدول ، نرى أن المرشح «محمد بدره» عن المقعد السني، حصل على 3959 صوتاً (43%) من «مشمش» أعطوا صوتهم التفضيلي له وهي بلدة المرشح، و4% من المغتربين أما باقي الأصوات فتم جمعها من البلدات والقرى القريبة من بلدته مثل «حرار»، «عكار العتيقه»، «القرنة»، و «بيت أيوب» و«فنيديق»... والأصوات المتفرقة تمّ جمعها من مناطق سنيّة متفرقة في عكار مثل «القرقف»، «ذوق الحصنية»، «السويسة»، «ايلات»، «شان»، «تكريت»، «قبعيت»... وجميع البلدات التي أعطت أصواتها له هي من البلدات السنيّة.

هو مغترب يعيش في «الامارات»، لم يشارك في الحراك بل كان يكتفي بإعطاء البيانات الفيسبوكية. كان المرشح من أكبر المفاجآت في الانتخابات حصل على عدد كبير من

الأصوات وكان من أكبر المنافسين للشخصيات السياسية السنيّة التي يُعتبر لها تاريخ عريق في عكار. استطاع حشد هذه الأصوات من عصب بلده «مشمش» حيث أدى استنفار مغتربي البلدة في «استراليا» لتمويل معركته الانتخابية وشدوا عصبياتهم «لابن مشمش»، لم يهمهم أنه جاء في طفرته وثورته فقط بعض الكلمات النقدية على «الفيش بوك» والتي ليس لها أي هدف تكتيكي ايجابي أو أي طرح أو برنامج انتخابي معين، هكذا أمّن المرشح لنفسه مالا انتخابيا وعصباً مناطقيًا، تُرجم في الصناديق. (بركات م، 2023)¹

7- وفاء كميل جميل		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
95	مغتربون	0.54
81	تجميع من ٥ أصوات الى صوت واحد	0.46
176	المجموع	1.00

من خلال هذا الجدول ، نرى أن المرشحة «وفاء جميل» عن مقعد الروم الأرثوذكس، قد حصلت على 95 صوتاً (54%) من المغتربين أما باقي الأصوات فتم جمعها من البلدات والقرى العكارية. لم تتل أصواتاً من بلدها منيارة، ولم تكن مشاركة في الحراك، بعض أعضاء اللائحة قالوا إنّها انسحبت من الانتخابات قبل 5 أيام.

ب- النسبة المئوية للمرشحين في لائحة عكار تنتفض:

1- خالد حسن ضاهر		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
353	كفرتون	0.34
187	اكروم	0.18
112	السهلة	0.11
98	المونسة	0.09
86	قنية	0.08

١ محمد بركات: رئيس بلدية مشمش، ناقد للحراك

67	مراح الخوخ	0.06
32	مغتربون	0.03
11	البساتين	0.01
92	تجميع من ٥ أصوات إلى صوت + موظفون	0.09
1038	المجموع	1.00

من خلال هذا الجدول ، نرى أن المرشح عن المقعد السنّي « خالد ضاهر» قد حصل على جميع أصواته من «جبل أكروم» بلدته التي تُقسّم جغرافيًا إلى 7 بلدات هي: أكروم، كفرتون، قنية، مراح الخوخ، البساتين، السهلة، مونسة. وقد حصل على أكبر نسبة من كفرتون 34% تليها أكروم 18% ثم السهلة 11% والمونسة 8% وقنية 8% ومراح الخوخ 6% والبساتين 1%.

2- ران سيمون صوان		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
22	منجز	0.31
15	مغتربون	0.21
35	تجميع صوت واحد	0.49
72	المجموع	1.00

من خلال هذا الجدول ، نرى أن المرشحة «ران صوان» عن المقعد الماروني، حصلت على 22 صوتاً (54%) من «منجز بلدة المرشحة»، و21% من المغتربين أما باقي الأصوات (49%) فتم جمعها من البلدات والقرى العكارية بنسبة صوت واحد لكل بلدة. هي من قادة الحراك، وناشطة سياسية بامتياز، وشاركت كذلك في ساحات بيروت. (شتيوي م، 2022)

3- عبد الرزاق محمود الكيلاني		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
16	مغتربون	0.25
15	بيت الحاج	0.23
33	تجميع من ٤ أصوات إلى صوت واحد	0.52
64	المجموع	1.00

من خلال هذا الجدول ، نرى أن المرشح «عبد الرزاق الكيلاني» عن المقعد السنّي، حصل على 15 صوتاً (23%) من «بيت الحاج» بلدة المرشح، و25% من المغتربين و52% جمعها من قرى عدّة.

4- محمد خالد المسلماني		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
25	مغتربون	0.26
5	برقايل	0.05
5	وادي الجاموس	0.05
4	تل معيان	0.04
4	قبعيت	0.04
54	تجميع من ٣ أصوات إلى صوت	0.56
97	المجموع	1.00

نرى أن المرشح «محمد المسلماني» عن المقعد السنّي، حصل على 25 صوتاً (26%) من المغتربين، وباقي أصواته من بلدات مجاورة لبلدته «البيرة» التي لم تُعطه أي صوت.

5- نزار هاشم ابراهيم		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
1	بزيننا	0.07
2	فنيديق	0.13
1	وادي خالد	0.07
1	المقبيله	0.07
1	حكر الضاهري	0.07
1	عكار العتيقة	0.07
1	مشتي حمود	0.07
1	وادي الجاموس	0.07
1	حلبا	0.07
1	العيون	0.07
1	بقرزلا	0.07
1	بيت أيوب	0.07
1	حنيدر	0.07
1	رجم عيسى	0.07
15	المجموع	1.00

نرى أن المرشح «نزار ابراهيم» عن المقعد العلوي، حصل على صوت واحد من كل بلدة هذا يعني أنه لا مركز ولا قاعدة حتى لو كانت قليلة خاصة له، حتى إنَّ بلدته «الحيصة» لم تعطه أي صوت. لم يشارك في الحراك وتم وضعه في اللائحة فقط لإتمام العدد القانوني لأعضاء اللائحة، ما لبث أن انسحب من السباق الانتخابي قبل موعد الانتخابات النيابية. (شتيوي م، 2022)

ج- النسبة المئوية للمرشحين في لائحة نحو المواطنة (عكار):

1- أحمد مصطفى مصطفى		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
368	عكار العتيقة	0.75
28	مغتربون	0.06
10	رحبه	0.02
8	حلبا	0.02
75	تجميع من ٥ أصوات إلى صوت + موظفين	0.15
489	المجموع	1.00

من خلال هذا الجدول ، نرى أن المرشح «أحمد مصطفى» عن المقعد السنّي، حصل على 368 صوتاً من أصل 489 (75%) من «عكار العتيقة» بلدة المرشح، و6% من المغتربين، وباقي أصواته تم تجميعها من البلديات الأخرى مثل «رحبة»، «حلبا»... يعني البلديات القريبة من بلدته. المرشح تابع للحزب الشيوعي.

2- رالف جورج ضاهر		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
223	مغتربون	0.29
120	القيبات	0.16
67	عندقت	0.09
45	شدره	0.06
35	حلبا	0.05
29	منياره	0.04
18	بيت ملات	0.02

16	تل عباس	0.02
15	الشيخ طابا	0.02
14	المقبيله	0.02
192	تجميع من ٥ أصوات إلى صوت	0.25
774	المجموع	1.00

من خلال هذا الجدول ، نرى أن المرشح «رالف ضاهر» عن المقعد الماروني، حصل على 223 صوتاً من أصل 774 (29%) من المغتربين و 120 صوتاً (16%) من «القيبات» بلدة المرشح، و9% من عندقت، و6% من شجرة وياقي أصواته تم تجميعها من البلدات الأخرى مثل «حلبا»، «منيارة»، «بيت ملات»، «تل عباس»، «الشيخ طابا»... يعني البلدات القريبة من بلده أو التي لديها أصوات مارونية. المرشح تابع لحركة «مواطنون ومواطنات في دولة».

3- رولى محمد المراد		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
131	مغتربون	0.26
49	العيون	0.10
32	عمار البيكات	0.06
26	رحبه	0.05
17	الحويش	0.03
17	عكار العتيقة	0.03
13	السويسة	0.03
10	ببنين	0.02
10	حلبا	0.02
10	فنديق	0.02

181	تجميع من ٥ أصوات إلى صوت	0.36
496	المجموع	1.00

من خلال هذا الجدول ، نرى أن المرشحة «رولى المراد» عن المقعد السنّي، حصلت على 131 صوتاً من أصل 496 (26%) من المغتربين و 49 صوتاً (16%) من «العيون» بلديتها، و6% من «عمار البيكات»، و5% من «رحبة» وباقي أصواتها تم تجميعها من البلدات الأخرى مثل «حلبا»، «الحويش»، «السويسة»، «عكار العتيقة»... يعني البلدات القريبة من بلديتها.

كانت من الأوجه الفاعلة وأحدى الناشطات في حراك عكار. (شتيوي م.، 2022)

4- غيث خالد حمود		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
131	حلبا	0.36
48	مغتربون	0.13
23	عكار العتيقة	0.06
22	تكريت	0.06
12	برقايل	0.03
10	الشيخ طابا	0.03
10	مشحا	0.03
105	تجميع من ٥ أصوات إلى صوت	0.29
361	المجموع	1.00

من خلال هذا الجدول ، نرى أن المرشح «غيث حمود» عن المقعد السنّي والذي أطلق عليه رمز «ثورة عكار» لم يحصل سوى على 361 صوتاً، 131 صوتاً منهم (36%) من «حلبا» بلدة المرشح، و13% من المغتربين، وباقي أصواته تم تجميعها من البلدات الأخرى مثل «عكار العتيقة»، «تكريت»، «مشحا»، «الشيخ طابا»... يعني البلدات القريبة من بلده مارونية. المرشح تابع للحزب «الشيوعي»، مؤسس خيمة اعتصام حلبا.

5- ميشال جرجس طعوم		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
157	الشيخ محمد	0.19
88	حلبا	0.11
72	رحبه	0.09
62	مغتربون	0.07
50	الشيخ طابا	0.06
46	تل عباس	0.06
33	منايرة	0.04
27	بينو	0.03
25	حكر الشيخ طابا	0.03
20	المسعودية	0.02
15	القنطرة	0.02
15	برقايل	0.02
14	جبرايل	0.02
12	عكار العتيقة	0.01
10	دوير عدويه	0.01
188	تجميع من ٥ أصوات إلى صوت	0.23
834	المجموع	1.00

من خلال هذا الجدول ، نرى أن المرشح «ميشال طعوم» عن مقعد الروم الأرثوذكس، حصل على 157 صوتاً (19%) من «الشيخ محمد» بلدة المرشح، و11% من «حلبا»، و9% من «رحبه»، و7% من المغتربيين، وباقي أصواته تم تجميعها من بلدات عدّة مثل «بينو»، «منايرة»، «جبرائيل»، «تل عباس»... المرشح تابع للحزب «الشيوعي».

6- نزيه عفيف ابراهيم		
العدد	قلم - الاقتراع	النسبة - المئوية
39	مغتربون	0.43
11	منياره	0.12
10	النهرية وبستان الحرش	0.11
31	تجميع من ٥ أصوات إلى صوت	0.34
91	المجموع	1.00

من خلال هذا الجدول ، نرى أن المرشح «نزيه ابراهيم» عن مقعد الروم الأرثوذكس، حصل على 39% من المغتربين و11 صوتاً (12%) من «منيارة» بلدة المرشح، و11% من النهرية وبستان الحرش، وباقي أصواته تم تجميعها بشكل متفرق من البلدات الأخرى، المرشح تابع لحركة «مواطنون ومواطنات في دولة».

خلاصة

أظهرت نتائج الانتخابات في عكار أن الأفراد الذين ناصرنا مرشحي لوائح التغيير هم أقلية، حتى الذين تم انتخابهم بإسم التغيير عملياً انُخبوا على أساس العصبية التي أوصلتهم، فإذا العصبية العائلية، العشائرية، الطائفية ما زالت متغلغلة في المجتمع العكاري، والصوت التفضيلي زاد من النزعة الطائفية والعصبية.

لائحة المراجع

أ- مقابلات:

1- محمد بركات. (2 كانون الثاني، 2023). مقابلة رقم 15. (علا عيد، المحاور)

2- محمود شتيوي. (27 تموز، 2022). مقابلة رقم 1. (علا عيد، المحاور)

ب- مواقع الكترونية:

3- موقع الانتخابات اللبنانية، نتائج الانتخابات النيابية لعام 2022 نقلًا عن الموقع الإلكتروني: elections.gov.lb

A travers le prisme du jeu : comprendre l'analyse des enfants en cure.

Bella Aoun

Docteure en Psychologie
Clinique et Pathologique
Cheffe de département
de Psychologie-
Université Libanaise-
Section II
Assistante Professeure
Aounbella@gmail.com

Résumé

Le jeu dans la cure analytique d'un enfant lui facilite le déclenchement des scénarios fantasmatiques voire lui permet de reproduire un spectacle de son monde imaginaire, comblé de son passé douloureux et de son futur créatif.

L'enfant, dans ce cadre analytique, devient le parlêtre de ses interprétations. La cure l'aide à s'intégrer dans une chaîne signifiante dans laquelle ses conflits internes émergent et seront localisés par une interprétation relatée afin de libérer son désir de celui du Autre.

ملخص

إن اللعب للطفل ، في المعالجة التحليلية ، يسهل إثارة سيناريوهات الخيال بل ويسمح له بإعادة إنتاج مشهد ، ومن عالمه الخيالي المليء بماضيه الأليم ومستقبله الإبداعي. ويصبح الطفل، في هذا الإطار التحليلي، هو المتحدث عن تفسيراته. يساعده العلاج على الاندماج في سلسلة ذات معنى ، تظهر فيها صراعاته الداخلية، ويتم حصرها بتفسير مرتبط بها لتحرير رغبته من رغبة الآخر الكبير.

Mots-Clés : jeu, fantasme, imaginaire, cure, interprétation, réalité, représentation symbolique

مفاتيح الكلمات : اللعب ، هوام ، صوري - الصورية ، العلاج ، تفسير ، الواقع ، التمثيل الرمزي.

Les analystes, dont Klein, Winnicott, et d'autres, se basent sur le jeu de l'enfant comme matériel d'interprétation qui leur permet d'avoir accès aux représentations de l'enfant. Le jeu semble être la voie royale, comme disait Freud sur le rêve, qui mène à l'inconscient.

Dans ce qui suit, nous partons de l'hypothèse que le jeu permet à l'enfant d'explorer ses fantasmes de manière symbolique, et ses représentations (*Vorstellung*) offrant ainsi un moyen d'expression et de compréhension de ses désirs inconscients. Nous procéderons à travers une lecture des textes fondamentaux de la psychanalyse et l'application à des jeux d'enfants dans ma clinique.

La cure de l'enfant est constituée par son espace ludique tel que crée à travers le jeu qui l'occupe. Il met en processus son monde imaginaire afin de délibérer ses conflits internes. La technique du jeu en milieu analytique est le chemin des fantasmes de l'enfant, ce qui caractérise des scénarios gérés de façon personnelle. En outre, le jeu prend en considération des modèles d'expression pulsionnelle qui se manifestent à travers le corps et l'acte. C'est un matériel expressif qui se repère dans un registre préverbal du fait d'une psychopathologie affectant l'accès au jeu symbolique.

Le jeu a pris l'essor au XX^{ème} siècle, en sociologie, en mathématiques, en philosophie, en psychologie, et dès le début du siècle en psychanalyse. Kant déclare que le jeu surgit par l'imagination libre et spontanée, sans concept. Il compare le jeu à la démocratie, avec ses conséquences de désordres et de débordements¹. De même que J. Derrida considère le jeu comme une méthode de la cure analytique.

Le jeu, en effet, prend une place fondamentale dans les cures analytiques actuelles avec l'enfant. Il représente un spectacle du monde imaginaire et fantasmatique autant qu'un mode de communication. Un lieu d'échanges entre l'enfant et le thérapeute à travers un moyen de métamorphose de son vécu. Il communique ses expressions, ses pensées, ses dynamiques internes et ses défis.

Freud ramène le jeu analytique au jeu de la bobine du Fort-Da, dont l'interprétation est la symbolisation de l'absence de la mère chez un enfant de 18 mois. Il déduit que le jeu facilite à l'enfant une consolation du départ de sa mère en contrôlant une situation insatisfaisante de sa réalité.

Il faut revenir à Mélanie Klein pour comprendre l'importance du jeu dans la cure. Ce que cherche la psychanalyste, c'est aider l'enfant à parler avec son propre langage, et favoriser ainsi la construction du moi. « Cette tripière de Génie »

comme le disait Lacan, est en fait la véritable pionnière de la psychanalyse des enfants. Elle nous dévoile un monde fantasmatique de l'enfance d'une extraordinaire complexité. La psychanalyste adopte une technique d'analyse par les jeux des enfants, équivalent à la technique d'analyse par les rêves des adultes. Pour elle, le jeu représente une médiation thérapeutique, c'est une forme de parler et d'associer librement. Klein se table dans sa technique aux conceptions de l'inconscient, du surmoi, des fantasmes, du conflit duel entre l'amour et la haine. Grâce au jeu, elle met en lumière la construction précoce de la psyché et les modes de défenses archaïques, de ses petits patients. En outre, son analyse se façonne sur différents phases de la cure telles que les entretiens préalables, le cadre, le transfert, la technique, l'interprétation ou la fin de l'analyse². La technique du jeu permet en outre l'interprétation du transfert négatif, l'importance accordée aux angoisses précoces sont utilisées aujourd'hui par les cliniciens dans leur pratique.

« Si nous voulons vraiment comprendre le jeu dans ses rapports avec le comportement de l'enfant au cours de la séance, nous ne devons pas nous contenter d'isoler le sens de chaque symbole, souvent si frappant ; mais il nous faut tenir compte de toutes les transpositions et des autres mécanismes propres à l'élaboration du rêve, sans jamais perdre de vue le lien qui unit chaque élément à la situation dans sa totalité. L'analyse des enfants nous montre constamment qu'un seul jouet ou qu'un seul détail du jeu peut revêtir bien des sens différents et que nous ne pouvons les interpréter que dans la perspective de leurs relations plus lointaines et dans l'ensemble de la situation analytique³ ».

Je commencerai donc par dire quelque mot sur le cas de Petra qui met en enjeu le lien paternel archaïque, et la transposition dans le jeu selon la conception de Klein.

Cette fillette de 8 ans a extériorisé une répétition dans son jeu au cours de plusieurs séances consécutives. Elle joue à s'occuper d'une poupée-bébé-garçon, en lui donnant le biberon, et elle lui offre toute la tendresse maternelle telle qu'elle la conçoit. Cette tendresse, elle-même ne l'a pas vécue. À sa naissance et jusqu'à 6 mois, c'était son père qui prenait soin d'elle. Le père maternisant l'abandonna brutalement, et ne donna plus aucun signe ; aucun contact depuis ne put être établi avec lui. Cette disparition mena Petra à vivre un abandon. Quoiqu'aujourd'hui la fillette tend à tuer symboliquement son père, son choix pour ce jeu remémore cette période avec son père dont elle jouit en inversant les rôles, elle est celle qui materne et le bébé qu'elle materne est un garçon. La répétition persistante est à la fois un retour de jouissance et un apprendre au père

qu'il ne faut pas abandonner brutalement d'un enfant.

« Les modes d'expression archaïques et symboliques utilisés par l'enfant sont liés à un autre mécanisme primitif. Lorsqu'il joue, il agit au lieu de parler. L'action, plus primitive que la pensée ou la parole, constitue la trame de son comportement⁴».

Donald Winnicott, post kleinien dans sa théorie, apporte quelque chose de plus. Il considère que l'enfant joue pour mettre sens à son vécu. Le jeu de l'enfant est spontané et universel. C'est un tout avec des vertus thérapeutiques en soi. Il englobe le contenu et le contenant. Winnicott a élaboré dans sa technique d'analyse les objets transitionnels et l'espace potentiel. « Il n'est pas possible pour un enfant de cet âge de tirer le sens d'un jeu, s'il n'a pas d'abord eu la possibilité de jouer et de prendre plaisir à ce jeu ». Voici une illustration de ma clinique à cette considération de Winnicott.

Talal, enfant de 9 ans, vient en analyse pour un problème de comportement et d'avidité de nourriture. Il est en fait épuisé, esquiné qu'il est par les remarques négatives insistantes de la mère. La lignée masculine à laquelle la mère appartient, est à ses yeux totalement incapable : Son frère est au chômage, Son mari souffre d'un problème oral et se montre passif dans la vie de tous les jours, son père et son beau-père sont dominés par leur épouse respective. La maman transmet à son fils en devenir homme, son regard dévalorisant sur les hommes. Talal est hésitant entre répondre au désir de sa mère ; ce désir qui lui commande de ne pas ressembler au père ; ou alors répondre à sa pulsion qui le pousse à tout prix d'être un garçon tout en s'identifiant à son père. C'est dans la cure que Talal essaie de se libérer de sa mère en se projetant sur un personnage musclé, fort, qu'il met en position de héros. « La dramatisation du monde interne de l'enfant lui permet de vivre et de jouer avec les fantaisies qui le troublent le plus⁵», affirme Winnicott.

Essayons donc de mettre en évidence les points de recoupement des divers analystes qui ont travaillé sur le jeu de l'enfant.

Dans un premier point, *le jeu permet à l'enfant d'explorer ses fantasmes de manière symbolique, offrant ainsi un moyen d'expression et de compréhension de ses désirs inconscients.*

Les jeux symboliques facilitent à l'analyste de participer au monde imaginaire, peuplé de figurines menaçantes qui angoissent l'enfant. B. Copper-Rover affirme que « les interprétations doivent être prudentes, progressives, proposées

pour laisser la place à l'échange. La parole du thérapeute vient dédramatiser l'agressivité, soulager la culpabilité et donc apaiser les peurs de l'enfant qui se met si souvent au centre de tout⁶». Les jeux deviennent une chaîne signifiante dont paraît l'associativité, et ce qui a une similitude à l'association par la parole chez l'adulte.

M. Klein énonce, comme nous l'avons dit, que le jeu fait apparaître les fantasmes de l'enfant, un outil clinique favorisant l'interprétation qui permet de soulager les angoisses précoces de l'enfant.

Jacques Lacan affirme que la cure s'oriente autour du désir porté par l'enfant. Ce désir qui se trouve derrière la demande des parents, et qui exprime le désir même du parent. Le désir de l'enfant est le désir du parent. Il formule que « le symptôme de l'enfant dit une vérité soit sur le couple familial soit uniquement sur la subjectivité de la mère⁷». L'enfant est assujéti au désir de ses parents, aliéné à ses parents, d'où il devra se séparer en un temps logique. Dans la cure, l'enfant est capable d'incarner la présence de l'objet a du fantasme maternel voire l'objet de la jouissance maternelle auquel la médiation de la fonction paternelle fait défaut.

Pour Lacan, le fantasme est un montage ($\$ \langle a \rangle$): le sujet divisé est noué à l'objet a, symboliquement et imaginativement afin de se protéger de l'angoisse du Réel, tout en déterminant une jouissance. C'est avec les traces de cette jouissance, que le travail se fait dans la cure, le fantasme qui s'exprime éclectiquement mène l'enfant à créer des scénarios énigmatiques.

Forget renverse le montage du fantasme de Lacan ($a \langle \$ \rangle$) afin de mettre en relief la place de l'objet a dans une confusion entre l'objet de la demande et l'objet du désir au niveau des symptômes des enfants surtout attachés aux orifices telles que (l'énurésie, l'encoprésie, les troubles alimentaires) dans un emballage pulsionnel mère-enfant⁸. L'enfant est là pour se faire objet pour l'Autre, et il porte les signifiants de l'Autre. Il devient cet objet de sacrifice.

L'enfant dans la cure, quel objet « a » a-t-il pour l'Autre ? Est-il obligé de combler le manque de l'Autre ? S'identifie-il à ce manque ? Est-ce delà que découle la confusion entre l'objet de la demande et l'objet du désir ?

« On occupe la place où un acte vous pousse de droite et de gauche, de bric et de broc⁹». L'enfant est épinglé, il n'a pas le pouvoir de maîtrise ce qui se passe dans la famille, les liens et sa propre subjectivité. L'enfant est celui qui est en quête de trouver sa place.

Farid, enfant de 6 ans, est très agressif et violent avec un caractère opposant. Les parents sont divorcés et en conflit permanent. Il a assisté à des scènes ménagères comblées de violence. Aussi la mère le compare à son père. Un père dévalorisé

aux yeux de la mère, un père affreux, violent. Le fantasme conscient des parents se manifeste dans leurs paroles adressées aux enfants : dans le prénom du grand-père paternel donné à ce garçon, dans la ressemblance décrite avec crainte à son père. Dans les jeux, Farid essaie à tout prix de toujours gagner en jouant, même en transgressant la loi : il triche, il est dominant dans le jeu. Il représente une image du père défaillant par rapport à toute loi : un père qui frappe, qui insulte et qui attaque. Le père légifère, mais il ne représente pas la loi. Il introjecte toute force par force « je fais comme mon papa, c'est lui qui domine la maison, il a le droit de me frapper car il est le plus grand en famille ». Selon Freud, « On bat un enfant », le fantasme est un lien d'amour où la jouissance de l'être battu égalerait le signifiant maître qui règne dans l'inconscient, le père¹⁰.

Dans une autre séance, il fait tomber le personnage-père, et son fils va le sauver. « Ce père ici, n'est pas le mien ». Puis il montre comment le personnage-fils attaque le pénis du personnage-père. Il montre que la famille est coincée, bloquée pour tuer le fils car le fils agresse toute la famille.

De quel père Farid parle-t-il ? Le personnage-père est ce père mythique, qu'il imagine dans ses scénarios fantasmatiques qu'il tente d'aider, quoique différent du père réel, rencontré dans la réalité voire dans son vécu. Farid n'est pas le fantasme de l'Autre, il n'arrive pas à se conformer à son désir pour être aimé cela le met en grande difficulté. Où se situe-t-il par rapport à l'objet a pour sa mère ? Il est épinglé entre l'objet de la demande et l'objet du désir. A la fin de son scénario, la pulsion de mort se manifeste chez l'enfant, se donne-t-il la mort afin d'échapper au sentiment de culpabilité qui le détruit.

En outre, son attaque au pénis du père, est-ce pour répondre au désir de la mère afin de confirmer sa perception à l'égard d'un père défaillant ?

Une autre séance où Farid enlève l'œil du personnage-père, ses fantaisies destructrices deviennent compulsives à l'égard du père dans le point de mettre en relief la castration du père et sa destruction.

En second lieu disons : *à travers le jeu, l'enfant peut projeter ses fantasmes pour atteindre le nouage Réel Imaginaire et Symbolique*

M. Klein élabore le mécanisme de la projection ludique tout en mettant en relief l'expulsion hors de soi, dans une forme de personnification de la pulsion. Cette projection oscille entre le refoulement voilant le désir et le rejet voire le sujet ne veut rien savoir. Il s'agit d'un jeu monotone, répétitif que l'enfant adopte dans sa cure et qui dure des séances entières et des semaines et pourtant les interprétations demeurent aux limites de l'énoncé.

Linda enfant de 6 ans, est la jumelle d'une sœur trisomique décédée à la

naissance. *Linda est en retrait social, académique et intellectuel. Dans les séances, son jeu est limité et répétitif, il relève de ses résistances et de son inhibition. Elle choisit une poupée-garçon et une poupée-fille, les déshabille, les fait passer aux toilettes en répétant « pipi », donne le biberon à la poupée-garçon, puis met le biberon dans sa bouche. Peut-on dire que Linda est soumise à une compulsion de répétition aveugle ?*

Cet exemple met en évidence l'altération du développement du processus de symbolisation.

Roussillon parle de la matière psychique qui englobe des éprouvés sensoriels et moteurs, et leurs modifications portent la trace marquée par l'objet primaire. Par contre, lorsque ces modifications viennent à manquer, la symbolisation primaire est en difficulté¹¹. Le processus de symbolisation est enraciné dans les premières phases de développement est entravé. Ce blocage de symbolisation apparaît dans la cure des enfants où ces derniers se positionnent au niveau de l'énoncé et sont incapables d'atteindre l'énonciation. Les intérêts de Linda sont restreints via les objets voire les jouets. Elle n'appelle pas. Linda n'a pas pu être engagée dans la parole et le langage, ni prise dans une chaîne préalable. Il n'y a pas eu cette prise dans les lois de l'articulation et la syntaxe donc, le premier coup de force symbolique fait défaut. L'appel du symbolique n'a pas fonctionné. Linda est dans l'échec de se conformer au langage qu'elle aurait dû recevoir de l'Autre pour avoir accès à la position de parlêtre.

Roussillon mentionne trois langages se situant dans la cure des enfants, les langages du corps et de l'acte, des affects et des mots, articulés entre eux mais distincts¹². J. Bergès déclare qu'avec l'enfant « nous sommes envahis par les séductions de l'imaginaire, les significations, les représentations des objets et des jeux¹³».

M. Klein insiste qu'il n'y a pas un sujet privé de tout inconscient. La cure des enfants permet à l'enfant d'adopter la négation dans son jeu afin de se libérer des signifiants de l'Autre et atteindre à ses propres signifiants. L'enfant, par cette distance, il ne se laisse pas absorbé par les signifiants de l'Autre. Ainsi, son accès à la parole prend place, et le symbolique a lieu.

Jad, 5 ans, est très agressif avec ses cousins, sa fratrie, ses pairs. Il transgresse la loi à la maison et à l'école. Il attaque sa fratrie, ses cousins et ses pairs en classe. Le père critique sévèrement la mère, et la qualifie de fragile et d'impuissante à l'égard de l'éducation de Jad. La mère, à son tour, punit l'enfant et le prive de toutes ses activités. Elle le compare à son désavantage à ses sœurs et cousines, « il est différent » et rejeté de son environnement. En fait, elle vit le dénigrement de son mari et fait de son fils un moins bien que les filles. Dans les séances, Jad

projette son histoire et lui-même à travers des animaux sur lesquels il articule des scénarios fantasmatiques. Jad joue à montrer et provoquer la peur chez de petits animaux, qui fuient le père-animal persécuteur. Il traduit dans son scénario la violence de son père. Lacan mentionne que « le fantasme est essentiellement un imaginaire pris dans une certaine fonction signifiante¹⁴ ». Jad élabore ses scénarios fantasmatiques pour se protéger de la violence, et noue ainsi l'imaginaire au symbolique de la représentation.

Au cours d'une autre séance, il emmène deux animaux le cheval et le pingouin, et les dépose sur une plante, l'un à côté de l'autre, et les compare. S'agit-il pour Jad à travers ce jeu de se placer à côté de son père, est-ce une comparaison de la différence ou s'agit-il d'une identification à son père ? En fait, l'identification à son père échoue au moment même où la pulsion de violence se stabilise et qu'il essaie de la dominer. Dans un autre jeu, il met deux crocodiles dans une marmite d'eau : « Papa et maman sont ici, les enfants sont morts », c'est à travers l'imaginaire de la mère que se relate ici la subjectivation de l'enfant. Par « les enfants sont morts », Jad signifie une mort de soi à soi, la mère persécutrice parce que persécutée, l'empêche de reconnaître son père et ainsi se met au travers de la filiation.

La semaine d'après, la chaîne signifiante apparaît manifestement, Jad met le papa-poupée dans la cheminée en justifiant la cause de son passage à l'acte, « le père frappe la maman ». Jad ici, a pour fonction de prouver son existence et sa force mâle pour la mère, de remplir son manque-à-être, tout en tuant son père, il se rapproche œdipiennement de sa mère. Son agitation et son agressivité, font montre de son essai de se dégager du fantasme maternel et subjectiver son histoire.

Pour Lacan, l'enfant est intéressé directement comme corrélatif d'un fantasme, il devient l'objet de la mère, il réalise la présence de l'objet a dans le fantasme¹⁵. Dans une autre séance, où la répétition de la mort apparaît, Jad dépose la souris sous le lit des parents « la souris les mange », le désir de supprimer les parents le libère.

Dans une séance suivante, Jad place le soldat sur la plante « le soldat protège la plante car elle nous donne de l'oxygène ». Jad m'explique que la loi protège. C'est encore à ce niveau un stéréotype, mais on peut quand même voir, à travers le jeu métonymique, une sensibilisation à la loi, au Nom-du-Père.

Une autre fois, Jad utilise le déplacement comme mécanisme de défense en se projetant sur une fille qui fuit un tigre. Ici, Jad refuse mon interprétation que le tigre représente le père. Il continue en décrivant le père comme gentil et la mère comme sévère, car elle frappe la fille avec la ceinture. Le déplacement dans son

scénario de jeu est tout à la fois, une escapade de la réalité de son vécu et la satisfaction fantasmatique à voir sa sœur battue, cette sœur qu'il jalouse car elle accapare l'amour de la maman.

Jad d'une séance à une autre montre tantôt l'agressivité de la mère, tantôt celle du père. Une évolution s'élabore toutefois, grâce à la médiation du jeu. Ainsi dans un jeu fantasmatique, il produit un combat entre de bons soldats et de mauvais soldats qui tuent et détruisent. La pulsion de mort apparaît dans la destruction, l'inhibition de la volonté de vivre mais la pulsion de vie émerge, grâce aux bons soldats qui éloignent les mauvais.

Jad essaie de rejeter son environnement et de reconstruire par le jeu, un monde de vie où la loi et la pulsion de vie prédomine.

Conclusion

La cure analytique des enfants est entamée par la demande parentale. Toutefois, le consentement de l'enfant est ce qui autorise la création du cadre et l'éventualité du transfert avec l'émergence et le développement du processus analytique. La cure enregistre la singularité et l'altérité de chaque enfant.

L'enfant, à travers le jeu, est capable de faire jouer ses fantasmes afin de réinventer un monde nouveau, de construire un lien social dans lequel il réussit à créer sa propre présence. A travers ses jeux l'enfant montre dans la cure les inhibitions de ses pulsions, ses désirs, ses objets. Ainsi, les stratégies de la technique du jeu permettent d'adapter une interprétation analytique au fonctionnement de l'enfant.

A travers le jeu analytique, l'enfant opère les fonctions du père et de la mère et leurs validités dans sa constitution subjective, ainsi que son assujettissement à l'Autre parental. Le symptôme de l'enfant ne dépend en fait que de la vérité de la structure familiale.

Références

- Balblo G., Bergès J. (2004). Psychothérapies d'enfant, enfant en psychanalyse. Ramonville St-Agne, Erès.
- Barillot P. (2006), Quelques remarques sur les notes de Lacan à Jenny Aubry et sur la psychose chez l'enfant. Champ Lacanien, (n4).
- Bergès-Bounes M. (2012). Escapade dans le fantasme de l'enfant. La revue lacanienne, (n12).
- Copper-Rover B. (2003) Peur du loup, peur de tout. Ed. Albin Michel.
- Delain P. (2004-2017). Les mots de Jacques Derrida. Ed : Guilgal.
- Gallano C. (2007). L'être raté du fantasme. L'En-je Lacanien (n9).

- Klein M. (2001). La psychanalyse des enfants. PUF, Quadrige.
- Lacan J. (1998). Le Séminaire, Livre V. Les formations de l'inconscient. Le Seuil, Paris.
- Lacan J. (2001). Autres Ecrits. Le Seuil, Paris.
- Plard V. (2020). De la mise en jeu du corps au déploiement du jeu symbolique en psychothérapie psychanalytique de l'enfant : une illustration clinique, la psychiatrie de l'enfant (Vol. 63).
- Parmettier S. (2011). Les théories kleinienne de la cure. Figures de la psychanalyse, (n 21)
- Winnicott D.W. (1980). La petite Piggie. Ed. Payot

Bibliographies

- 1- P. Delain, les mots de Jacques Derrida, Ed : Guilgal, 2004-2017
- 2- Sabine Parmettier, les theories kleinienne de la cure, Figures de la psychanalyse 2011/1 (n 21)
- 3- M. Klein, la psychanalyse des enfants, PUF, Quadrige, 2001
- 4- Ibid
- 5- D.W. Winnicott, La petite Piggie, Ed. Payot, 1980
- 6- B. Copper-Rover, Peur du loup, peur de tout, Ed. Albin Michel, 2003.
- 7- P. Barillot, Quelques remarques sur les notes de Lacan à Jenny Aubry et sur la psychose chez l'enfant, Champ Lacanien, 2006/2 (n4)
- 8- M. Bergès-Bouines, Escapade dans le fantasme de l'enfant, La revue lacanienne 2012/1 n12
- 9- Ibid
- 10- C. Gallano, L'être rate du fantasme, L'En-je Lacanien 2007/2 (n9)
- 11- V. Plard, De la mise en jeu du corps au déploiement du jeu symbolique en psychothérapie psychanalytique de l'enfant : une illustration clinique, la psychiatrie de l'enfant 2020/1 (Vol. 63)
- 12- Ibid
- 13- G.Balblo, J. Bergès, Psychothérapies d'enfant, enfant en psychanalyse, Ramonville St-Agne, Erès, 2004.
- 14- J. Lacan, Le Séminaire, Livre V. Les formations de l'inconscient, Paris, Le Seuil, 1998.
- 15- J. Lacan, Autres Ecrtis, Paris, Le Seuil, 2001

Mohammed Jamil
Jomha

Ph.D. candidate at
Beirut Arab University

Amin Maalouf's Political Vision: A Political Reading of The Rock of Tanios

Abstract:

Amin Maalouf's *The Rock of Tanios* (1993/1995) is a political novel that presents Amin Maalouf's view of the political regime he seeks to have implemented in Lebanon. The novel deals with historical events that took place in Lebanon in the era from 1821-1840. The role of both the colonial Great Powers and the regional Powers of that era reflects the impact of foreign powers on the political affairs of modern Lebanon. Through historical analogy, Amin Maalouf reveals the destiny of the nation whose rulers owe allegiance to external powers rather than to the nation. Such a nation is torn apart because these allegiances lead to sectarianism, cause religious strife and destabilize the safety and security of the nation. As a result, Amin Maalouf proposes a political vision which, if implemented, will provide the nation with liberty, equality, and peaceful coexistence. The political regime he approves of is anti-sectarian, anti-feudal, and anti-bouregois. If this kind of regime is not made available to the nation, emigration will be the destiny of the citizens who do not feel at home living in a sectarian country ruled by feudal or bourgeois Lords.

Key words: Political novel, Colonialism, Feudalism, Bourgeoisie, Sectarianism, Coexistence, Orientalism, Nationalism, Emigration

Amin Maalouf's *The Rock of Tanios* (1993/1995) is a post-colonial novel discussing the political situation in Lebanon after independence. The events of the novel cover the Lebanese history from 1821 to 1840, an era during which the European Great Powers were struggling over Lebanon in order to serve their interests in the region. In addition to the colonial scramble for Lebanon, the Ottoman Empire and Mehmet Ali Pasha were engaged in a conflict over Lebanon. Therefore, the European Powers—France and England—aimed to gain advantage of the conflict between the Ottoman Empire and Mehmet Ali Pasha. France supported Mehmet Ali Pasha, and England allied itself with the Ottoman Empire. During the course of this struggle, the Lebanese were manipulated by the contending powers. As a result of this manipulation, a sectarian strife broke out and left the Lebanese territories in a state of chaos. Hence, comparing this historical epoch to the Lebanese civil war of 1975-1990, one comes to the conclusion that Amin Maalouf has written this historic-political novel both to study the political situation in modern Lebanon and to formulate a view of the Lebanon that the Lebanese aspire to live in.

The political novel deals with change or the resistance to change. In either case, there should be a “Being”, a state of affairs, which the protagonist tries to grapple with. Robert Boyers maintains that “it is the business of the novel generally to confront the individual with impediments to his wishes and plans, but the political novel will give an especially prominent role to worldly impediments. This will be clear to us only if we agree that a view of time is intimately connected with a view of Being itself, and that Being typically refers to those things that already exist, in contrast with other things that are imagined or imperfectly remembered” (1985, pp. 17-18). The political novel, thus, is concerned with a certain status quo related to the present time of the protagonist. In this sense, the political novel focuses on factual events which affect the life of the protagonist who desires either to change “Being” in a way that meets his needs and wishes, or to preserve “Being” because he associates himself with it. In *The Political Unconscious*, Fredric Jameson refers to two types of protagonist: the radical and the conservative. “The radical wishes to alter Being, to change, reshape, destroy it, to leave it different from what it is; the conservative wishes to associate himself with the permanence of Being, its massive quality; to live in it and feel its stability and continuity around himself” (qtd. in Boyers, 1985, p. 18).

Political novels that deal with perpetuating a given status quo resist change and create an unreal time. These novels “are likely to seem suffocating, willful, obsessive. Such works—think of *Autumn of the Patriarch*—subvert ordinary

notions of time, change, and progress. They create an unreal time, a time without end, a duration that in the main refuses to allow for growth or hope" (Boyers, p. 29). These novels portray a closed "Being", a totalitarian universe, which defies all hopes of change and subverts the efforts of human agency to introduce a new political culture.

On the other hand, political novels aiming at change "project a sense of what an acceptable political culture might be" (Boyers, p. 28). This is the kind of hope that a political novel is supposed to bring about. However, most political novels do not explicitly reflect this culture. Because "any attempt to describe it would very likely seem foolishly literal, it is usually left for readers to infer it from what is shown of the major conflicts and debates" (Boyers, p. 28). This is, in fact, what Amin Maalouf has done in *The Rock of Tanios*. The events that take place urge Tanios, the protagonist, to leave his country for the West since he cannot live in his village the way other villagers do. Refusing both to rule the village and to punish criminals in accordance with the traditions of his village is suggestive of the political culture he seeks to nurture in his country. It is the culture that excludes sectarianism, subordination to foreign powers, and feudal privileges. Hence, Maalouf's novel is a political novel in line with Boyers' definition of the political novel whose determinant goal, toward which the various elements of the novel tend, has "something to do with ideas about community, collective nation and distribution of power" (Boyers, p. 16).

The Lebanon that Amin Maalouf depicts in *The Rock of Tanios* is a country ravished by Great Powers which strive to control it. The strategic location of Lebanon attracts the attention of colonial countries just as a beautiful woman draws men's attention to her. Gebrayel, one of the sources that the narrator depends on in narrating the story, compares Lebanon to Lamia, Tanios' mother. He addresses the narrator, saying, "Look up at our mountains, their gentle slopes, secret valleys, their caves, rocks, scented breezes, and the changing colours of their garments. Beautiful like a woman. Beautiful like Lamia. And they, too, bear their beauty like a cross" (p. 217). Lebanon goes through periods of turmoil and chaos as a result of its importance in the Mediterranean region. Its significance is portrayed through the beauty of its nature, a beauty that causes its population a lot of trouble and suffering. Similarly, Lamia is a beautiful woman, so she is coveted by the opposite sex. She is described as a woman who "[bears] her beauty like a cross" (p. 18). Lamia's beauty causes her to suffer because she is supposed to have mothered an illegitimate son as a result of having been seduced by Sheikh Francis, the Master of Kfaryabda and the employer of her husband, Gerios. Viewed from this perspective, Lamia is presented as a symbol of Lebanon, for both of them are ravished by external

forces. The result of this ravishment is confusion and bewilderment among the citizens, including Tanios himself. Tanios has doubts about his paternity; therefore, he stands for the Lebanese who get lost amid the struggle over Lebanon. Because the Lebanese affairs are controlled by external powers, the Lebanese are divided on the basis of the support each community receives from outside Lebanon. In this case, the Lebanese lose their native identity just as Tanios does not have a stable identity as an individual human being. Hence, Tanios' lack of identity epitomizes the shaken identity of the Lebanese population.

Orientalism plays a major role in shaping the character of Lebanon. The role of orientalism is reflected through the persona of Reverend Jeremy Stolton who has established an English school in the Druz village of Sahlain. Reverend Stolton emerges as an orientalist scholar who studies Lebanon in order to provide his country with the means of intervening in the political affairs of this oriental country. Edward Said believes that the West seeks to understand the Orient so that it will control it. Therefore, knowledge of the East (the Orient) gives the West the power to dominate it. In this sense, "knowledge means rising above immediacy, beyond self, into the foreign and distant. [. . .] To have such knowledge of such a thing is to dominate it, to have authority over it. And authority here means for 'us' [i. e. , the westerners] to deny autonomy to 'it'—the Oriental country—since we know it and it exists, in a sense, as we know it" (1978, p. 32). Knowledge, in orientalist studies, leads to power. This is Reverend Stolton's role in the novel. He is in Lebanon not only to educate the Lebanese, but also to serve the interests of the English crown. When Sheikh Francis faces trouble because he is not able to pay the new tax levied by Mehmet Ali Pasha, Reverend Stolton sends a letter to the English Consul in Beirut, telling him about the money-strap that Sheikh Francis has. The English Consul-to-be, Richard Wood, visits Sheikh Francis and presents him, as a gift to his treasurer, with the exact amount of money he has to pay to the Egyptian agents. These two events show that Reverend Stolton, under the pretext of educating the Lebanese, works at helping his government gain access to meddling in the political affairs of Lebanon. In this way, England will be able to secure the way to India. Thus, gaining knowledge of Lebanon serves not to help Lebanese rulers, represented by Sheikh Francis, but to fulfill the objectives of England. The presence of the English in Lebanon is, then, similar to the colonial presence of England elsewhere. In Orientalism, Edward Said quotes Balfour's statement about England's presence in Egypt. Balfour declares at the House of Commons, "We are in Egypt not merely for the sake

of Egyptians, though we are there for their sake; we are there also for the sake of Europe at large" (1978, p. 33). Similarly, England, in *The Rock of Tanios*, is in Lebanon for the sake of England.

The educational mission of England in Lebanon is directed towards meeting the goals of England. Students are educated according to English standards. Tanios acquires English customs from the English books he reads. He also associates the English school with knowledge and respect. This is reflected through the contrast that the narrator draws between the Sheikh's castle and Reverend Stolton's house. The narrator says, "The Sheikh's castle was vast, it is true, but its universe was limited by high walls and kissing of hands. Writing-cases were hidden ashamedly and worry-beads were in evidence. In the clergyman's home respect went hand-in-hand with knowledge" (p. 121). The castle is a symbol of ignorance, imprisonment, and humiliation, whereas the clergyman's home is an epitome of knowledge and respect. This contrast reveals the differences between the East and the West, but at the same time, it is suggestive of the West's claim that the West introduces culture, education, equality, and liberty into the Orient. However, Maalouf refutes this claim when he shows the reader that the English attempt to liberate and to enlighten the Lebanese is manipulated by the English who enlist the enlightened citizens in their service. Consequently, the orientals—the Lebanese—who are educated by the West are pitted against the rulers of their countries as is the case with Tanios. The Great Powers have entrusted Tanios with the task of translating the decision they have reached on exiling the Emir of the Mountains, the ally of Mehmet Ali Pasha. The task assigned to Tanios is an instance of how the West uses knowledge to control the Orient.

The educational mission of Europe in the Orient functions as a link between European Great Powers and the rulers of the Orient. The English school, in *The Rock of Tanios*, facilitates the communication and the alliance between both the English and Sheikh Francis, who represents one of the political factions in the novel. Sheikh Francis' alliance with England divides the Christian community into two factions: the allies of England, and the allies of France. The schism within the body of the Christian community divides the Christians into two camps fighting the wars of England and France on the Lebanese territories. The Patriarch's assassination by Gerios with the English rifle which has been presented by Mr. Wood to Raad, the son of Sheikh Francis, is symbolic of the war between the two European Powers, a war that really ends with the defeat of France and its allies—the Emir and Mehmet Ali Pasha. In terms of the modern history of Lebanon, the split within the

Christian community in the novel represents the division within the political body of Lebanon, whose various communities form alliances with different Great Powers, be they western or regional. Hence, Amin Maalouf reveals how these alliances both cause conflicts among the Lebanese and put into effect the agendas of the external forces in the country.

Even local and regional Powers control the political affairs of Lebanon. These powers set the Lebanese against each other. Sheikh Francis breaks with the Patriarch after the Patriarch has sided with Sheikh Francis' wife who has left Kfaryabda for her father's house in the Great Jord because Sheikh Francis is supposed to have fathered a son upon Lamia. The Patriarch instigates the Emir of the Mountains and the Egyptians against Sheikh Francis. As a result, the Patriarch, the Emir, and the Egyptians support Roukoz, the major-domo whom Sheikh Francis has dismissed from his castle because Roukoz, as Sheikh Francis claims, has stolen the money that has been meant to be used to pay the miri, the tax. Roukoz has fled to Egypt, where he has made a great wealth. Then, he has come back to Lebanon and has bought a large estate on the borders of Sheikh Francis' domain. Therefore, the enemies of Sheikh Francis aim at destabilizing his rule by pitting Roukoz against him. After the assassination of the Patriarch by Sheikh Francis' major-domo, Gerios, Sheikh Francis faces a lot of trouble with the Emir and the Egyptian army. At the end, the Emir's agents arrest Sheikh Francis and appoint Roukoz Master of Kfaryabda.

Regional Powers, then, control the politics of Lebanon by appointing rulers who are allied to them. In this sense, the country has a succession of rulers who lack a sense of nationalism since they implement the orders of their foreign masters. Roukoz is such a ruler, for he stands for the bourgeois ruler who has been appointed in office by the colonizer. Frantz Fanon maintains that the bourgeoisie that takes over from the colonizer perpetuates the presence of the colonizer by implementing his policy after decolonization. Consequently, Fanon believes that the bourgeoisie should not be voted into office (Fanon, 1961/1963). Maalouf, like Fanon, disapproves of the rule of the bourgeoisie. That is why Roukoz is killed at the end. Roukoz, in the novel, invades, with the Egyptian army, the Druz village of Sahlain, an action that Sheikh Francis has refused to undertake. The Egyptians purport to set the Christians and the Druz against each other. The invasion causes a sectarian strife between the two religious communities as the Druz intend to revenge their dead on the Christians. The Druz do take revenge by killing both Roukoz and the Christian men guarding the prison where Roukoz has been detained. In his

Year Book, Reverend Stolton reports this event:

In order to obtain the head of a criminal, they killed four innocent men. Kahtane bayk told me he did not wish this. But he allowed it to be done. Tomorrow the people of Kfaryabda will come and slaughter other innocent folk by way of reprisal. All of them will, for many long years, find excellent reasons to justify their successive acts of vengeance. (p. 263)

The sectarian strife between the Christians and the Druz is symbolic of the Lebanese civil war of 1975-1990. The Lebanese, according to Maalouf, fight each other because they carry out the plans of external powers. Maalouf blames both the foreign powers and the Lebanese themselves for this strife since this sectarian tension leads the Lebanese to slavery. The communities engaged in this struggle end up as the slaves of foreign countries which set the Lebanese against each other. For Reverend Stolton, France and England shoulder part of the responsibility because they have come to Lebanon "to prolong the Napoleonic wars" (p. 263). That is, the Great Powers have colonial projects to implement in Lebanon. That is why each power supports one of the warring parties in the novel. Also, Mehmet Ali Pasha and the Ottomans are to blame. The Lebanese, too, are to blame, for they allow foreign countries to interfere in the affairs of their country. The different Lebanese factions aim to have political power through allying themselves with the Great Powers and some regional Powers. The Lebanese do not have a national cause to fight for; they have either personal interests or sectarian goals to serve. Therefore, Reverend Stolton contends that "the only ones who cannot be forgiven are the local people, Christian and Druse" (p. 263).

Amin Maalouf does not approve of the Lebanese rulers he portrays in the novel. The Lebanese ruler that Maalouf prefers to have in his country is a ruler who is neither controlled by foreign powers nor blinded by sectarianism. He substantiates his point of view by presenting two types of ruler. One ruler is destroyed because he is manipulated by external forces, whereas the other ruler declines to rule a country torn apart by sectarianism and revenge. The first ruler is Sheikh Francis; the second is Tanios.

Sheikh Francis stands for the Lebanese ruler who changes allies according to the circumstances. When he has problems with the Patriarch, Sheikh Francis allies himself with the English. When his son, Raad, is dismissed from the English school because of his immoral conduct, Sheikh Francis allies himself with the Patriarch and, consequently, with the French. At the end, he is arrested by the agents of the Emir and gets his eyes put out because he has refused to lead his men against his friend Said Beyk, the Master of the village

of Sahlain. Sheikh Francis' destiny reflects the fate of all rulers who do not owe allegiance to their countries and nations. These rulers remain in office as long as they obey their masters. When they show signs of rebellion against their over-lords, they get punished and deposed. Therefore, Sheikh Francis ends up as a blind man who needs the help of others to find his way. His blindness is the objective correlative of his lack of insight. As a ruler, Sheikh Francis has not seen into the nature of the alliances he has formed with the foreign countries, so he has to live the rest of his life as a physically and an intellectually blind man.

In contrast to Sheikh Francis, the ruler that Amin Maalouf suggests is a ruler who prefers to rule a nation that is not controlled by revenge and sectarianism. Tanios fails to rule his village because he detests revenge and sectarianism. When he goes with the emissaries of the Great Powers to Beit Ed-Dine to tell the Emir that he has to go to exile, Tanios puts aside the desire for revenge, although the Emir has sentenced his father to death because he has killed the Patriarch. Tanios is received in his village as a hero who has exiled the "tyrant" to Malta. Consequently, Sheikh Francis, after he comes back to Kfaryabda, appoints Tanios as his heir. Sheikh Francis declares his intention, saying, "I begged Heaven not to let me die before I had seen the downfall of the tyrant who unjustly killed my son. The Almighty has listened to my prayers, and has chosen Tanios as the instrument of His wrath and His justice. This boy has become my son, my only son, and I appoint him as my heir" (p. 268). Sheikh Francis is controlled by the desire to avenge himself on his enemies. Hence, Tanios, who is viewed by the people as the man who has revenged their village on the Emir, is chosen as the future ruler of Kfaryabda. This choice highlights the view of the ruler as a person who turns evil for evil, a choice which Tanios rejects.

Moreover, Tanios disapproves of sectarianism because it sets different religious communities against each other. The anti-sectarianism he upholds is the reason why he fails to deal with a sectarian issue in the novel. When Kahtane Beyk asks Tanios to try Roukoz and to sentence him to death so that the Druz will not kill the Christian man who has caused the death of the Druz Master, Said Beyk, Tanios makes the wrong decision of dispossessing Roukoz of his property and banishing him from the region. Tanios' failure to execute Roukoz and to avoid further sectarian conflicts reflects his inability to govern a nation torn apart by religious animosity. So, through Tanios, Amin Maalouf presents the model of the Lebanese ruler he seeks for.

In *The Rock of Tanios*, Amin Maalouf projects a political culture through

the different events that take place, yet this culture does not materialize in the novel. The events lead the reader to conclude that Amin Maalouf, as well as Tanios, looks forward to having a country which provides the citizens with safety, security, equality, liberty, and peaceful coexistence. Maalouf, like Tanios, is against feudal privileges that grant feudal masters the right both to oppress and to exploit the citizens. That is why Tanios realizes that he cannot live in his country. The West is the place where he can live peacefully and comfortably. He has experienced living in the West as he has run away with his father from Lebanon after the assassination of the Patriarch. In Cyprus, he has met Thamar with whom he has had two sexual relationships. The narrator relates Tanios' thoughts after his second meeting with Thamar:

When he was back in his room, he began to reflect on the things he has said. There were words, sentences, which he did not think he had in him and which he had poured out in front of this woman; and things too he did not think he had noticed. The first meeting had left him with—I don't think it unfair to say—a feeling of his body being at peace. From his second encounter, he had returned with his mind at peace. (p. 189)

The West, which is represented by Thamar, has given Tanios physical and mental assurance.

Therefore, Maalouf believes that if the political culture that Tanios aspires for is not made available to the Lebanese, emigration will be the choice of the discontented. Tanios leaves for the West, at the end, because he has discovered that he cannot live in a country that does not provide certitude for its citizens. The enlightened individual sees into the traditions and conventions of his society, so he tries to defy them. If he cannot accomplish his errand, he decides to isolate himself from his society by traveling abroad. Tanios knows the truth about his society because he has climbed the rock that bears his name. The rock is described as a "throne", for it is, indeed, the throne of knowledge. It is the throne that has shown Tanios the way to the West, the place of his dreams and yearnings. Now, the narrator understands why he has always been advised not to climb this rock. The villagers have always associated the rock with superstitions. One of these superstitions is that of the disappearance of Tanios, who has climbed the rock before he has left his country. Symbolically speaking, this superstition serves to prevent the people from knowing the truth about their country; thus, the status quo will not change.

The Rock of Tanios raises political awareness among the Lebanese. It provides a model of a better world, where the Lebanese can have the right to liberty, equality, and peaceful coexistence. If the Lebanese, who have gone through the civil war, cannot build this world, emigration will be the destiny of

those who do not feel at home living in Lebanon. For this reason, the narrator concludes the novel, saying, "At my back, the mountains so close. At my feet, the valley from which at nightfall the familiar howling of jackals would rise up. And yonder, in the distance, I could see the sea, my narrow strip of sea, narrow and long, stretching out to the horizon like a road" (p. 274).

References

- Boyers, R. (1985). *Atrocity and amnesia: The political novel since 1945*. Oxford University Press.
- Fanon, F. (1963). *The wretched of the earth* (C. Farrington, Trans.). Grove Press. (Original Work published 1961).
- Jamson, F. (1981). (Qtd. in Boyers, R. (1985). *Atrocity and amnesia: The political novel since 1945*. Oxford University Press.
- Maalouf, A. (1995). *The rock of Tanios* (D. Blair, Trans.). Abacus. (Original work published 1993).
- Said, E. (1978). *Orientalism*. Pantheon.

Réinvestir l'image du corps chez les alcooliques: L'impact de la relaxation et de la thérapie graphique

Jean EL KHAWAND

DOCTORANT EN
SCIENCES HUMAINES

Introduction:

Dans le panorama complexe de la dépendance à l'alcool, un aspect souvent négligé est l'image que le sujet alcoolique a de son propre corps. Cette première partie théorique se penche sur cette question, partant du constat que l'alcoolisme peut altérer profondément la relation du sujet avec son propre corps, le laissant souvent incomplet et désuni. Face à cette réalité, une interrogation émerge : comment les techniques de relaxation peuvent-elles influencer la perception corporelle et l'image de soi chez les personnes alcooliques ?

La relaxation, déclinée en différentes méthodes, offre un espace de réappropriation du corps, un temps pour renouer avec ses différentes parties et rétablir une connexion émotionnelle longtemps négligée. Cette approche s'avère cruciale dans la restauration du narcissisme et de l'estime de soi chez les alcooliques, offrant un contrepois à l'auto-dépréciation souvent associée à la dépendance à l'alcool.

Première partie : Problématique–Hypothèses

1.1-Problématique

La première partie théorique de ce travail de recherche, publiée dans un article précédent, s'est intéressée tout particulièrement à l'absence d'investissement psychique de l'image du corps pour le sujet alcoolique, à rechercher au niveau des liens particuliers à l'objet maternel.

Le sujet vit alors son corps comme non unifié, incomplet, et signe ainsi l'image qu'il peut avoir de son

image corporelle. Une question se pose donc en fonction du postulat de base, qu'est-ce qu'une technique de relaxation peut-elle bien venir révéler chez un alcoolique au niveau de son ressenti corporel et l'image de son corps ?

1.1.1-La relaxation, une prescription pour l'alcoolisme ?

1.1.1.1-Définition de la relaxation

On doit parler de « RelaxationS », car il existe différentes techniques de relaxation plus ou moins sophistiquées. Mais de manière générale toutes ces techniques poursuivent les mêmes objectifs que l'on peut définir ainsi :

« En s'appuyant sur la concentration, la suggestion et le retrait par rapport à l'environnement, les méthodes de relaxation visent une détente psycho-corporelle et une sensation de bien être »¹.

On doit ajouter à cette définition que cette méthode a pour objectif un travail de réappropriation des différentes zones corporelles. Notamment la méthode de Schultz (1932) par exemple, qui par les injonctions de pesanteur sollicitent le participant à prendre conscience des différentes parties de son corps par l'intermédiaire de sensations telles : le chaud, le froid, la lourdeur ou la légèreté et la visualisation de son propre corps. Ces exercices contribuent à se recentrer sur le corps par un jeu sensoriel, les différentes parties qui constituent le corps sont nommées, *« la fonction maternante de nomination est remise en jeu, jusqu'à ce que le patient soit suffisamment sensibilisé à son propre corps pour s'y intéresser lui-même »².*

Il va se jouer ici quelque chose de l'ordre d'une réparation possible, le patient va renouer contact avec son corps et l'image mentalisée de celui-ci au cours des séances, *« on ne s'étonnera pas, après ce qui a été dit de l'intérêt de la nomination, que M.J Hissard dans la séance « nomme tout », jusqu'à la plus petite phalange³». Notre corps est le « coffre » qui renferme tous les secrets de nos histoires les plus anciennes et « notre image du corps dépend de nos relations maternelles précoces, des mots et des affects qui ont accompagnés sa formation. Avons-nous un regard maternel sur notre image, ou bien sommes nous indifférents, dégoûtés ou impitoyables ? En relaxation on apprend à parler doucement à son corps, à le mater, ce qui améliore considérablement son fonctionnement »⁴.*

1.1.1.2-La relaxation : technique de restauration corporelle ?

Le sujet en séance de relaxation va prendre un temps d'écoute avec lui-même, faire ou refaire connaissance avec les parties de lui-même, qui lui sont étrangères. L'alcoololo dépendant néglige son corps et son image, il va être

temps désormais de s'y arrêter un instant, faire « l'inventaire » de cet habitat sans occupant. Une par une, les zones corporelles vont être amenées à être visitées, ressenties, aimées afin de leur permettre l'inscription psychique qui fait tant défaut. Se redécouvrir autrement, porter sur soi un autre regard, « *c'est un temps d'invite à se mettre à l'écoute de son corps, dans un climat de sécurité, pour pouvoir redécouvrir des sensations agréables qui ne soient pas liées à la prise d'un produit* »⁵.

La relaxation n'est pas uniquement une technique, c'est aussi un lieu où s'exerce ce rendez-vous avec soi-même, lieu qui se doit d'être rassurant, convivial, un endroit où il est important de ne pas faire rupture totalement, de conserver un environnement sonore à l'aide du support musical adapté, afin de ne pas réveiller les angoisses d'abandon. M. Monjauze nous rappelle que : « *l'alcoolique a un corps qui manifestement a souffert, sinon dans son développement, tout au moins dans l'articulation et l'harmonisation de son fonctionnement. L'aider à s'approprier son corps, à le ressentir, à y trouver du plaisir, peut éloigner la nécessité de boire* »⁶.

La thérapie de relaxation semble de toute évidence une thérapie indiquée pour les patients alcooliques ; il va s'agir d'une technique de restauration narcissique du corps. « *Tous les relaxateurs qui s'occupent d'alcooliques ont constatés les progrès que ces patients difficiles à traiter, pouvaient faire au cours de la cure* »⁷, à condition que le relaxateur soit rassurant, sa présence soutenue par le regard, la voix les inductions verbales et les inductions tactiles.

Pour Y. Ranty, « *la parole suggestive est un facteur d'intégration de l'objet et elle s'associe au silence* »⁸, il s'agit de la fameuse « *capacité à être seul* » de Winnicott, celle-ci ne se faisant que si le sujet réussit à intégrer l'objet interne. Mais l'aspect contenant de la séance, apporté par la voix et les différentes modalités sensorielles ne doit donc pas négliger certains silences, le silence dont Nacht⁹ prétend qu'il est lui aussi un facteur d'intégration de l'objet et c'est bien chez le sujet alcoolique la problématique abordée.

La relaxation devrait, « *dans la recherche d'un espace d'évolution introuvable, jusque là, à l'extérieur de soi, la relaxation restaure ou développe pour le patient alcoolique, la fonction métaphorisante du corps ; celle-ci crée des passages « de l'acte à la pensée » au travers des états de transformations tonico-émotionnels du vivant. Au dedans, ce qui était rétréci, ramassé dans la contraction, en défense d'un Soi honteux, bloqué dans la timidité et le ressassement, se détend, s'expande, circule et devient, pensée, acte, comportement, figuration* »¹⁰.

L'action métaphorisante du corps va permettre de tisser un lien entre le

signifiant et le signifié, à l'aide d'expressions métaphoriques qui mettent en jeu les parties du corps. Ces expressions sont appelées « tropes » par Miermont (1995, Dunod) dans son livre « *Les Tropes du Corps* ¹¹ ».

On peut en donner des exemples : « *il a le bras long* », « *j'en ai froid dans le dos* », « *il a le sang qui bout* », « *elle a le cœur gros* », ce sont des procédés métaphoriques et qu' Y. Ranty appelle des « *tropes imagés du corps* » ce sont des images corporelles, où des lieux du corps sont sentis puis décrits avec les métaphores que l'on retrouve dans le langage corporel courant. Ces métaphores constituent un grand intérêt dans le champ thérapeutique, elles décrivent parfaitement les dysfonctionnements de l'enveloppe corporelle et psychique. Ces signifiants s'originent dans la petite enfance avant l'acquisition du langage ; l'enfant s'en est profondément imprégné dans son fonctionnement psychique. Là se sont inscrits des impressions, des émotions, des sensations sans mise en mots qui n'ont trouvé comme support que les images tactiles, kinesthésiques, cénesthésiques.

La relaxation va proposer des inductions métaphoriques d'images du corps positives : « *sentez votre corps solide comme un roc* », « *imaginez-vous respirant un air vivifiant* ».

Le langage chez l'enfant prend naissance en premier lieu des objets, des sensations, des images ; la thérapie de relaxation est révélatrice du langage archaïque du corps, selon Y. Ranty elle occupe une fonction lexithymique, c'est-à-dire qu'elle oblige dans un second temps de parler des émotions ressenties par opposition à la notion d'alexithymie de Nemiah et Sifnéos dans les années 70, pour décrire l'impossibilité d'un sujet de pouvoir mettre en mots ses émotions. Il n'est pas rare de constater que certains patients qui ont du mal à parler de leurs émotions au début de la cure, trouvent les mots plus facilement après quelques séances.

« Non seulement, elle fait surgir du corps un langage archaïque fait d'esthésies oubliées, d'images insolites et de mots incarnés, mais elle permet aussi la survenue d'un langage verbal jusqu'alors contre investi car trop traumatique pour être verbalisable ¹² ».

Pour M. Monjauze dans son ouvrage, « *La part alcoolique du Soi* » (1999, Dunod), l'alcoolique s'alcoolise dans le but d'une reviviscence d'un traumatisme que l'alcool réactive, l'alcoolique présenterait un clivage du Soi, une part alcoolique du Soi opposée à l'autre part saine. Chez l'alcoolique la représentation du plein émane d'une faille « bio-psychologique du ressenti » avec angoisse

de dessiccation faisant suite à la naissance et une difficulté à se représenter la sensation de plein qui demande à être constamment vérifiée par rapport au vide. D'où la nécessité de travailler avec les sensations kinesthésiques du corps afin d'appriivoiser les différentes sensations ; les images que le relaxateur propose aux relaxant peuvent inviter à imaginer la différence entre ce plein et ce vide, qu'il soit corporel ou imagé, les inductions contribuent à construire ce genre de tremplin qui fera lien. Selon Winnicott : « *la psychothérapie s'effectue là où deux aires de jeux se chevauchent, celle du patient et celle du thérapeute* ¹³ », ce dont parle ici l'auteur est très vraisemblablement une aire de rencontre entre deux inconscients et l'en-jeu relationnel qui va s'y dérouler, à savoir : les enjeux transférentiels et contre transférentiels. Le relaxateur se pare du rôle de « bonne mère » aux mains desquelles le patient s'abandonne corps et âme. Au fur et à mesure de la progression de la thérapie, le sujet alcoolique va restaurer son narcissisme et son image de Soi. Il n'est pas rare que redémarrent les motivations et que le sport, les activités, le goût de la coquetterie viennent prendre place dans la vie du sujet, le plaisir et la maîtrise revenus.

« Maire Josée Hissard, a pu montrer statistiquement que la relaxation, doublée en parallèle par des entretiens de psychothérapie, donnait des résultats bien supérieurs à toute autre prise en charge des alcooliques, la relaxation modifierait positivement les résultats habituels (39% contre 28.5 % d'abstinents ou sobres) et que dans le groupe associant les deux (91% devenaient abstinents ou sobres) ¹⁴ ».

Le « succès » d'une thérapie de relaxation doit être identifiable chez le sujet par des changements au niveau du fonctionnement mental, une meilleure élaboration psychique, une réduction symptomatologique. Le patient doit être en mesure de ne plus avoir besoin du thérapeute pour se concentrer sur lui. Il investit son corps comme objet propre dont il est redevenu propriétaire et dont il devra prendre soin.

Dans le cadre de la recherche présentée ici, il nous faut démontrer matériellement cette faille de l'élaboration psychique de l'image du corps chez le sujet alcoolique. Aussi, à la lecture de divers travaux, le dessin semble tout indiqué pour aborder la problématique. Cette technique qui peut sembler de prime abord étrange car souvent associée aux techniques d'investigations de l'enfant, n'est pas moins adaptée à l'adulte. Il y a deux raisons à cela :

- le dessin permet d'éviter le recours à la verbalisation, qui, chez le patient alcoolique demeure souvent une difficulté ; parler de soi, de ses ressentis et qui

plus est de la façon dont on se voit, n'est vraiment pas aisé pour nos patients alcooliques.

- le dessin constitue une technique projective de l'image du corps, « *cette image est une synthèse vivante à tout moment actuelle de nos expériences émotionnelles répétitivement vécues à travers les sensations érogènes électives, archaïques ou actuelles de notre corps et dont un émoi évocateur actuel oriente le choix inconscient des associations émotionnelles sous-jacentes qu'il permet de laisser affleurer* ¹⁵ ».

Il semble, dès lors, que l'alcoolique ayant été peu ou mal investi corporellement par la mère, puisse par la méthode graphique nous livrer la manière dont il perçoit son image du corps. A. De Mijolla et S.A Shentoub (1973) ¹⁶, déjà cités dans ces travaux parlent de « *zones muettes* », pour exprimer ces zones du corps privées de sensorium aussi archaïque qu'il soit.

L'étude faite autour des dessins de patients alcooliques a été développée par J-C Archambault qui parle de « *néгатоскопие* », terme qui désigne le fait que « *dans la majorité des cas, il (l'alcoolique) se représente comme asexué, indifférencié sur le plan de la forme. Il se dessine en une juxtaposition de ronds signifiant la tête, le tronc, les membres. Ce corps encombrant, neutre, ne possède pas de contenu : il manque aussi les yeux, le nez, la bouche qui donnent au visage une expression première de vibration, de relation. Les petits traits, généralement mal assurés et sans vigueur, ne tracent qu'une forme vide qui ne ressemble en rien au schéma corporel (...)* ¹⁷ ».

En proposant aux patients alcooliques de dessiner l'image qu'ils se font de leur corps, nous devrions y repérer les éléments manquants, les indices détaillés par J-C Archambault comme marqueurs de la « *néгатоскопие* » qu'il prétend retrouver dans la représentation graphique que les alcooliques se font de l'image de leur corps.

Un aspect se rencontre dans la prise en charge des patients alcoolos dépendants dont nous ne pouvons occulter l'importance ici. C'est celui de la prise en charge de leur sevrage. Les conditions dans lesquelles celui-ci se réalise sont un facteur déterminant pour la participation et l'investissement des patients dans la thérapie qui nous intéresse. L'alcool venait titiller des sensations qui jusque là demeuraient inexistantes, l'alcool apportait l'impression d'exister à travers la chaleur procurée par l'absorption, l'étourdissement, l'engourdissement des gestes devenus moins aisés et qui rappellent qu'il y a effectivement un corps constitué de différentes zones devenues incontrôlables, et qui, de ce fait, se font présentes plus que jamais.

Lors du sevrage physique à l'alcool, ces particularités symptomatiques risquent fort de s'accroître, c'est-à-dire que le rôle kinesthésique de l'alcool ne jouera plus en faveur de sensations au niveau du corps. De nouveau, le sujet se retrouve aux prises d'angoisses terribles, affublé qu'il est d'une enveloppe corporelle dont il ne sait que faire, l'absence de ce corps vide va se réveiller. Le protocole de soins lors d'une cure de sevrage à l'alcool prévoit une aide médicamenteuse sur les bases d'un traitement anxiolytique, voire antidépresseur : il n'est pas rare qu'un sevrage laisse la place à une dépression. Non seulement il faut prévenir le problème psychique, mais également les conséquences physiques appelés syndrome de sevrage qui se caractérise :

- sur le plan physique : par une augmentation de la transpiration, tachycardie, tremblements, nausées, déshydratation, crise d'épilepsie, malaises, perte de connaissance, hallucinations visuelles, tactiles ou auditives, un delirium tremens.
- sur le plan psychique : par l'anxiété, des insomnies, des pensées obsédantes autour du produit, syndrome dépressif¹⁸.

Les effets de ces traitements ont pour objectif d'éviter les accidents de sevrage, devenus rares dans le cadre d'une démarche prophylactique. On peut donc considérer que la technique de relaxation constitue une indication pour le sujet alcoolique, celle-ci va interpeller l'éveil des sensations corporelles et permettre l'étayage du psychisme.

Paradoxe que de prétendre réinvestir le corps désinvesti du sujet alcoolique ? Non, si on garde à l'esprit qu'il demeure toujours chez lui des zones du corps protégées si petites soient elles, sur lesquelles viendront s'étayer bientôt d'autres zones corporelles.

L'exposé de la problématique arrive à son terme, ce sont les perspectives de changements qui occupent notre intérêt maintenant. Des patients ont accepté de se prêter à cette démarche de recherche. C'est au travers de nos hypothèses que nous allons élaborer notre travail de recherche et aborder nos analyses, en vue de vérifier le bien fondé de notre postulat.

1.2-Hypothèses

En nous référant aux apports théoriques publiés dans un article précédent, qui fondent cette recherche, à savoir : sur quelles bases relationnelles la genèse

de la conscience du corps et qui plus est la perception de son image, s'est-elle élaborée chez la personne alcoolique dépendante : nous pouvons poser la première hypothèse :

Première hypothèse sujette à vérification :

I – Le sujet alcoolique dépendant présenterait une mauvaise élaboration de l'image de son corps.

Nous avons formulé une seconde hypothèse afin de répondre à l'objectif de la recherche :

II- Une thérapie de relaxation, méthode corporelle, devrait permettre au sujet, une ébauche de symbolisation de son image corporelle.

Les dessins devraient nous livrer des indices permettant de repérer chez les sujets testés un travail de réinvestissement de leur image corporelle, ainsi que le recueil du contenu de leurs discours. C'est dans la partie méthodologique que nous allons tenter de le démontrer et vérifier ainsi nos hypothèses retenues. Nous allons détailler le travail du recueil des données, leur traitement et leur analyse, la finalité étant de confirmer ou infirmer les hypothèses retenues.

Deuxième Partie : Méthodologie

2.1-Terrain de recherche

Ce travail d'investigation a eu lieu dans un Centre Hospitalier au Liban à Beyrouth en 2024. Il s'agit plus particulièrement du service d'accueil pour personne alcoolique dépendantes. Ce centre peut accueillir jusqu'à dix patients maximums du lundi au vendredi. Chaque patient y est inscrit pour un cycle de soins qui dure quatre semaines. Une première semaine de soins infirmiers de sevrage physique à l'alcool (dans différents services d'accueil en fonction du lieu géographique d'habitation du patient, service où il séjournera durant tout le cycle de soins) puis, trois semaines de soins thérapeutiques au sein des ateliers de ce centre. Il va être question pour nous ici de l'atelier relaxation qui fait l'objet de la seconde hypothèse de recherche de nos travaux à savoir : une thérapie de relaxation, après cinq séances, devrait permettre aux patients l'ébauche d'une réappropriation de leur image corporelle.

2.2-Les patients

Ce travail de recherche a sollicité la participation volontaire de 13 patients des deux sexes, 6 femmes et 7 hommes. La tranche d'âge se situe entre 32 ans et 51 ans. La recherche étant anonyme il leur a été attribué à chacun une lettre de l'alphabet, voici leur présentation :

Femmes :

A : âgée de 50 ans, a commencé les alcoolisations à l'âge de 19 ans environ. Elle dit avoir participé aux 3^{ème} mi-temps du foot (les moments où chacun se « désaltère » un peu plus que de raison) puis, un mariage non heureux ainsi que la naissance du premier enfant n'ont fait que renforcer ses expériences à l'alcool. Première cure.

D : âgée de 31 ans, jeune femme qui a très jeune fait beaucoup « la fête » et y associait également de la consommation de toxiques. Elle en est à sa deuxième cure.

E : âgée de 43 ans, pas d'éléments précis concernant ses expériences alcooliques dans leur historique, femme très nostalgique de son enfance en Afrique. Seconde cure pour elle.

G : âgée de 47 ans, s'alcoolise depuis 2000, peu d'informations sur son passé alcoolique.

J : âgée de 32 ans, problème de poly toxicomanie résolu récemment, elle a commencé très tôt ses expériences avec l'alcool, avant 20 ans, en compagnie de son grand-père. Cure précédente ?

K : âgée de 35, alcoolisme chronique ancien, une histoire familiale très chaotique qui laisse ses marques traumatiques.

Hommes :

B : âgé de 51 ans, rencontre l'alcool vers 17-18 ans lors de fêtes, il boit alors de la bière. Plus tard, l'alcool l'aide à faire face à la grave maladie de son épouse dit-il. Première cure.

C : âgé de 40 ans, rencontre l'alcool en 2012 à l'armée. Consomme alors sans rencontrer de problème. Il augmente sa consommation et en 2018 un grave accident de la route du père le plonge dans l'alcool. C effectue sa première cure.

F : âgé de 46 ans, présente une grande instabilité professionnelle, il divorce à l'âge de 30 ans. Il est licencié pour raison économique en 2013, il dit alors boire le soir. Il fait peu état des quantités absorbées, mais une pancréatite en 2022 en laisse supposer l'importance. F fait une première cure.

H : âgé de 34 ans, boit depuis l'âge de 16 ans, d'abord de manière festive puis de plus en plus en solitaire.

I : âgé de 35 ans, il boit depuis l'âge de 14 ans, sa consommation est pour une part festive, puis solitaire. Battu par son père il était un adolescent violent. En 2009, première hospitalisation à Montpellier pour un sevrage, puis deux autres suivront suite à une séparation sentimentale. I effectue à ce jour sa quatrième cure.

L : âgé de 39 ans, il a bu dès la 6^{ème} « en cachette » et n'en est pas à sa première tentative de sevrage, il effectue sa troisième cure. Son séjour à l'armée en 2007 n'a fait qu'aggraver son alcoolisme. Ce monsieur montre une violence envers son épouse sous l'emprise de l'alcool. Personne qui se sent très dévalorisée par rapport au regard familial

M : âgé de 46 ans, alcoolisme festif puis son divorce en 2016 a accentué ses alcoolisations. Il fréquente les bars, alcoolisme partagé en groupe de copains. Il a déjà effectué des cures.

Les patients sont en cycle de soins soit en hospitalisation libre (HL) volontaire, ou à la demande d'un tiers, souvent un membre de la famille (HDT).

2.3-La relaxation proposée selon Schultz (1932)

La seconde hypothèse qui nous sert de trame pour notre recherche introduit la technique de relaxation. Celle qui a été proposée aux patients est la méthode de Schultz. La méthode de Schultz dite : « training autogène » est née des études sur le sommeil de Vogt et Brodman, entre les années 1894 et 1903 à Berlin. Elle consiste en l'invitation à des sensations de pesanteur et de chaleur. Elle a la particularité de nommer chaque segment des différents membres du corps et permet un travail de ressenti corporel intéressant pour nos patients alcoolos dépendants et au regard de nos hypothèses.

Une séance se déroule généralement soit en position assise ou allongée et dans un endroit serein. La durée varie de 30 à 45 minutes, on y propose un travail de relaxation en différentes phases plus ou moins complètes en fonction du relaxateur, mais aussi du public accueilli. Voici pour exemple le déroulement d'une séance type :

- 1) Installation des patients au sol, sur un tapis avec une couverture. Présentation de la méthode pour les non initiés et l'objectif.
- 2) Musique d'accompagnement, inductions au calme les yeux fermés.
- 3) Exercices de respiration calme et profonde.
- 4) Invitation aux premières expériences de pesanteur des différentes parties corporelles, « mon bras est lourd », (moment où le patient doit progressivement atteindre l'auto décontraction).

- 5) Expériences de chaleur, « ma jambe est chaude », (une vaso dilatation vasculaire en est la cause).
- 6) Aider à faire prendre conscience du cœur si cela n'angoisse pas trop.
- 7) On peut y suggérer des représentations imagées avec des odeurs, des couleurs à visualiser.
- 8) Contrôle respiratoire, régulièrement, « je respire calmement et profondément ».
- 9) Invitation à la sensation de fraîcheur frontale.
- 10) Retour à la réalité avec les mouvements des mains, des pieds, étirements, respirations profonde, ouverture des yeux.

C'est ensuite un moment important d'échanges des ressentis, des images, des difficultés, ... Cette technique de relaxation a servi de base à notre recherche et nous allons en développer la méthode spécifique

2.4-Méthode

Puisque la technique de relaxation, selon notre deuxième hypothèse, devrait permettre aux patients alcoolo dépendants une amélioration de l'élaboration de l'image qu'ils se font de leur corps, la méthode consiste donc à mettre en évidence cette problématique de l'image corporelle.

Nous avons fait l'hypothèse que le sujet alcoolo dépendant avait une mauvaise élaboration de l'image de son corps en entrant en cycle de soins. Puis, cinq séances de relaxation devraient modifier le regard que l'alcoololo dépendant porte sur son image corporelle. La recherche se déroule donc en deux temps :

1 - à l'aide d'un dessin réalisé par chaque patient dès son admission au cycle de soins et avant la première séance de relaxation, ainsi qu'un entretien semi directif relatif à la manière dont le patient investit son image corporelle et le signifie verbalement.

. Au niveau graphique

Nous devrions repérer dans ces dessins à cette phase de la recherche des éléments absents, signant ainsi la problématique de l'image que se font de leur corps chaque patient. Selon la littérature nous devrions y déceler les troubles de la représentation corporelle, selon les caractéristiques suivantes et d'après J-C Archambault (1992) :

La nature des traits, légers, hachurés, flous ou sans limites distincts devrait

attirer notre attention. Les caractéristiques des éléments du monde sensible tels que l'absence du nez, des yeux ou très schématisés, des oreilles, la bouche serviront de critères à la manière dont les patients élaborent l'image de leur corps.

. Au niveau du discours des patients

Huit questions ont été élaborées pour cibler la manière dont chaque patient vit l'image de son corps :

- 1- Pouvez-vous commenter votre dessin ?
- 2- Sentez-vous votre corps comme encombrant ?
- 3- Y a-t-il des parties corporelles qui vous gênent ?
- 4- Vous inspire-t-il de la honte ?
- 5- Aimez-vous vous regarder dans un miroir ?
- 6- Lorsque vous vous habillez le matin, est-ce une corvée, une routine ou un art ?
- 7- L'image que vous donnez à voir aux autres, la préférez-vous discrète ou attirante ?
- 8- Auriez-vous aimé avoir un autre corps ? Si oui, lequel ?

Ici, dans les réponses attendues, nous supposons en fonction des hypothèses que les patients devraient montrer un discours sur le registre négatif de l'image d'eux même à l'entrée en cycle de soins.

2 - le deuxième temps consiste en l'analyse par comparaison des dessins puis des entretiens de chaque patient après une série de cinq séances de relaxation aux dessins et entretiens réalisés à l'admission.

. Au niveau graphique

Les dessins devraient montrer une amélioration de l'élaboration de l'image du corps des patients, caractérisée par :

Une amélioration des contours graphique en qualité, moins hachurés, plus appuyés, traits assurés délimitants bien l'extérieur de l'intérieur. La présence des éléments du monde sensible tels : nez, bouche, oreilles, yeux ou leur amélioration graphique sensible.

. Au niveau du discours des patients

Les réponses attendues devraient être du registre positif quant à l'image que les patients ont de leur corps toujours en fonction des hypothèses formulées.

2.5-Recueil des données

Chaque patient volontaire s'est vu remettre une lettre expliquant le travail

de recherche auquel il allait participer ainsi que les modalités de recueil des données.

Un bureau était à disposition afin d'y recevoir chaque semaine les patients. Les lundis se déroulaient les entretiens, le matin pour les patients nouvellement arrivés et avant leur toute première séance de relaxation. Les lundis après midi, étaient reçus les patients qui avaient suivi les cinq séances de relaxation afin de se prêter à nouveau à l'expérience.

Il était présenté à chaque patient une feuille de format A4 avec cette seule consigne :

« Pouvez-vous dessiner l'image que vous avez de votre corps » ?

Un crayon à papier, un taille crayon et une gomme étaient leurs instruments pour la réalisation de la consigne.

A la suite du dessin réalisé par le patient, était proposé l'entretien semi directif, constitués des huit questions ciblant la manière dont chacun vivait l'image qu'il a de son corps.

Nous avons veillé à ce que les conditions de déroulement des entretiens soient les mêmes chaque semaine.

2.6-Analyses

Avant toute analyse, il est important de livrer ici la codification attribuée aux différents recueils des données, ainsi :

A chaque patient il a été attribué une lettre alphabétique et un chiffre pour notifier le temps 1, avant thérapie du temps 2, après thérapie. Le patient A est ainsi identifié avant sa participation à la thérapie en A1, puis en A2 après les cinq séances de relaxation. Enfin, l'identité sexuelle est matérialisée par : ♀ pour les femmes et ♂ pour les hommes. Cette codification étant destinée à faciliter la lecture des différentes données.

A) Analyse graphique avant thérapie.

Repérons les dessins de patients aux limites corporelles caractérisées par :

- un graphisme hachuré : H1, L1 et J1 (bras).
- un graphisme léger : L1 (presque invisible).
- un graphisme au contour mal délimité, flou : D1 (sans pieds), K1, L1, H1 (sans pieds).
- une absence totale de corps ou corps bâton : E1 (bâton) et F1 (sans corps).

Repérons les dessins de patients caractérisés par la particularité des éléments du monde sensible tels :

- absence de nez : C1, L1
- absence de la bouche : C1,
- yeux caractéristiques : A1 (points), B1 (traits), D1 (traits), F1 (traits), E1 (traits), C1 et L1 (ronds vides).

Les dessins des patients D1 et M1 sont particuliers.

D1 se représente dans une bulle complètement fermée, personnage au corps flou et non fermé, sans mains, ni pieds.

M1 se représente métaphoriquement sous la forme d'un oiseau en plein vol. Ils feront l'objet d'une analyse particulière ultérieurement.

1) Tableau récapitulatif des données graphiques avant thérapie.

Sujets	Nature des traits			Eléments du monde sensible		
	Légers	Hachurés	Flous	Yeux	Nez	Bouche
A1				+		
B1				+		
C1				+	+	+
D1			+	+		
E1				+		
F1				+		
G1					+	
H1		+	+			
I1	+					
J1		+				
K1			+			
L1	+	+	+	+	+	
M1 ♂	Dessin particulier, le patient se représente sous les traits d'un oiseau.					

L'analyse de ces premières données nous permet de comptabiliser parmi les 13 patients :

6 patients sur les 13 présentent une particularité au niveau de la nature des traits, signifiant la caractéristique par laquelle ils élaborent l'image de leur corps.

8 patients sur les 13 présentent une particularité au niveau des éléments du monde sensible, signifiant la caractéristique par laquelle leur image corporelle semble altérée.

Soit au total 12 dessins sur 13 présentent au moins une des deux particularité de l'altération de l'image de leur corps. A noter que les patients E1 et F1 présentent une particularité, E1 montre un corps bâton, F1 n'a aucun corps représenté, seule la tête est représentée.

B) Analyses des entretiens avant thérapie

Au niveau des réponses attendues aux huit questions qui ont servi à élaborer les entretiens semi directifs, nous nous attendions à obtenir des réponses plutôt du registre négatif sur la manière dont les patients abordaient l'image de leur corps.

Avant les cinq séances de relaxation, nous pouvions pour chacune des huit questions observer :

1- Pouvez-vous commenter votre dessin ?

11 réponses négatives, 1 positive et 1 indéterminée.

2- Sentez-vous votre corps comme encombrant ?

6 réponses négatives, 7 positives.

3- Y a-t-il des parties corporelles qui vous gênent ?

12 réponses négatives, 1 positives.

4- Vous inspire-t-il de la honte ?

8 réponses négatives, 5 positives.

5- Aimez-vous vous regarder sans un miroir ?

6 réponses négatives, 6 positives et 1 indéterminée.

6- Lorsque vous vous habillez le matin, est-ce une corvée, une routine ou un art ?

7 réponses négatives, 6 positives.

7- L'image que vous donnez à voir aux autres, la préférez-vous discrète ou attirante ?

6 réponses négatives, 4 positives et 3 indéterminées.

8- Auriez-vous aimé avoir un autre corps ? Si oui lequel ?

6 réponses négatives, 6 positives et 1 indéterminée.

Mise en garde :

Le tableau qui va suivre tient compte des implicites données par les patients dans leurs réponses, (ex : réponse : « Oui », à la question n° 8 = réponse codée négativement, puisque le sujet n'aime pas son corps. Donc : N

2) Tableau récapitulatif des données des entretiens avant thérapie.

Légendes :

N : réponses sur le registre négatif

P : réponses sur le registre positif

I : réponses indéterminées (oui/non, floues)

Sujets	A ⊕	B ♂	C ♂	D ⊕	E ⊕	F ♂	G ⊕	H ♂	I ♂	J ⊕	K ⊕	L ♂	M ♂
Questions													
1	N	N	N	N	N	N	N	I	N	N	P	N	N
2	P	P	N	N	P	P	P	N	N	N	N	P	P
3	N	P	N	N	N	N	N	N	N	N	N	N	N
4	N	P	N	N	P	N	N	P	N	N	P	N	P
5	N	P	I	N	P	P	P	P	N	N	N	P	N
6	N	P	N	N	P	P	N	P	N	P	P	N	N
7	N	N	P	P	I	N	I	N	I	N	N	P	P
8	P	P	N	N	P	P	N	N	N	I	P	N	P
N	6	2	6	7	2	4	5	4	7	6	4	5	4
P	2	6	1	1	5	4	2	3	0	1	4	3	4
I	0	0	1	0	1	0	1	1	1	1	0	0	0

Les sujets A, C, D, G, H, I, J, L présentent un discours négatif majoritairement dans leurs réponses aux huit questions de l'entretien. Soit 8 sujets sur 13.

Les sujets B et E présentent un discours majoritairement positif dans leurs réponses aux huit questions de l'entretien.

Les sujets F, K, M, présentent un discours équilibré entre les réponses négatives et positives dans leurs réponses.

2.7 Analyses comparatives après cinq séances de relaxation

Il nous importe à ce niveau de l'analyse de comparer les productions graphiques et discursives des patients. Puisque l'hypothèse prétend à une évolution de l'élaboration de l'image du corps chez le sujet alcoolo dépendant après cinq séances de relaxation, évolution identifiable au niveau graphique et discursif. Les dessins devraient montrer des améliorations au niveau des traits de crayon,

plus appuyés, sans hachure, des contours plus assurés. Les éléments du monde sensible devraient être signifiés de manière plus importante, plus détaillés. Au niveau du discours des patients lors des entretiens, nous nous attendons à observer des réponses majoritairement du registre positif.

A) Analyse graphique après les cinq séances de relaxation

Y a-t-il des améliorations repérables au niveau graphique dans l'élaboration des dessins des patients ?

- un graphisme moins hachuré, plus assuré ou délimité : I2 (traits plus appuyés), D2 (corps avec limite), H2 (pieds représentés), F2 (corps représenté).
- La présence des éléments du monde sensible : C2 (nez et bouche représentés), A2 (yeux complets), C2 (nez représenté).

Avant la thérapie de relaxation, nous avons observé que 12 patients sur 13 présentaient au moins une des deux particularités de l'altération de l'image de leur corps. Ici, nous constatons que 7 des 12 patients ont amélioré la manière d'élaborer cette image.

3) Tableau récapitulatif des patients ayant amélioré le graphisme de l'image de leur corps

	Sujets	Sujets
Traits appuyés	I2 ♂	
Corps limité	D2 ♀	H2 ♂ (pieds)
Corps représenté	F2 ♂	
Yeux complets	A2 ♀	C2 ♂
Nez représenté	C2 ♂	G1 ♀
Bouche représentée	C2 ♂	

B) Analyse des entretiens après cinq séances de relaxation

Nous constatons qu'après la thérapie de relaxation les patients : A, B, C, D, E, F, H, I, K, L, M proposent un discours nettement plus positif qu'avant la thérapie.

Soit 11 patients sur 13.

Les patients : G et J proposent un discours ou domine les réponses négatives après thérapie, le patient E, après thérapie, propose deux réponses indéterminées, mais il conserve les deux réponses positives avant thérapie.

4) Tableau récapitulatif des données des entretiens après thérapie.

Légendes :

N : réponses sur le registre négatif

P : réponses sur le registre positif

I : réponses indéterminées (oui/non, floues)

Sujets	A ♀	B ♂	C ♂	D ♀	E ♀	F ♂	G ♀	H ♂	I ♂	J ♀	K ♀	L ♂	M ♂
Questions													
1	P	N	P	P	N	P	N	P	P	I	P	P	N
2	P	P	P	P	P	P	N	P	N	N	P	P	P
3	N	P	N	N	P	N	N	N	N	N	N	N	P
4	P	P	P	P	P	P	P	P	P	N	P	N	P
5	P	P	P	P	P	P	I	P	P	I	P	P	P
6	P	N	P	P	I	P	N	P	P	P	I	N	N
7	P	N	N	P	I	P	N	I	I	P	N	I	N
8	P	P	N	N	P	P	N	P	P	N	P	P	P
N	1	3	3	2	1	1	6	1	1	4	2	3	3
P	7	5	5	6	5	7	1	6	6	1	5	4	5
I	0	0	1	0	2	0	1	1	1	2	1	1	0

Les sujets A, B, C, D, E, F, H, I, K, L, M présentent un discours positif majoritairement dans leurs réponses aux huit questions de l'entretien. Soit 11 patients sur 13.

Nos conclusions :

Au niveau du graphisme nous avons pu constater que 7 patients sur 12 avaient amélioré l'élaboration graphique de l'image de leur corps, ce qui représente plus de 50 % de l'effectif. Il s'agit des patients A, C, D, F, G, H et I. Les cinq autres patients B, E, J, K, L n'ayant pas montré d'évolution, voire pour I et L une dégradation. I s'étant représenté de très petite taille au second dessin et avec beaucoup d'éléments absents (oreilles, nez, cheveux....) et le patient L propose en second dessin un corps aux limites encore plus floues et une absence totale du corps à partir du bassin, alors que le corps entier était représenté lors du premier dessin. Il s'agit de deux patients qui présentaient un état dépressif en cours de cycle.

Nous avons souhaité faire une remarque particulière concernant les dessins

des sujets D et M. En effet, D1 s'est dessinée dans une bulle fermée symbolisant cette fermeture au monde, cet enfermement induit par l'alcool (dixit la patiente). En D2, cette bulle s'est ouverte pour signer ainsi le travail de prise de conscience de la patiente et son essor vers sa liberté. Le dessin de M1 est métaphorique, il s'est représenté en oiseau, il a gardé cet aspect en M2. Ces deux derniers patients ont présenté au niveau discursif une inversion qui nous intéresse puisque leurs discours étaient sur le registre négatif avant thérapie, puis sur le registre positif après thérapie.

Au niveau des discours des patients nous constatons que les patients A, C, D, G, H, I, J, L soit 8 sur 13 patients présentaient un discours négatifs sur l'image de leur corps avant thérapie et que 11 sur 13 ont proposé un discours positif après thérapie. Soit les patients : A, B, C, D, E, F, H, I, K, L, M sachant que le patient B présentait au premier entretien une image positive de lui même. Les sujets F, K et M au premier entretien présentaient un discours qui s'équilibrait entre réponses négatives et positives. Enfin, les sujets G et J proposaient un discours sur le registre négatif plus important après thérapie qu'avant, mécanismes défensifs, état dépressif latent ? Le patient E proposait lui, des réponses indéterminées au nombre de deux, diminuant ainsi ses réponses négatives et maintenant celles positives mais rendant l'interprétation incertaine et difficile.

Remarques :

Nous nous sommes aperçus que l'évolution de l'image du corps à travers le dessin était moins probante qu'à travers le discours. Le dessin fait appel en effet à une certaine dextérité et demande un certain regard, un recul face à soi-même, un effort de représentation de soi, qui ne va pas forcément de soi, justement. Les conditions n'étant certainement pas une aide, le stress, la peur du jugement.

Le discours, lui, contre toute attente semblait plus accessible chez les patients reçus et permettait la facilité de la mise en mots des ressentis et de leur manière de se voir.

Au regard des résultats, il nous appartient d'en aborder maintenant les interprétations cliniques.

Troisième partie : Discussion et interprétation de résultats

3.1- Mise à l'épreuve des hypothèses

La première hypothèse prétendait à l'existence d'une mauvaise élaboration

de l'image du corps chez le patient alcoolo dépendant, que des dessins et un entretien devaient mettre en évidence. Les résultats montrent au niveau graphique : que 6 sujets sur 13 présentent une mauvaise élaboration des limites de leur corps, 7 sujets sur 13 présentent un manque au niveau des éléments du monde sensible.

Soit 12 patients sur les 13 montrent au moins un des deux particularités de l'altération de l'image de leur corps. Au niveau des discours des sujets : 8 patients sur 13 présentaient un discours sur le registre négatif sur l'image de leur corps. Notre première hypothèse est donc validée.

La recherche met en évidence la mauvaise élaboration de l'image du corps des patients alcoolo dépendants et va dans le sens du cadre théorique défendu dans notre travail : une désarticulation entre le psychisme et le somatique.

La seconde hypothèse nécessitait une comparaison des productions graphiques et discursives après une thérapie de relaxation, soit cinq séances. Les critères retenus pour valider l'ébauche d'une amélioration de l'élaboration de l'image du corps chez les patients, permettent le constat suivant : sur les 12 patients présentant une des deux caractéristiques de l'altération de l'image de leur corps, 7 ont amélioré cette image. Au niveau du discours sur la manière dont les patients percevaient l'image de leur corps, 8 sur les 13 avaient une mauvaise image de leur corps mais après thérapie 11 sur les 13 avaient retrouvé un discours sur le registre positif. Les résultats vont dans le sens de la seconde hypothèse, une thérapie de relaxation est indiquée pour permettre au sujet alcoolo dépendant une ébauche de réappropriation de l'image de son corps.

3.2-Interprétation clinique

Les aspects théoriques présentés dans l'article précédent, postulent en une relation particulière entre l'objet maternant et l'enfant futur alcoolique. Un désinvestissement ou des incidents corporels précoces avec pour conséquences un manque de stimulations nécessaires à la constitution de l'enveloppe corporelle chez le sujet. L'alcool est venu, souvent très tôt, donner au vécu corporel ces sensations utiles à un semblant d'existence. L'analyse des dessins des patients ainsi que le contenu de leurs discours montrent un vécu de leur image corporelle défectueux. Beaucoup de manques dans les dessins, des limites floues expliquent cette confusion entre l'extérieur et l'intérieur, un corps mal assuré car trop peu tenu serré par des bras rassurants, sécurisants. L'absence des éléments du monde sensible peuvent s'interpréter comme signifiant cette absence du regard maternel, le nez marquant cette mère trop loin de son bébé ce dernier ne pouvait alors sentir ses odeurs rassurantes, la

bouche qui n'embrassait pas. Le psychisme du petit n'a donc pu rien inscrire au niveau de son existence corporelle, il s'agit bien ici d'une scission entre le psychisme et le somatique. Le corps de l'enfant n'attendait plus que ces stimulations corporelles pour exister, différencié, sujet de sa propre expérience et de sa future vie.

Le discours des patients est souvent démodalisé, l'absence du « Je » est significative, « l'alcoolique emploie de préférence des signes vides, plus syntaxiques que grammaticaux. Il lui est impossible de prendre lui-même la responsabilité du message... »

La fonction maternante de nomination de la thérapie de relaxation vient quant à elle donner existence à ces corps en dérive en proie à la liquéfaction puisque comme nous le savons : « dans le psychisme, ce qui n'a pas été nommé n'a pas d'existence » (Monjauzé, 2001). Aussi, l'intervention du thérapeute et sa fonction contenant, métaphorisante permet de co-construire une représentation corporelle faite d'images et de sensations permettant un ressenti des zones du corps. Il s'agit de faire parler ces « zones muettes » (A. De Mijolla et S.A Shentoub, 1973). Le sujet va réveiller ses parties corporelles jusque là laissées en attente d'un intérêt tant attendu. Les dessins et les discours des patients après la thérapie de relaxation laissent apparaître un nouvel investissement pour ce corps qui leur appartient. Bien souvent, la simple consigne qui leur demandait de bien vouloir dessiner l'image qu'il se faisait de leur corps paraissait si inattendue, quelques patients expliquaient clairement leur étonnement devant ce genre d'intérêt porté à leur image ! Corps en « friche » qui n'attendaient plus que le « bon jardinier » en la personne du thérapeute pour pouvoir éclore

4-Limites et écueils

Comme tout travail de recherche, celui-ci est confronté à ses limites, ses difficultés rencontrées. Un regard critique et aussi objectif que possible paraît être le meilleur des guides pour en déterminer la portée.

- Au premier rang nous ne pouvons opposer la petite taille de l'échantillon, celui-ci n'étant pas représentatif et interdit toute généralisation quant aux résultats et leurs conclusions.
- L'absence d'un groupe témoin sur lequel nous aurions pu établir des observations fines et contradictoires.
- Les patients ont participé à d'autres ateliers thérapeutiques. Quelle est la part réelle de la relaxation dans la réhabilitation de l'image du corps ? La constitution de différents groupes de patients bénéficiant d'ateliers thérapeutiques autre

que la relaxation, aurait été un moyen de mettre à l'épreuve l'impacte de celle-ci, dans ce genre de prise en charge.

- Le dessin et le discours sont ils le reflet d'un ressenti de l'instant ou celui d'un état constant?
- Quel est l'ordre du changement induit par la consigne du dessin ?
- Certains patients, sous anxiolytique, se sont ils retrouvés dans l'impossibilité d'une réappropriation corporelle, une partie du corps et de l'esprit étant sédaté.
- Quel fut l'impact de mon statut de stagiaire en psychologie ?
- Les patients avaient-ils envie de me dire ce que j'avais envie d'entendre ? Dans le but de correspondre « au bon patient » et s'inclure ainsi dans la désirabilité sociale ? Ai-je vu ce que j'avais envie de voir, quel est le degré de mon objectivité ?

De telles interrogations méthodologiques et les écueils soulevés ici ne peuvent évidemment pas tous trouver de réponse satisfaisante, ne serait-ce que par confrontation à la réalité de terrain. Il ne peut être envisagé de « révolutionner » un cadre thérapeutique avec ses règles strictes. La constitution d'un groupe de contrôle serait l'idéale pour interpréter les biais identifiables, mais il est inenvisageable. Cela reviendrait à priver ce groupe d'un autre suivi en compensation ce qui n'est pas admissible sous le prétexte d'une démarche de recherche. Sur le plan déontologique le respect pour la souffrance des patients ne saurait être détournée sous quelque prétexte que ce soit. La relative hétérogénéité du groupe de sujets testés constitue un facteur réducteur dans l'interprétation des effets de la thérapie de relaxation sur la perception de l'image du corps. En effet, pouvoir constituer différents groupes de patients en fonction de différents critères psychopathologiques, par exemple des malades diagnostiqués états limites ou psychotiques, auraient t-ils permis d'identifier les mêmes critères de changement de l'image corporelle induite par la relaxation ?

5-Perspectives

L'étude de la population alcoolo dépendante soulève la question de l'après sevrage ? Qu'en est-il de se vide laissé par l'alcool, produit qui parfois à permis de vivre ? C'est la question qui va permettre d'entrevoir une perspective de recherche à ce travail, en prolongement de la prise en charge du public alcoolo dépendant après sevrage physique.

Il n'est pas rare de trouver alors des individus face à un vide laissé par l'alcool, vide retrouvé par l'abandon de ce dernier et qui laisse place à la dépression.

J.C Archambault pose la question : « *Dépression ou dépossession ? L'alcoolique s'inquiète de ne plus éprouver qu'il aime autre chose que l'alcool* ²² ».

Nous l'avons développé dans la partie théorique dans l'article précédent, il se peut que l'alcool ait joué un rôle extrêmement important : donner à ce corps au limites floues un contenant, par la sensation kinesthésique procuré par l'alcool. Que devient le corps de l'alcoolique sans son contenant ? La relaxation permet une réappropriation des différentes parties du corps et réconcilie le psychisme et le somatique. Seulement, lorsque la dépression occupe une place importante pour signifier le manque, le corps est en danger.

Le syndrome dépressif se caractérise entre autre, par des symptômes qui nous intéressent ici : une perte de l'estime de soi, une autodépréciation, une perte d'intérêts de la personne pour son hygiène par exemple, son aspect vestimentaire, bref, son image. Il est notoire que la personne dépressive souffre d'une impossibilité à imaginer qu'un désir trouve à se réaliser, la vision de soi est purement négative. Cette vision en négatif n'est pas sans rappeler celle que l'alcoolique a de son corps. Les dessins des patients montrent bien l'aspect de leur image en négation de certaines parties corporelles.

Ce qui attire notre attention c'est la similitude entre l'image de soi négative du dépressif et l'image négative du corps chez l'alcoolique. L'image de soi et celle du corps étant indissociable on interroge de nouveau la relation précoce de l'enfant à son entourage. F. Dolto nous rappelle combien le regard de l'autre est primordial dans la constitution de l'image de soi que l'enfant donne à voir : « *L'image scopique du corps, qui commence à prendre valeur à partir de 2-3 ans, refoule l'image préexistante et prend désormais le pas sur cette image scopique, l'enfant a appris à savoir que c'est elle qu'il donne à voir et que l'autre supporte de sa présence* ²³ ». Si dans l'autre on inclut le regard parental et que celui-ci n'en supporte justement pas la présence, nous l'avons vu la qualité du regard maternant porté à l'enfant est primordial dans la manière dont l'enfant va se sentir existant psychiquement et corporellement. Nous nous construisons au travers le regard de l'autre, en premier lieu, cet autre parental et c'est de la qualité de ce regard que dépend la construction de l'image de soi.

Lorsque la rencontre avec l'alcool est venu combler ce vide et donner consistance au corps en dérive, il paraît vraisemblable que la perte pour l'alcoolique de son objet alcool soit vécue comme un véritable deuil et que la dépression trouve à s'installer. La thérapie de relaxation dont l'un des objectifs

est de restaurer l'image du corps pour les patients alcoolo dépendants ; devient envisageable pour restaurer également l'image de soi, autrement dit d'aborder la dépression par la thérapie de relaxation afin de réparer quelque chose de l'ordre du narcissisme. Nos patients alcoolo dépendants et les dépressifs ont en commun une faille narcissique et la relaxation va chercher à redynamiser le corps de ces patients.

Un cycle de soin et des ateliers thérapeutiques prodigués à des patients alcooliques en cure de sevrage physique, constituent l'amorçage d'une prise en charge qu'il est souhaitable de poursuivre à la sortie. Cette précaution vaut pour prévenir l'incidence d'apparition de symptômes dépressifs qu'une prise en charge en ambulatoire pourra accompagner. La thérapie de relaxation proposée viendra colmater la brèche ouverte par la perte de l'objet, l'alcoolique va ainsi restaurer non seulement son narcissisme, mais du même coup son image de soi barrant ainsi la route à la symptomatologie dépressive.

Il va de soi que la valorisation de l'image de soi passe également vers un projet à la sortie d'une cure de sevrage à l'alcool. Il est important que le sujet comble le temps à des occupations professionnelles ou autres, afin que l'oisiveté ne puisse trouver de quoi offrir une place encore fragile pour la dépression au risque de s'effacer du monde extérieur.

Cet effacement est, contre toute attente, comparé à celui caractéristique dans l'autisme. En effet, M. Monjauze (2000) ose une recherche de la parenté entre : autisme et alcoolisme. Ce point de vue intéresse ici nos perspectives de l'approche de la relaxation pour le public autiste et alcoolique et nous semble très intéressante.

L'auteure fonde le lien entre les pathologies autistique et alcoolique d'après les ouvrages de G. Haag (1985)²⁴, D. Houzel (1985)²⁵ et Tustin (1985)²⁶. Dans la lecture de l'anamnèse des patients on y trouve les mêmes marques d'abandon. Les sujets présentent une incoordination motrice, les dessins les montrent dans un espace bidimensionnel avec la troisième dimension pressentie, le langage privilégie les terreurs de chutes, de trous sans fond. La main de l'autre « *annexée par l'autiste comme un collage permettant le faire faire, n'est-elle pas très différente de l'utilisation parcellaire de la femme par l'alcoolique, ce que Noiville²⁷ désignait par : « la main qui masturbe »²⁸.*

Devant le constat du vécu corporel pour les sujets autistes et alcooliques nous pourrions étudier la perspective d'une prise en charge par la thérapie de

relaxation spécifique dite : « Snoezelen ». C'est une approche de la relaxation psycho sensorielle, qui venant de Hollande, s'est développée en Angleterre depuis les années 1970. En France, l'introduction de cette technique est plus récente, elle remonte à moins de dix ans.

L'activité Snoezelen est la proposition d'expériences sensorielles variées dans une atmosphère de confiance et de détente. Elle a été en premier lieu pensée pour le public polyhandicapé, puis, il s'est avéré que le public autiste y était sensible.

Une salle Snoezelen est constituée de différents matériels pour stimuler les sens : audition, olfaction, la vue, le toucher, la cénesthésie, la kinesthésie, etc.,... On y trouve des matelas au sol, des matelas à eau, des colonnes à bulles, des fibres optiques, des haut – parleurs, des projecteurs avec roues tournantes qui proposent un défilement de décors colorés projetés aux murs, des murs tapissés de différents revêtements tactiles (stimulations douces, dures, lisses, rêches, etc., ...). Dans cet espace, tout le corps est stimulé, la participation est active et l'activité ne laisse jamais insensible.

L'intérêt d'une telle thérapie de relaxation selon la méthode Snoezelen pour les patients alcooliques comme pour les autistes face à leur problématique corporelle serait de leur permettre d'être plus présents. La rencontre de chacun avec son corps, son ressenti, a pour objectif de favoriser la relation à soi, mais aussi à l'autre : expression de soi, mise en relation au monde extérieur. Cela permet de recentrer et différencier le monde externe du monde interne si difficile à définir pour nos patients alcooliques. On peut supposer un travail :
→ reprendre contact avec soi → travail sur l'insécurité de base.

→ travail entre le corps et les sensations → les émotions et donc le mental.

Le corps pouvant être une barrière de protection, il ne s'agit pas de faire tomber celle-ci elle peut être nécessaire, mais de renouer contact avec le corps en tant que partie intégrante de soi et son image, dans la mise en relation au monde.

Cela paraît une perspective de travail de recherche intéressante en extension à notre travail sur la thérapie de relaxation dans la restauration de l'image du corps chez les patients alcoolo dépendants.

En dehors d'une technique de relaxation essentiellement verbale, par des inductions et des représentations imagées, pourquoi ne pas aborder la stimulation sensorielle effective. Les malades alcooliques présentent un corps mal investi, par manque de stimulations et d'attention spécifiques que nous

imaginons s'originer dans la relation maternante. Une thérapie de relaxation sensorielle ne pourrait-elle pas prétendre elle aussi l'aide au réinvestissement de son corps et de son image, mais également dans la consolidation de l'image de soi du sujet alcoolique afin de participer dans une démarche prophylactique à l'apparition du syndrome dépressif ?

Cette question laisse ouverte de manière optimiste la perspective d'une prise en charge thérapeutique spécifique de l'alcoolique, quant à la possibilité de lui permettre une réappropriation sensorielle de son corps et renouer celui-ci au psychisme afin de permettre l'étayage soutenu par Didier Anzieu dans l'introduction de ce travail.

CONCLUSION

La pathologie alcoolique dans laquelle le corps est mis en jeu, d'une part par l'attaque physiologique, due à la consommation massive d'alcool, et d'autre part suite à la rencontre initiale maternante insuffisamment structurante, ne peut écarter l'importance d'une initiation à la thérapie de relaxation.

Celle-ci, dont la préoccupation première est le corps et son bien être, semble de manière indéniable toute indiquée pour traiter la problématique de l'image du corps du sujet alcoolo dépendant. Ce regard parfois péjoratif, jeté sur la relaxation, lieu où l'on ne « ferait qu'y dormir... », n'engagent que ceux qui la méconnaissent. C'est comme un travail qu'il faut la concevoir, celui qui engage le patient avec lui même accompagné d'un guide en la personne du thérapeute. Il est chose difficile que de prendre le temps de « se regarder en face », autrement qu'à l'habitude, de l'intérieur pour mieux rayonner de l'extérieur et mettre en harmonie le tout. C'est tout ce à quoi le sujet alcoolo dépendant va s'exercer durant la thérapie de relaxation par un contrat moral avec le lieu de soins, mais surtout avec le contrat qui le lie à sa prise de conscience et sa volonté de « vouloir s'en sortir ». Chaque patient à son histoire et c'est cette dernière greffée à une personnalité qui lui a fait rencontrer l'alcool.

En somme, cette exploration théorique pose les bases pour une étude approfondie sur l'impact de la relaxation sur l'image corporelle des alcooliques. À travers des hypothèses éclairées par les travaux précédents, nous envisageons de démontrer comment la relaxation peut offrir un nouvel élan à la symbolisation corporelle chez ces individus. Les dessins et les discours recueillis promettent d'être des sources riches pour étayer nos théories et, nous l'espérons, ouvrir de nouvelles voies dans la prise en charge thérapeutique des personnes souffrant de dépendance à l'alcool.

BIBLIOGRAPHIE

- J.C Archambault (1992). Comprendre et traiter les alcooliques. Paris, Frison Roche.
- S. Clergeot (1999). Corps et alcool, l'intérêt de la psychomotricité dans la prise en charge du patient alcoolo dépendant. Mémoire pour le Diplôme Universitaire : « Le praticien face à l'alcool et aux drogues ».
- F. Dolto (1997). Le sentiment de Soi. Aux sources d'image du corps. Paris, Gallimard.
- C. Exposito (2005). Pratiques corporelles en alcoologie. Thérapie psychomotrice et recherche n° 141-2005.
- F. Goodenough, citée dans D. Widlöcher (1998). L'interprétation des dessins d'enfants. Liège, Margada.
- G. Haag (1985). De l'autisme à la schizophrénie chez l'enfant, *Topique*, 35-36, 47-65, Paris, l'Epi.
- M-J. Hissard (1988). Les relaxations thérapeutiques aujourd'hui. Paris. I.F.E.R.T, Paris, l'Harmattan, Tome 2.
- M-J. Hissard, citée dans Y. Ranty « Le corps en psychothérapie de relaxation » (2001). Paris, l'Harmattan.
- D. Houzel (1985). Le monde tourbillonnaire de l'autisme, in *Lieux de l'enfance*, 3, Toulouse, Privat
- S. Ionescu (1997). Bases des interventions psychothérapeutiques. Cours de psychologie 3, Champs et théories. Paris, Dunod.
- Miermont (1995). Les tropes du corps. Paris, Dunod.
- A. De Mijolla et S.A. Shentoub (1973). Pour une psychanalyse de l'alcoolisme. Paris, Payot.
- M. Monjauze (2001). Comprendre et accompagner le patient alcoolique. Paris, In Press.
- M. Monjauze (2000). La problématique alcoolique. Paris, In Press.
- Nacht, cité dans Y. Ranty (1988). Les relaxations thérapeutiques aujourd'hui. IFERT, Paris, l'Harmattan.
- P. Noiville (1981). L'alcoolique, le sexe et l'alcool. Paris, La documentation française.
- Y. Ranty (2001). Le corps en psychothérapie de relaxation. Paris, l'Harmattan.
- Y. Ranty (1988). Les relaxations thérapeutiques aujourd'hui. IFERT, Paris, l'Harmattan.
- J-H. Schultz (1932). Le training autogène. Paris.
- F. Tustin (1985). Contours autistiques et pathologie adulte. *Topique*, 35-36, 9-24, Paris, l'Epi.
- D-W. Winnicott (1975). Jeu et réalité. Paris, Folio, essais.
- www Wikipedia.org. L'encyclopédie libre.

- ¹ S. Ionescu (1997). Bases des interventions psychothérapeutiques. Cours de psychologie 3, Champs et théories. Paris, Dunod, p606.
- ² M. Monjauze (2001). Comprendre et accompagner le patient alcoolique. Paris, In Press, p 82.
- ³ M-J Hissard citée dans M. Monjauze, Ibid, p84.
- ⁴ S. Clergeot (1999). Corps et alcool, l'intérêt de la psychomotricité dans la prise en charge du patient alcoololo dépendant. Mémoire pour le Diplôme Universitaire : « Le praticien face à l'alcool et aux drogues ».
- ⁵ C. Exposito (2005). Pratiques corporelles en alcoologie. Thérapie psychomotrice et recherche n° 141-2005, p 143.
- ⁶ M. Monjauze (2001). Comprendre et accompagner le patient alcoolique. Paris, In Press, p75.
- ⁷ Y. Ranty (2001). Le corps en psychothérapie de relaxation. Paris, l'Harmattan, p 217.
- ⁸ Y. Ranty (1988). Les relaxations thérapeutiques aujourd'hui. IFERT, Paris, l'Harmattan, p 278.
- ⁹ Nacht, cité dans Y. Ranty (1988). Les relaxations thérapeutiques aujourd'hui. IFERT, Paris, l'Harmattan, p 278
- ¹⁰ M-J. Hissard (1988). Les relaxations thérapeutiques aujourd'hui. Paris. I.F.E.R.T, Paris, l'Harmattan, Tome 2.
- ¹¹ Miermont (1995). Les tropes du corps. Paris, Dunod.
- ¹² Y. Ranty (2001). Le corps en psychothérapie de relaxation. Paris, l'Harmattan, p146.
- ¹³ D-W. Winnicott (1975). Jeu et réalité. Paris, Folio, essais, p 109.
- ¹⁴ M-J. Hissard, citée dans Y. Ranty « Le corps en psychothérapie de relaxation » (2001). Paris, l'Harmattan, p 217.
- ¹⁵ F. Goodenough, citée dans D. Widlöcher (1998). L'interprétation des dessins d'enfants. Liège, Margada, p93.
- ¹⁶ A. De Mijolla et S.A. Shentoub (1973). Pour une psychanalyse de l'alcoolisme. Paris, Payot.
- ¹⁷ J-C Archambault (1992). Comprendre et traiter les alcooliques. Paris, Frison-Roche, p 86.
- ¹⁸ Site Internet (www.Wikipédia.org). L'encyclopédie libre, consulté le : 14.05.2024 à 11h26.
- ¹⁹ J-H. Schultz (1932). Le training autogène. Paris,
- ²⁰ J.C Archambault (1992). Comprendre et traiter les alcooliques. Paris, Frison Roche p 86.
- ²¹ J.C Archambault (1992). Comprendre et traiter les alcooliques. Paris, Frison-Roche, p 71.
- ²² J.C Archambault (1992). Comprendre et traiter les alcooliques. Paris, Frison-Roche, p 97.
- ²³ F. Dolto (1997). Le sentiment de Soi. Aux sources d'image du corps. Paris, Gallimard, p134.
- ²⁴ G. Haag (1985). De l'autisme à la schizophrénie chez l'enfant, Topique, 35-36, 47-65, Paris, l'Epi.
- ²⁵ D. Houzel (1985). Le monde tourbillonnaire de l'autisme, in Lieux de l'enfance, 3, Toulouse, Privat.
- ²⁶ F. Tustin (1985). Contours autistiques et pathologie adulte. Topique, 35-36, 9-24, Paris, l'Epi.
- ²⁷ P. Noiville (1981). L'alcoolique, le sexe et l'alcool. Paris, La documentation française.
- ²⁸ M. Monjauze (2000). La problématique alcoolique. Paris, In Press, p 124.

L'excision entre tradition et civilisation dans « Rebelle » de Fatou Keïta.

Dr, Farah Choumane.

Le XXI siècle par son évolution technique et scientifique a eu un impact positif sur le fonctionnement des modalités sociales. Toutes les cités mondaines ont fréquenté ce modernisme qui a touché le système coutumier. La condition des femmes a connu une place primordiale dans cette révolution. Longtemps soumise à l'autorité masculine et patriarcale, la femme s'est libérée actuellement de certaines contraintes qui menacent son émancipation. L'occident était une source d'inspiration pour la femme orientale qui a mené une quête à la recherche de son statut dans certaines sociétés qui la privent de son identité et de sa place. Le continent africain resté longtemps sous la tutelle française est divisé entre partisans du modernisme et disciples des valeurs conservatrices. La femme africaine a vécu un déchirement interne. Elle paraît abîmée par ses désirs de s'imposer dans le nouveau monde et sa peur de se révolter contre ses ressources. Son appartenance au clan familial et aux exigences sociales lui a été une source de fierté et de dignité.

Certaines femmes peureuses se sont résiliées à leur douleurs, d'autres ont ouvert pleinement la bouche pour réfuter la violence et le traumatisme. La femme africaine et plus précisément ivoirienne a vécu cette douleur. Fatou Keïta ,la romancière ivoirienne a pu rédiger son récit de vie dans « Rebelle ». Le titre de son roman est révélateur, dresse son parcours social, sa naissance dans une famille protectrice, sa lutte contre les menottes traditionnelles ainsi que son expérience personnelle et éducative en conciliant deux systèmes de

valeurs contradictoires par leurs normes et leurs principes.

« Rebelle » met l'accent sur l'architecture de la société ivoirienne où l'homme est le premier gérant. C'est lui qui paraît le maître puissant et le protecteur des rites d'une manière injuste et illégale. Elle montre l'implication de toutes ses valeurs dans son inconscient qui malgré son ouverture à la société française, reste attaché à son cordon ombilical.

La romancière présente les épisodes de sa vie. Elle maîtrise une narration à double portée : Fictive et à la fois réelle pour l'illustration du Mal qui ravage le monde oriental, se cache derrière une personnalité qui reflète son caractère et ses désirs, recourt à une narration à la troisième personne pour construire un récit bio autobiographique teinté de nombreuses modifications structurales.

Elle réussit à amalgamer le regard critique du lecteur à une réalité désastreuse. Alors son vagabondage dans le passé s'articule au champ de son imagination qui réduit la réalité en fiction et inversement.

Ce voyage livresque nous a permis de découvrir le caché d'une civilisation qui paraît étrange par des rites bizarres et étouffantes par son attitude envers la femme.

Au cœur de la société africaine, le pouvoir est accordé à l'homme autant que chef de famille qui se contente de maîtriser la polygamie, d'horrifier ses rejetons, d'exploiter sa femme et d'expliquer les versets coraniques à sa guise. Le roman prend la forme d'une mosaïque d'images qui se déferlent entre deux modes de vie : l'un traditionnel et l'autre moderne, L'émancipation de la femme, le passage du colonial au post colonial, la quête à la recherche d'une identité perdue, les valeurs démolitrices telles : Le mariage à double volets : forcé et mineur l'excision et la revendication des droits de la femme.

La société africaine.

L'Afrique subsaharienne dans tous ses visages est sculptée dans « Rebelle ». Le village traditionnel et les travaux africains activent la dimension textuelle. Cette texture primitive agite la pensée de la romancière qui paraît fière de ses origines. Elle illustre le passé exaltant de l'ancienne génération malgré la révolte flamboyante de ses sentiments.

« Elle venait de Boritouni à huit cent kilomètres de la capitale. C'était un beau petit village fier de ses valeurs et de ses traditions. Les règles y étaient établies et permettant ne les remettant en cause, chacun connaît son rôle et sa place dans la communauté. Un village paisible et sans histoire. »

Rebelle, Fatou Keïta, présence africaine, p :51¹

Au cœur de ce cadre, Malimouna est née, elle a fréquenté un milieu qui

s'imprègne de ses rites sociaux, culturels et moraux. Elevée dans ce climat , la fille paraît fière de sa race. Son contact avec la nature a alimenté sa vision. Le calme lui était une source de sérénité et de don, les jeux une sorte d'admiration et les valse un enjeu de défoulement qui appelle à un nouvel avenir.

«A la moindre occasion , elle s'aventurait au milieu des fourrées et des broussailles humant les senteurs boisées. Chaque fois , elle essayait de cueillir autant de feuilles d'arbres et de plantes différentes que ses petites mains pouvaient contenir. Malimouna aimait ces feuilles aux formes et aux couleurs variées. Elle les trouvaient si jolies...Elle avait remarqué qu'en plaçant ces feuilles bien à plat sous le canari a eau de maison , elles séchaient et devenaient comme du papier tout en gardant intacte leur beauté »

Rebelle, Fatou Keita , présence africaine. P :7,1998.²

Dans ce contexte, la plume de la romancière tisse le cadre d'une Afrique idéale et euphorique par son mystère. En fait, la furie sociale s'efface devant la beauté des roseaux et la pureté de la fontaine qui sublime l'âme.

Cette beauté était aussi bien une source d'inspiration pour le lien amical qui s'étale avec Sanita. Ces deux amies provenant de deux extrémités différentes mais dont la nature les a unies.

« Malimouna était fascinée par cette petite fille qui ressemblait à une poupée et dont les joues se creusaient de jolies fossettes lorsqu'elle souriait. Sanita habitait Salouma, la capitale, et ne parlait que le français. »

Rebelle, Fatou Keita, présence africaine. P :6,1998.³

En effet, Le contact avec le cadre paysagiste est une sorte de refuge secrète pour Malimouna qui commence à se révolter contre le monde qui l'entoure par ses promenades. La première révolte contre les traditions ancestrales s'exprime par la pratique du français, la langue des colons que Sanita maîtrise avec excellence.

« Malimouna et Sanita devinrent vite amies, leur âge les rapprochait, leur espièglerie aussi, c'est ainsi que Malimouna commença à comprendre le français pendant que Sanita, de son côté progressait vite dans l'apprentissage de sa langue maternelle »

Rebelle, Fatou Keita, présence africaine. P :6,1998.⁴

Ainsi l'admiration pour Sanita nourrit au fond de la petite africaine le désir de s'ouvrir à un nouveau monde dominé par l'égalité, la culture, le développement et la technologie.

Pendant la séparation des deux amies était un motif pour la construction d'une nouvelle identité de Malimouna qui conjugue sa passion au silence

serein de la nature. Incapable de se familiariser avec le voisinage et par fidélité à son amie intime, elle préfère rester seule.

*« C'était toujours un déchirement lorsque venait le moment du départ, et que Sanita devait retourner chez elle, à la capitale. Elles portaient toutes les deux, au poignet gauche le même petit bracelet en fil de plastique rouge...Elles s'étaient juré de les porter jusqu'à la fin de leurs joursDans ses promenades de solitude , Malimouna aimait se promener par des sentiers caches ,au milieu de la forêt voisine »
Rebelle, Fatou Keïta, présence africaine. P :7,1998.⁵*

Cette révolte s'articule à une poétique existentielle. Elle repose sur un aspect douloureux dû à un milieu où la femme paraît déclassée, ruinée et infériorisée. Dans cette mesure, la romancière présente la femme comme bouc émissaire et illustre son impuissance par la peinture de la mère de Malimouna. Femme laissée à son sort, responsable d'élever son enfant et brisée par les règles du milieu auquel elle appartient. Cette femme victime d'un mauvais traitement de son mari accepte la polygamie qui est mal appliquée par les religieux.

*«Malimouna fut impressionnée par le luxe dans lequel vivait son père à présent... Il était propriétaire d'une grande maison en dur, et chacune de ses deux épouses possédait sa propre chambre avec douche et eau courante. »
Rebelle, Fatou Keïta, présence africaine. P :30,1998.⁶*

Fatou Keïta illustre la souffrance de toutes les femmes indésirables. Matou, La mère de Malimouna et celle de Karim vivaient dans l'insécurité et la peur d'avoir des coépouses ,d'autres sont rejetées puisque leur rôle se limitait à la procréation .
*Le père de Karim] avait imposé à sa mère une rivale qu'il choyait au nez et à la barbe de tous. Sa mère faisait alors office de bonne et recevait des raclées périodiques tandis que la dernière épouse régnait à la maison. Personne ne se souciait de la douleur de sa mère et encore moins de celle des enfants qui assistaient, impuissants, à cette injustice.
(ibid., p. 188)⁷*

Cette situation ressemble à celle de Zohra dans « Les Hommes qui marchent» de Malika Moukeddem .La vieille femme qui paraît protectrice et gardienne des traditions veille à conserver les codes de son milieu et essaie de limiter l'ancrage des traditions occidentales au sein **du tribu**.

Malgré sa vieillesse, elle protège la réserve d'or des traditions et rapporte aux nouvelles générations le passé prestigieux des ancêtres qui luttent contre les colons et leur projet futile sur la terre subsaharienne.

Les lois rétrogrades de la société africaine sont une source de condamnation

à toutes les femmes pour ne plus être répudiées dans leur milieu. C'est dans ce contexte que les écrivains féministes se chargent de défendre les droits de toutes les femmes déplumées et hantées par un pouvoir patriarcal abusif.

L'écriture de Fatou Keïta est centrée sur la situation sociale et la condition de la femme. Elle se charge de défendre le rôle que ses femmes maintiennent dans le milieu auquel elles appartiennent. Plusieurs images contradictoires se déferlent pour terminer par accuser les codes qui régissent les diverses sociétés. Le tableau romanesque émet les divergences étendues entre l'orient et l'occident, dresse le mode de vie primitif submergé dans l'ignorance et le refus de s'accoutumer à un nouveau mode de vie.

Dans cette société ridicule par ses conceptions, la femme se ridiculise.

Matou, la femme soumise aux normes de son milieu, victime de la polygamie, frappée par l'analphabétisme se contente de conserver les valeurs de ses ancêtres obligeant sa fille de subir l'excision pour éviter la malédiction de son entourage.

« Sache qu'une femme qui ne subit pas cette épreuve ne peut être maîtresse de son corps et ne peut devenir qu'une femme dévergondée »

(F. Keïta, 2009, p. 21)⁸

Ces femmes emprisonnées dans les ténèbres de l'existence suscitent la pitié de la romancière. Leurs projets s'opposent à la vision de Malimouna qui appelle à la révolte et refuse la soumission à l'autorité diabolique Cette portée polyphonique présente une opposition entre deux générations qui se diffèrent par leurs concepts et leur éducation.

Dans cette optique, la romancière arrive à illustrer la scène de l'excision et les maux qu'elle assure .En fait, La description de la scène met l'accent sur un climat de joie qui se tisse entre les filles obsédées par les apparences primitives de leurs milieu et inconscientes du danger que provoque cette mutilation désastreuse.

« Les visages de femmes qu'elle établit, proviennent d'écrits masculins, la voix féminine directe étant encore alors pratiquement absente »

(O. Cazenave, 1996, p. 15-16)⁹

Pour toutes ces raisons, La romancière acharne une guerre pour stabiliser la condition de la femme et la sécuriser . En fait, son projet vise à déconstruire l'image qui doit s'articuler à une réforme globale pour embellir l'allure du continent, modifier certaines traditions et pousser les générations à s'adapter à un nouveau régime social.

La peinture de cette société montre la contradiction des valeurs qui dominent la société où ce qui est interdit est permis en cachette. C'est dans cette

perspective que la romancière situe son roman de révolte existentielle contre non seulement la condition de la femme mais aussi les valeurs oppressives qui minimisent son rôle et harcèle ses droits et menacent son identité. En dressant la scène sensuelle de l'exciseuse Dimikela ,elle réussit à dévoiler le fossé étalé entre les valeurs apparentes qui se répandent dans les contrées sociales et leur mode d'application.

« Dimikela était toute nue .Nue comme un adulte ne se montrait jamais .Etendue à côté d'elle le jeune Seynou,le chasseur le plus vigiureux et le plus adroit du village »

Rebelle, Fatou Keïta, présence africaine. P :9,1998.¹⁰

La civilisation africaine est répertoriée sur un réseau de piliers marqués par l'excision, l'animisme et à la fois l'ordalie. Le plus répandu dans ce cadre est l'excision qui oriente les contours du roman et se définit par l'ablation de la partie la plus intime de la partie féminine. Cette tradition qui se répand dans les pays du tiers monde à un impact néfaste sur l'état physique et psychique de la fille.

Tel est le cas de la fille de Fanta jeune adolescente d'origine ivoirienne ayant vécu en France. Ses parents l'ont obligée à passer cette épreuve qui a provoqué sa mort. *« Toutefois elle mourra « d'une hémorragie dans des souffrances les plus atroces. Elle s'était farouchement débattue pendant l'opération, ce qui avait provoqué une très mauvaise entaille »*

(Ibid., p. 126)¹¹

Aussi bien, Fanta la mère de Noura est l'une des victimes hantées par la peur d'être chassée par son mari malgré sa présence en France. Elle continue à subir l'influence des rites enracinés dans la mentalité de son mari. L'obsession d'avoir un garçon comme nouveau né est une marque de fierté assurant l'endurance de la femme au sein du foyer. Ainsi, l'héritage de ces rites est le produit de l'éducation familiale qui n'a pas pu consolider la place de la femme dans son enceinte familiale.

Malgré la fatigue qu'elle éprouve, Fanta doit toujours se plier aux demandes de son mari .La croissance élevée est un signe de bénédiction pour lui .La femme n'a plus le droit de se plaindre puisque c'est l'homme qui assure les subventions du foyer.

« Le médecin fut te donner des comprimés pour que tu ne tombes pas enceinte. Il faut que j'en parle à Barou. Ce dernier avait très mal réagi ...il l'avait presque giflée en lui disant que c'était contre leur religion et que seules les femmes volages avaient besoin de ce genre de protection. »¹²

(ibid,p 92)

Toutes les scènes de violence révélées dans le roman sont dues au pouvoir patriarcal. La terreur socio familiale apparait clairement dans le roman .Elle est introduite par le rapport entretenu avec Sando. Tel est le problème du mariage arrange et à la force. Un vieux qui s'allie à une femme ayant l'âge de sa fille. Fatou Keïta illustre le concept du viol conjugal. Le vieux Sando qui paraît ébloui par la beauté de ce corps d'ébène désirant violer la fille. Aussi bien Fanta qui est forcément mariée à son cousin a peur de rentrer chez ses parents puisque le divorce est un signe d'humiliation pour la famille. Cette africaine réfugiée en France est devenue un objet de désir sexuel. Son mari qui exploite son corps et se contente de la grossesse de la femme puisqu'elle traduit sa virilité.

« -Lâche-moi ! Tu ne vas pas me violer, tout de même ! -Violer ? Comment un mari peut-il violer sa femme ! »¹³ (*ibid.*, p. 211).

Dans ce climat, la femme est maltraitée, incapable de s'exprimer, accusée parfois pour son silence qui est une marque de sagesse. A cette femme soumise s'oppose la révoltée qui refuse d'accorder son corps à un vieillard obsédé par l'assouvissement d'un désir sexuel.

La romancière aborde le problème de l'objectivation de la femme africaine dans son milieu. Sa présence en orient ou en occident est due à ses ressources familiales. Sa révolte provient d'une sagesse et d'une pensée consciente qui la mènent à combattre les maux qui menacent sa liberté.

La violence :

L'écriture de Fatou Keïta se caractérise par une portée de révolte contre la violence qui empoisonne les ambitions des femmes et les emprisonne dans le carcan conjugal. La violence s'installe au cœur de la société qui se nourrit des règles transmises par les aïeux. Ce processus crée une ambiance de frustration et d'inégalité entre tous les membres de la société.

Tout d'abord, sur le plan social il s'agit d'une mutilation des droits personnels, la femme se trouve soumise et dépourvue de sa présence. Elle est un simple objet destiné à enfanter, une machine exploitée et négligée, c'est le cas de nombreuses femmes parmi lesquelles Matou qui refuse un second mariage pour plaire aux lois de la tribu. Elle accepte la torture et oblige par peur sa fille à subir l'acte de l'excision. Son silence est un signe d'humiliation qui lui permet d'accepter la résignation sans aucune résistance. Frappée par la polygamie, elle se met avec les coépouses dans la même salle lors de la cérémonie du mariage de sa fille.

« Sa mère avait été reléguée dans un coin de la pièce.....La mère de la mariée répudiée , elle n'existait plus »¹⁴

(*Ibid*,p.31-33)

Ensuite, la violence revêt une portée éducative. De nombreuses femmes souffrent d'une anomalie alphabétique et culturelle. Au cœur de cette société, le contact académique et linguistique est abattu, Il est conçu comme un crime et une annonce de cohabitation avec l'occident. A une certaine reprise, la pratique de la langue française est un tabou, plutôt c'est une tumeur qui se transmet au cœur des sociétés et risque de gâcher les principes traditionnels et de nuire au règlement du clan. A cette époque, la majorité des femmes souffrent d'une pénurie culturelle, leur rôle se limitait uniquement à l'enfantement et aux travaux champêtres. Elles sont dominées, accusées et les moindres erreurs sont impardonnables.

*« Les détresses auxquelles elles tentaient de porter secours vivaient bien souvent avec ces hommes-là. Ce mot "liberté" était tabou. Si jamais la femme allait se plaindre à l'extérieur, surtout chez ces femmes, ces soi-disant intellectuelles qui avaient la réputation de porter la culotte à la maison, elle serait mise au ban de la société »*¹⁵

(*ibid*,p :180)

Cette violence s'accompagne d'une terreur physique. Le corps de la femme est un objet de double violence : Sexuelle et à la fois physique.

Fanta obéit aux lésions sociales, accepte à tout prix les coups de gifle qui cicatrisent son corps. Elle se soumet au besoin de son mari, craintive et peureuse elle paraît déplumée, n'ayant aucun abri se replie à sa douleur .

Ce silence souffrant paraît mortel puisque le divorce est une marque de honte et la rentrée en Afrique sera un crime pour elle.

Cette souffrance est bien paisible a certaines femmes. Ces détractrices qui se chargent de défendre le rôle que jouent les hommes au cœur de la société africaine.

Ces intraitables nourries de haine refusent l'intégration de la réforme sociale et se montrent reconnaissantes à leurs valeurs.

« Nos hommes ne sont pas des sauvages, lançaient-elles nous ne sommes pas des sauvages » (*ibid*,p :182)¹⁵

Dans cet univers farouchement attaché aux mœurs, la violence impacte négativement la sécurité et la présence de la femme qui se trouve répudiée et repoussée dans son milieu. Au cœur de cette société, la fille dès sa naissance sera préparée à la polygamie.

Cette pratique très mal interprétée et assumée par les hommes paraît gratifiée dans l'esprit des nouvelles générations. Karim, ayant vécu en France possède cette conception et l'applique sous prétexte de conserver sa dignité sa foi.

« Je veux prendre une deuxième femme. J'en ai le droit, tu sais que je viens d'un milieu polygame et toi aussi, d'ailleurs »¹⁶

(ibid.p :201)

Malgré l'amour qui unit Karim à Malimouna, l'homme oriental maîtrise la galanterie, satisfait ses désirs et se plie aux règles polygamiques.

Cette notion est un acte de violence qui prive la femme de son identité et tourmente sa présence. Malimouna, la puissante et la précieuse par ses réactions prend la relève, s'oppose à la violence et décide de conserver sa dignité par la séparation de Karim.

« Je veux de toute façon introduire une demande de divorce pour bigamie ! Alors je ne vois pas ce que j'aurais encore à craindre »¹⁷

(ibid,p :200)

Cette africaine ayant affronté les barrières sociales ressemble à l'oiseau de phénix qui virevolte de douleur puis se renait.

Dans cette mesure, la réaction de Malimouna devient identique à celle de ses sœurs tourmentées par la cupidité de leurs maris. Elle vit leur douleur, partage leurs craintes et rapporte leurs plaintes.

« Elle n'avait pas fini sa phrase qu'il se retourna et la gifla violemment....Tu penses avoir tous les droits ?Eh bien moi je vais te rappeler tes devoirs d'épouse»¹⁸

(ibid, p :187)

Cette violence nourrit l'esprit de révolte chez Malimouna, la fille distincte dans son milieu, volontaire par ses décisions et humaniste par son attitude à l'égard de toutes les répudiées, accomplit une mission si noble :Défendre toutes celles qui sont abimées et suffoquées par la misère de la vie.

« Le défi que Malimouna s'était lancé était de mettre sur pied un visage d'alphabétisation des ménagères en milieu urbain. Ce genre de programmes bien que rares, existait ca et la en milieu rural mais curieusement, on semblait oublier qu'en ville la majorité des femmes ne savaient ni lire ni écrire »¹⁹

(ibid,p :183)

Cependant, Malimouna était la seule militante qui a pu affranchir les contraintes sociales. En refusant l'esclavage, elle admet un message à toutes les femmes puisque l'écrit s'avère le moyen le plus honnête qui reconstruit un monde selon une concordance égalitaire des rôles entre les deux sexes.

« Il est vrai qu'il avait longtemps qu'elle était sensible aux problèmes des femmes,notamment depuis son expérience en France avec Fanta la Maliennne»²⁰

(ibid,p :184)

Le tableau de violence s'inscrit à plusieurs reprises dans le roman. Les scènes d'horreur se multiplient et mettent en lumière un sujet tellement important: Celui de l'excision..

La romancière dénonce le système des règles traditionnelles ,Elle s'interroge sur « un sujet tellement important et à la fois peureux et dangereux qui contredit ses conceptions. Ceci se manifeste par la scène sensuelle qui unit l'exciseuse Dimikela au chasseur Seynou.

Cette femme protectrice des coutumes et modèle à toutes les filles prétend protéger les codes de la tribu. Keita a insisté sur la peinture de la scène intime, elle transmet les vibrations de la voix d'une femme assoiffée à l'amour sexuel. Nous pourrions considérer que le chapitre destiné à cette peinture somptueuse illustre une réalité même s'il est le produit de sa fiction. Malimouna qui se cache derrière l'arbre a été choquée par l'horreur du spectacle. Ceci paraît clair dans le champ lexical qu'elle emploie et la magie de l'écriture qu'elle adopte. Ainsi cette description revêt un style particulier qui dévoile le vrai visage de la société où tout ce qui est interdit est permis en cachette. La critique touche le milieu social par l'emploi des termes propres à la tradition africaine, pagne.... Même si la romancière ne le dit pas clairement , son style le reflète et ses ingrédients le transmettent au lecteur.

La critique de Keïta touche les valeurs sociales qui sont fautivement inculquées par la protectrice des traditions. L'excision qui est un ancien rituel africain connu par la circoncision de l'organe sexuel est le centre d'intérêt de Keïta. Dans un entretien avec elle, Keita montre l'ignorance qui frappe la société africaine suite à ses valeurs :

Quelles sont les raisons avancées par la tradition pour imposer l'excision?

« D'une façon générale, ceux qui la pratiquent ne savent pas vraiment pourquoi ils le font. C'est une coutume dont ils ont hérité et qu'ils perpétuent parce que, leur a-t-on dit, elle permet à la femme d'être une vraie femme, fidèle et soumise à son mari. Une femme capable de maîtriser ses pulsions.»²¹

Interviewde Fatou Keita réalisée et publiée dans Amina en décembre 1998.

Pourquoi êtes-vous intéressée par les problèmes de l'excision?

« Je me sens interpellée en tant que femme, en tant que mère et en tant qu'éducatrice. Des millions de femmes sont mutilées inutilement, il faut que cela cesse le plus rapidement possible. C'est une violation flagrante des Droits de la femme. Les dangers de l'excision, je crois que tout le monde les connaît à présent. Il s'agit d'un problème de santé publique.»²²

Interview de Fatou Keita réalisée et publiée dans Amina en décembre 1998.

La pratique de cette épreuve s'oppose aux efforts déployés par l'OMS qui met en exergue la gravité de l'acte. Cette tradition qui s'est maintenue en Egypte continue à se remuer en Afrique.

« Une série de pratiques incluant l'ablation ou la lésion partielle ou totale des organes génitaux externes pour des raisons non médicales. »²³

Op.cit.p.5

L'excision relève de la tradition conçue comme un héritage culturel instauré dans le système des mœurs. Elle marque l'appartenance au groupe et désigne un « savoir social incorporé ». Cette pratique se fait par la gardienne des traditions et dans un climat de jovialité,

Dans ce contexte Keita met l'accent sur la naïveté et la fragilité des jeunes filles présente le profil de la femme qui se charge d'accomplir cette mission. L'exciseuse « très écoutée et respectée » paraît « une femme austère, qui ne souriait jamais ».²⁴

Fatou Keita ,Rebelle ,op Cit

Ibid p.12

L'écho de cette épreuve revêt une bonne résonance dans l'opération du savoir social et féministe . Pour éviter la moquerie et le mépris de la communauté, Matou sacrifie sa fille .Pour ne plus s'exclure de l'entourage ,la mère s'oppose au choix de sa fille.

« Matou sauverait sa fille de ce désastre .Elle l'empêcherait quoi qu'il lui en coûte ,de se retrouver au ban de la société .Elle la sauverait d'elle-même ».²⁵

(ibid,p :18)

En effet, elle paraît consciente des frais de l'exclusion sociale qui sont si chères pour elle.

Sa réaction explique la peur des femmes dont la mission se limitait à « La procréation ». Cette condition sociale exerce une pression pesante sur toutes les femmes et les poussent à se réconcilier aux rites. L'irrespect de ces normes déstabilise leur condition et fragilise les valeurs .

Une autre importance est accordée à la circoncision. D'après les conceptions africaines ,elle assure le passage de l'enfance à l'adolescence et marque l'entrée des filles du même âge dans le cercle des femmes .Ceci se fait dans une ambiance de joie et de festivité.

« Les tam-tams résonnaient de toutes parts ,et l'assistance battait des mains pour encourager les douze fillettes qui faisaient l'objet de la cérémonie. Le grand jour est arrivé .Elles allaient devenir des femmes dignes d'être respectées et pour cela, elles devaient faire montrer d'un courage et d'une dignité sans appel....Le village

entier les admirerait , car elles seraient devenues de vraies femmes »²⁶

Rebelle ,op.Cit p.13.

En outre, l'excision initie la femme au projet de mariage .Elle assure aux jeunes filles une position honorable et sécuritaire dans leur entourage.

« Une position sociale, la possibilité de se marier ,la préservation de leur chasteté ,de leur santé ,de leur beauté ,ainsi que l'honneur de leur famille »²⁷

Rapport Digest Innocenti,op Citp.20

A son tour, Fanta l'amie de Malimouna paraît convaincue du processus loyal de l'excision. Elle veut sauvegarder la dignité de sa fille et les principes de la Kabylie même dans le pays d'accueil.

« *Et ma fille chérie, elle ne pourra jamais se marier ... Tu sais bien que pour nous une femme non excisée ne peut sous aucun prétexte prétendre au mariage !Qui voudrait d'elle ? »²⁸*

Ibid.p123-126.

Pourtant, Cette tradition a des conséquences néfastes sur le plan sanitaire. Beaucoup de filles n'arrivent pas à supporter la douleur. Ce traumatisme s'accompagne d'une souffrance mortelle. Certaines filles ont essayé de s'y échapper mais elles ont été ramenées de force.

« *Une immense peur qui les pousse souvent à vouloir s'échapper, les autres petites filles déjà étendues sur la natte, les yeux fermes. Des larmes coulaient sur leurs tempes et, de temps en temps ,l'une d'elles , laissait échapper un sanglot étouffé »²⁹*

Ibid ,p.26

Sur le plan individuel, l'excision prive la femme de son désir sexuel. Cet acte empêche beaucoup de femmes à ressentir le plaisir de la vie charnelle.

Son corps devient un objet qui ne lui appartient plus. Il est accordé uniquement au plaisir de son mari et a l'enfantement. En fait ce rapport effectue une contradiction entre le dominant et le domine.

« *Leur éducation et leur culture avaient fait comprendre à ces femmes qu'elles étaient des êtres fragiles, très facilement corruptibles, et qu'elles avaient donc besoin d'être contrôlées et maîtrisées. Il fallait pour ce faire, leur retirer cet organe. »³⁰*

Rebelle ,p.218-220.

Cette tradition épineuse est instaurée dans la mentalité africaine. Elle est sacrée. Les représentations séculaires s'attachent a un double aspect :Le premier se caractérise par la domination du patriarcat et le second qui démontre clairement l'impuissance de la femme.

Ainsi, La domination du patriarcat s'accroche à une violence symbolique : Physique et à la fois sociale. En même temps ,elle est invisible et secrète.

La romancière met l'accent sur les effets négatifs de l'excision sur la santé. Les hémorragies qui ont étranglé Noura ,la fille de Fanta sont une preuve de l'atrocité de cette pratique. Keita décrit la mort de la fille pour lancer un message à tous ceux qui sont farouchement attachés par ses valeurs mortelles. Ce cri de douleur est un signe de malheur qui menace la sécurité existentielle et à la fois sanitaire de la fille africaine.

« La petite Noura était morte d'une hémorragie dans les souffrances les plus atroces. Elle s'était farouchement débattue pendant l'opération, ce qui avait provoqué une très mauvaise entaille. »³¹

(*ibid*,p :126)

Le roman dénonce la condition de la femme africaine. Il présente à plusieurs reprises la construction de la société africaine et le mouvement traditionnel qui accable la femme par des menottes ancestrales. Ce voyage littéraire est presque identique à la situation africaine à l'ère actuelle. Il aborde le problème de toutes les femmes qui parfois ne cherchent plus à se libérer mais à « mieux être ».

Keita adopte un style particulier et une rhétorique impeccable au niveau du déferlement des actions. Les inventions demeurent réelles et s'alternent à un processus classique dans l'édification du récit. Derrière cette rhétorique particulière se cache un message qui se manifeste par « Celui de la femme en devenir ». Keita se charge de contourner son roman par une mission majeure. Elle est la combattante par excellence contre l'oppression et la fille qui refuse la conciliation aux normes monstrueuses sans nier son appartenance à sa propre civilisation.

Ainsi, ce combat présente non pas uniquement les valeurs ancestrales mais dévoile le problème du mariage des mineurs qui se répand dans les sociétés actuelles. Elle excelle l'évocation de ce problème dans la scène qui l'unit à Sando ,un homme plus âgé qu'elle auquel son père la confiait.

Keita brise le silence de toutes les femmes objectivées. Son vécu personnel s'avère commun à toutes les femmes qui souffrent calmement sans aucune réaction par crainte d'être divorcées ou rejetées dans leurs milieux. En fait le drame vécu est introduit dans l'attaque menée contre le vieux mari qui veut se contenter de prendre son corps et satisfaire son désir sexuel. Ces hommes qui courent toujours à la quête d'une nouvelle aventure justifient leurs actes par la notion de la polygamie. Ils ont mal expliqué les textes religieux et profitent de la mauvaise interprétation des valeurs coraniques pour maîtriser leur despotisme.

La polygamie largement répandue ouvre la voie au viol. La violence s'accroît et

devient un danger plutôt une menace abusive. La reprise du viol conjugal est revécue avec Karim qui veut posséder son corps. Malimouna devient victime d'un désir fou des hommes. Tout le souvenir de la nuit macabre de Sando agite son esprit et active de nouveau sa révolte contre les contraintes sociales. Son corps devient une piste d'attaque et de séduction aux hommes incapables de résister au charme d'une femme.

Les scènes de viol sont récurrentes en Afrique. La romancière évoque bien l'histoire de Fanta, femme africaine vivant dans les bidons de Paris qui paraît soumise aux désirs et aux exigences de son mari. Le roman est bien étoffé d'images qui montrent la souffrance de la majorité des femmes suffoquées par leurs maris et craintives de révolte. Elles paraissent épuisées par un double facteur : Patriarcal et à la fois social. Leur vie est conditionnée par un règlement imposé par l'homme d'une part et aux coutumes enracinés inconsciemment au cœur de la civilisation africaine.

Ce n'est pas alors étrange qu'une femme soit chosifiée. Elle s'avère tourbillonnée et perdue dans un gouffre qui marginalise son rôle au sein de la famille. C'est souvent par peur d'être châtiée que les femmes se soumettent au règlement fatal de leur milieu. Tel est le cas de Fanta qui se contente d'enfanter pour plaire à son mari. Bien qu'elle vive en France, elle n'arrive plus à négliger les valeurs sociales qui sont farouchement inculquées dans l'esprit d'un mari cruel qui sacrifie sa fille pour assurer sa virilité.

Dans cette dimension, Fatou Keïta joue le rôle d'un sociologue qui aborde et analyse le fonctionnement des traditions et leur effet sur la vie des femmes. Elle s'intéresse à un sujet tellement important celui des droits de la femme. Cette posture paraît nettement dans le style de l'écrit féministe et à la fois féminin. Alors un nouveau genre romanesque prend naissance à travers l'écriture. Il a pour enjeu primordial la lutte pour accorder à toutes les femmes leurs droits. « *Par féminisme, on entend une prise de conscience de la femme réalisant qu'elle fait partie d'un groupe social opprimé en raison de son sexe et ayant une ferme volonté de chercher les moyens individuels ou collectifs pour combattre cette oppression* »³² (1996, p. 269).

Les femmes sont le centre d'intérêt de l'univers de Fatou Keïta surtout celles qui sont battues et démunies. La trajectoire romanesque est instrumentalisée par une révolte fatale contre la diabolisation de l'homme. La romancière présente Fanta, le modèle d'une femme soumise emprisonnée dans les ténèbres de l'ignorance répond aux désirs d'un mari puissant fier de ses ressources orientales et de sa virilité. Cette Fanta joue le rôle parfois d'une gardienne conservatrice des traditions puisqu'elle est accablée par son mari. Ce dernier

ayant découvert les capsules avec elle l'empêchait de fréquenter Malimouna. Incapable de résister à ses demandes, Fanta se pliait sans aucune réaction. La peinture du tableau social n'est-elle pas le reflet de l'Afrique actuelle ? L'écriture de Fatou Keïta est-elle une force thérapeutique ?

Références :

- KANE Cheikh Hamidou,1961,L'aventure ambiguë, paris julliard.
CHEVRIER Jacques,1974, Littérature nègre, paris, Armand Colin.
CHEMAIN DE GRANGE Arlette,1980, Emancipation féminine et roman africain, Dakar, N.E.A.
CAZENAVE Odile,1996, Femmes rebelles : Naissances d'un nouveau roman africain au féminin, Paris, L'Harmattan.
Sassine, w,1998, Mémoire d'une peau.
Keita, f.1998.Rebelle. Paris :présence africaine.
MOURA, J-M,1999, Littératures francophones et théorie postcoloniale paris : presses universitaires de France.
MOURALIS Bernard,1994, « Une parole autre : Aoua Keïta, Mariama Ba et Awa Thiam »
Notre
librairie n :117
FORMIS Barbara (Sous la dir.de),2009 penser en corps, Paris, Julliard.
ETOKE Nathalie,2010, l'écriture du corps féminin dans la littérature de l'Afrique francophone au sud du Sahara, paris , L' Harmattan.